

كتاب الأمان

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

المجلد العشرون

دار طائر

بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ - 2002 م

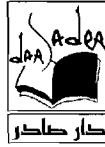
الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .



تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ يزوت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AĠĦĀNĪ 1/25
(*Abu al-Faraj al-Iṣṣpahānī*)

ISBN 9953-13-045-0

[413] - أخبار التيمي ونسبه

[أحد الخلاء المجان]

هو عبدُ الله بنُ أيُّوبَ ، ويكنى أبا محمد مولى بني تيم ثم مولى بني سليم . ذكر ذلك ابن النطاح ، وكان له أخ يقال له أبو التَّيْحَانِ ، وكلاهما كان شاعراً ، وهما من أهل الكوفة ، وهما من شعراء الدولة العباسية ؛ أحدُ الخلاء المُجَانِ الوصَّافين للخمر ؛ وكان صديقاً لإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ، ونديماً لهما ، ثم اتَّصل بالبرامكة ومدحهم ، واتَّصل بيزيد بن يزيد فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات يزيد .
[أكثر شعره في الخمر]

واستنفد شعره أو أكثره في وصفه الخمر ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]

شَرِبْتُ مِنَ الْخَمْرِ يَوْمَ الْخَمِيهِ سَسِ بِالْكَأْسِ وَالطَّاسِ وَالْقَنْقَلِ¹
فَمَا زَالَتْ الْكَأْسُ تَغْتَالِنَا وَتَذْهَبُ بِالْأَوَّلِ الْأَوَّلِ
إِلَى أَنْ تَوَافَتْ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَنَحْنُ مِنَ السُّكْرِ لَمْ نَعْقِلِ
فَمَنْ كَانَ يَعْرِفُ حَقَّ الْخَمِيْسِ وَحَقَّ الْمُدَامِ فَلَا يَجْهَلِ
وَمَا إِنْ جَرَّتْ بَيْنَنَا مَرْحَةٌ تَهِيْجُ مِرَاءَ عَالِي السَّلْسَلِ

وهو القائل : [من الطويل]

ولن أنتهي عن طيبِّ الرَّاحِ أَوْ يَرَى بَوَادِي عِظَامِي فِي ضَرْحِي لِأَحَدُ
أَضَعْتُ شِبَابِي فِي الشَّرَابِ تَلَذُّدًا وَكُنْتُ امْرَأً غَيْرَ الشَّبَابِ أَكَابِدُ
أخبرني محمد بن يحيى الصوليُّ قال : حدَّثني أبو العيْناء عن محمد بن عمر ، قال : أبو محمد التيميُّ اسمه عبدُ الله بنُ أيُّوبَ مولى بني تيم .
[رناؤه ابنه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار عن محمد بن داود بن الجراح قال : قال دعبل : كان للتيميُّ أبي محمد ابنٌ يقال له حيّان ، ومات وهو حديث السنِّ ، فجزع عليه ، وقال يرثيه :

صوت

أودى بحيّانَ ما لم يترك النَّاسَا فامنح فؤادك من أحبابك الياسا

1 الخمر في ل : الراح . والقنقل : المكيال الضخم .

لما رَمته المنايا إذ قصدن له أصبن مني سواد القلب والراسا
 وإذ يقول لي العوَاد إذ حضروا لا تأس أبشر أبأ حيان لا تاسي
 فبتُ أرعى نجومَ الليل مكتئباً إخال سُنته في الليل قرطاساً¹
 غنى في الأوّل والرابع من هذه الأبيات حَكَم الوادي ، ولحنه رمل مطلق في مجرى
 البِنصر عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة :
 يا دَيْرُ هند لقد أصبحت لي أنسا وما عهدتك لي يا دَيْرُ مَناسا
 وهي مشهورة من شعره .

[يجز بيتاً لإسحاق عجز عن إتمامه]

أخبرني حبيبُ بنُ نصر المهلبيّ قال : حدّثني هارونُ بنُ محمدٍ بن عبد الملك الزياتُ قال :
 حدّثني حمادُ بن إسحاق عن أبيه قال : قلت :
 وُصف الصدُّ لمن أهوى فصدَّ
 ثم أُجبلتُ ، فمكثت عدّة ليال لا يستوي لي تمامه . فدخل عليّ التيميّ فرآني مفكراً ، فقال
 لي : ما قصّتك ؟ فأخبرته ، فقال :

وبدا يمزح بالهجر فجَدَّ

ثم أتممتها . فقلت : [من الرمل]

ما لهُ يعدلُ عني وجهه وهو لا يعدله عندي أحدُ

وخرجت إلى مدح الفضل بن الربيع ، فقلت :

قد أرادوا غرّة الفضل وهل تُطلب الغرّة في خيس الأسد²

ملكٌ ندفع ما نخشى به وبه يصلح منا ما فسد

يفعل الناسُ إذا ما وعدوا وإذا ما فعل الفضلُ وعد

لإسحاق في هذا الشعر صنعة ، ونسبها :

صوت

وُصف الصدُّ لمن نهوى فصدُّ وبدا يمزحُ بالهجرِ فجَدَّ

ما لهُ يعدلُ عني وجهه وهو لا يعدله عندي أحدُ

الشعر والغناء لإسحاق ، خفيفُ رمل بالبِنصر ، وله فيه أيضاً ثقيلٌ أوّل ، وفيه لتركيباً بن

1 سنته : وجهه أو جبهته .

2 من المثل « كمتغي الصيد في عريسة الأسد » : جمهرة العسكري 2 : 150 ، 175 وفصل المقال : 363 .

يحيى بن معاذ هزج بالبصرة عن الهشامي وغيره . قال الهشامي : وقيل إن الهزج لإسحاق ،
وخفيف الرمل لركزيّا .

أخبرني جحظة عن علي بن يحيى المنجم عن إسحاق قال : اشتركت أنا وأبو محمد التيمي
في هذا الشعر :

وُصف الصد لمن نهوى فصد

وذكر البيتين .

[يطلب الرشيد إنشاء مرثيته في يزيد بن يزيد]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن
طهمان قال : حدثني محمد الراوية الذي يقال له البيذق وكان يقرأ شعر المحدثين على
الرشيد ، قال : قال لي الرشيد يوماً : أنشدني مرثية مروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة
التي يقول فيها¹ :

كأن الشمس يوم أُصيب معنٌ من الإظلام مُلبسة جلالاً
هو الجبل الذي كانت معدّ تهّد من العدوّ به الجبالاً
أقمنا باليمامة بعد معنٍ مقاماً لا نريدُ به زيالاً
وقلنا أين نذهبُ بعد معنٍ وقد ذهب النوالُ فلا نوالاً

قال : فأنشدته إياها ، ثم قال لي : أنشدني قصيدة أبي موسى التيمي في مرثية يزيد بن
مزيد ، فهي والله أحب إلي من هذه ، فأنشدته² :

أحقُّ أنه أودى يزيدُ تبين أيها الناعي المشيدُ
أندري من نعتٍ وكيف فاهتُ به شفتاك ، كان بك الصعيدُ
أحامي المجد والإسلام أودى فما للأرض ويحك لا تميدُ
تأمل هل ترى الإسلام مالت دعائمه وهل شاب الوليدُ
وهل شيمت سيوف بني نزار وهل وُضعت عن الخيل اللبؤدُ
وهل تسقي البلادَ عشارُ مزنٍ بدرتها وهل يخضرُّ عودُ³
أما هُدت لمصرعه نزارُ بلى وتقوض المجد المشيدُ

1 ديوان مروان بن أبي حفصة : 270-271 .

2 نسبت القصيدة إلى مسلم بن الوليد (انظر ترجمته وديوانه : 147-149) .

3 العشار : النوق الحديثات التاج ، ونقله مجازاً إلى الغيم .

وحلّ ضريحه إذ حلّ فيه
 أما والله ما تنفك عيني
 فإن تجمّد دموع لئيم قوم
 أبعد يزيد تختزن البواكي
 لتبيك قبّة الإسلام لما
 ويكك شاعر لم يُبق دهر
 فمن يدعو الإمام لكلّ خطب
 ومن يحمي الخميس إذا تعايا
 فإن يهلك يزيد فكلّ حي
 ألم تعجب له أنّ المنايا
 قصدن له وهنّ يجدن عنه
 لقد عزى ربيعة أنّ يوماً

قال : فبكي هارون الرشيد بكاء اتسع فيه حتى لو كانت بين يديه سكرجة ملاًها من

دموعه .

[يجيز أياتاً للأمين]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أبو العيّن قال حدثنا محمد بن عمر قال : خرج كوثر
 خادم محمد الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رجمة في وجهه ، فجلس يبكي ، فوجه محمد من
 جاءه به ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ، وقال :

ضربوا قرة عيني
 أخذ الله لقلبي
 ومن أجلي ضربوه
 من أناس أحرقوه

قال : وأراد زيادة في الأبيات فلم يواته ، فقال للفضل بن الربيع : من هاهنا من الشعراء ،
 فقال : الساعة رأيت عبد الله بن أيوب التيمي ، فقال : عليّ به . فلما أدخل أنشده محمد هذين
 البيتين ، وقال : أجزهما ، فقال :

ما لمن أهوى شبيهه
 وصله حلو ولكن
 فيه الدنيا تتيه
 هجره مرّ كربه
 من رأى الناس له الفضه
 ملّ عليهم حسدوه

مثل ما قد حسد القا ثم بالملك أخوه

فقال محمد : أحسنت ، هذا والله خير مما أردنا ، بحياتي عليك يا عباسي¹ إلا نظرت ، فإن جاء على الظهر ملأت أحمال ظهره دراهم ، وإن كان جاء في زورق ملأته . فأوقرت له ثلاثة أبغلي دراهم .

[يمدح المأمون فيغفو عنه]

قال محمد بن يحيى : فحدثني الحسن بن عليل العنزي قال : حدثني محمد بن إدريس قال : لما قُتِل محمد الأمين خرج أبو محمد التيمي إلى المأمون وامتدحه ، فلم يأذن له ، فصار إلى الفضل بن سهل ولجأ إليه وامتدحه ، فأوصله إلى المأمون ، فلما سلم عليه قال له المأمون : إيه يا تيمي .

[من مجزوء الرمل]

مثل ما قد حسد القا ثم بالملك أخوه

فقال التيمي : بل أنا الذي أقول يا أمير المؤمنين :

[من مجزوء الرمل]

نصر المأمون عبد الله لما ظلموه

نقضوا العهد الذي كانوا قديماء أكدوه

لم يعامله أخوه بالذي أوصى أبوه

ثم أنشده قصيدة له امتدحه بها أولها :

[من الطويل]

جزعت ابن تيم أن أتاك مشيب وبان الشباب والشباب حبيب²

قال : فلما أنشده إياها وفرغ منها قال : قد وهبتك لله ، عز وجل ، ولأخي العباسي ، يعني الفضل بن سهل ، وأمرت لك بعشرة آلاف درهم .

[الأمين يأمر له بمائتي ألف درهم]

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثني عون بن محمد الكندي قال : حدثني عباد بن محمد الكاتب عن أبي محمد التيمي الشاعر قال : أنشدت الأمين محمداً أول ما ولي الخلافة قولي :

[من المنسرح]

لا بُدَّ من سكرة على طرب لعلَّ رَوْحاً يُدِيلُ من كُرب

الآيات المذكورة في الغناء . قال ، فأمر لي بمائتي ألف درهم ، صالحوني منها على مائة ألف درهم .

1 يا عباسي : المقصود هو الفضل بن الربيع .

2 أتاك في ل : علاك ، وبان الشباب في ل : وبان شباب .

[تمنى عليه الأمين مديحاً]

وأخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني محمد بن يحيى المنجم قال : وحدثني حسين بن الضحاح قال : قال لي أبو محمد التيمي : دخلت على محمد الأمين أول ما ولي الخلافة ، فقال : يا تيمي ، وددت أنه قيل في مثل قول طريح بن إسماعيل في الوليد بن يزيد : [من المنسرح]

طوبى لفرعيك من هنا وهنا طوبى لأعراقك التي تشج
فإني والله أحق بذلك منه . فقلت : أنا أقول ذلك يا أمير المؤمنين ، ثم دخلت إليه من غد فأنشدته قصيدتي : [من المنسرح]

لا بُدَّ من سكرة على طربٍ لعلَّ رَوْحاً يُدبِل من كُربٍ

حتى انتهيت إلى قولي :

أكرم بفرعين يجريان به إلى الإمام المنصور في النسب
فتبسّم ، ثم قال لي : يا تيمي قد أحسنت ، ولكنه كما قيل : مرعى ولا كالسعدان¹ ؛ ثم التفت إلى الفضل بن الربيع فقال : بحياتي أوقر له زورقه مالا . فقال : نعم يا سيدي . فلما خرجت طالبت الفضل بذلك ، فقال : أنت مجنون ؟ من أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحني على مائة ألف درهم .

[الفضل بن يحيى يجيزه]

أخبرني وكيع قال : حدثني ابن إسحاق قال : حدثني أبي قال : كنت على باب الفضل بن يحيى ، فأتاني التيمي الشاعر بقصيدة في قرطاس ، وسألني أن أوصلها إلى الفضل ، فنظرت فيها ثم خرقت القرطاس ؛ فغضب أبو محمد وقال لي : أما كفاك أن استخففت بحاجتي حتى منعتني أن أدفعها إلى غيرك ؟ فقلت له : أنا خير لك من القرطاس ، ثم دخلت إلى الفضل ، فلما تحدثنا قلت له : معي هدية وصاحبها بالباب ؛ وأنشدته ؛ فقال : كيف حفظتها ؟ قلت : الساعة دفعها إلي على الباب ، فحفظتها . فقال : دع ذا الآن . فقلت له : فأدخله ، فأدخل ، فسأله عن القصّة فأخبره . فقال : أنشدني شيئاً من شعرك ففعل ، وجعلت أردد أبياته ، وجعلت أشيعها بالاستحسان . ثم خرج التيمي فقلت : خذ في حاجة الرجل ، فقال : أما إذ عنيت به فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم . فقلت له : أما إذ أقللتها فعجلها ، فأمر بها فأحضرت . فقلت له : أليس لإعانتك إياي ثمن ؟ قال : نعم . قلت : فهاتِه . قال : لا أبلغ بك في الإعانات ما بلغت بالشاعر في المدح . فقلت : فهات ما شئت ، فأمر بثلاثة

1 المثل «مرعى ولا كالسعدان» في مجمع الميداني 2 : 275 وفصل المقال : 199 وجمهرة العسكري 2: 242.

آلاف درهم ، فضممتها إلى الخمسة الآلاف ، ووجهت بها إليه .
[سكرة شعاء]

وذكر أحمد بن طاهر عن أبي هفان عن إسحاق قال : كان التيمي وأخوه أبو التيحان وابن عم له يقال له : قبيصة يشربون في حانة حتى سكروا وانصرفوا من غد ، فقال التيمي يذكر ذلك ويتشوق مثله :

صوت

هل إلى سكرة بناحية الحيرة شعاء يا قبيص سبيل
وأبو التيحان في كفه القرعة والرأس فوقه إكليل
وعرار كأنه بيذق الشطرز حج يفتن فيه قال وقيل

الشعر للتيمي والغناء لمحمد بن الأشعث ، رمل بالوسطى .

[يشترى ضيعة بجائزة الأمين]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا أبو العيلاء عن أبي العالية ، قال : أمر محمد الأمين لعبد الله بن أيوب بجائزة عشرة آلاف دينار ثواباً عن بعض مدائحه ، فاشترى بها ضيعة بالبصرة ، وقال بعد ابتياعه إياها :

إني اشتريت بما وهبت لي أرضاً أمون بها قرابتيه¹
فبحسن وجهك حين أسأل قل يا ابن الربيع احمل إليه ميه

فغني بها الأمين ، فقال للفضل : بحياتي يا عباسي ، احمل إليه مائة ألف . فدعا به فأعطاه خمسين ألفاً ، وقال له : الخمسون الأخر لك علي إذا اتسعت أيدينا .

[المأمون يعطيه ثمن جارية]

أخبرني الحسن ، قال : حدثني أبو العيلاء ، عن أبي العالية قال : عشق التيمي جارية لبعض النخاسين ، فشكا والده بها إلى أبي عيسى بن الرشيد ، فقال أبو عيسى للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إن التيمي يجد بجارية لبعض النخاسين ، وقد كتب إلي بيتين يسألني فيهما ثمنها ، فقال : وما هما ؟ فقال :

يا أبا عيسى إليك المشتكى وأخو الصبر إذا عيل شكا
ليس لي صبر على فقدانها وأعاف المشرب المشتركة

قال : فأمر له بثلاثين ألف درهم فاشتراها بها .

[يمدح الفضل بن الربيع يوم عيد]

أخبرني الحسن قال : حدَّثني أبو العيْناء عن أبي العالِيَة قال : دخل التيميَّ إلى الفضل بن الربيع في يوم عيد فأنشده :

[من الطويل]

ألا إنما آل الربيع ربيعٌ وغيثُ حَيًّا للمرملين مريعُ
إذا ما بدا آل الربيع رأيتهم لهم دَرَج فوق العبادِ رفيعُ
فأمر له بعشرة آلاف درهم .

[ثلاثة آلاف على ثلاثة أبيات]

أخبرني عيسى بن الحسن قال : حدَّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدَّثنا الزبير بن بكار قال : مدح أبو محمد التيميَّ الفضل بن يحيى بثلاثة أبيات ودفعها إلى إسحاق الموصلي ، فعرضها على الفضل بن يحيى ، فأمر له بثلاثة آلاف درهم ، والأبيات :

[من الطويل]

لعمرك ما الأشرافُ في كلِّ بلدة وإن عظموا للفضل إلا صنائعُ
ترى عظماء الناس للفضل خُشَعاً إذا ما بدا والفضلُ لله خاشعُ
تواضع لما زاده اللهُ رفعةً وكلُّ جليلٍ عنده متواضعُ

[ينظم في معنى للحجاج]

أخبرني جَحْظَةُ قال : حدَّثني عليُّ بن يحيى المنجم قال : حدَّثني إسحاق الموصليُّ عن محمد بن سلام قال : كتب الحجاجُ إلى قُتَيْبَة بن مسلم : إنِّي قد نظرت في سِنِّي ، فإذا أنا ابنُ ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لِدَة عام . وإن امرأً قد سار إلى منهل خمسين سنة لقریب أن يَرِدَه ، والسلام .

[من الطويل]

فسمع هذا أبو محمد التيميَّ منِّي فقال :
إذا ذهب القَرْن الذي أنتَ فيهِمُ وخُلِّفَت في قَرْن فأنْتَ غريبُ
وإن امرأً قد سار خمسين حِجَّةً إلى منهلٍ من وِردِه لقریبُ

[إجازة المأمون على شعر في الأمين]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بنُ أبي طاهر ، قال : حدَّثني أبو دِعامَة عليُّ بنُ يزيد قال : حدَّثني التيميُّ أبو محمد قال : دخلتُ على الحسن بن سهل ، فأنشدته مديحاً في المأمون ومديحاً فيه ، وعنده طاهر بن الحسين ، فقال له طاهر : هذا والله أيتها الأمير الذي يقول في محمد المخلوع :

[من المنسرح]

لا بُدَّ من سَكْرَةٍ على طَرَبٍ لعلَّ رَوْحاً يُدبِل من كُرَبٍ

خليفة الله خير منتجبٍ لخير أم من هاشمٍ وأبٍ
 خلافة الله قد توارثها أباه في سالف الكتبِ
 فهي له دونكم مورثة عن خاتم الأنبياء في الحقبِ
 يا ابن الذرى من ذوائب الشرف الـ أقدم أنتم دعائم العربِ

فقال الحسن : عرض والله ابن اللخناء بأمير المؤمنين ، والله لأعلمنه . وقام إلى المأمون فأخبره ، فقال المأمون : وما عليه في ذلك ؟ رجل أمل رجلاً فمدحه ، والله لقد أحسن بنا ، وأساء إليه إذ لم يتقرب إليه إلا بشرب الخمر ؛ ثم دعاني فخلع عليّ وحملي ، وأمر لي بخمسة آلاف درهم .

[أول شعر له وصل به إلى الخليفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني أبو الشبل البرجمي عن أبيه قال : قال لي أبو محمد التيمي : أول شعر عرفت به فشاع فيه ذكري ووصلت به إلى الخليفة قولي :

صوت

طاف طيفاً في المنامِ بمحببٍ مستهامِ
 زورة أبقّت سقاماً وشفّت بعض السقامِ
 لم يكن ما كان فيها من حرامٍ بحرامِ
 لم تكن إلاً فوقاً وهي في ليل التمامِ

الغناء لإسحاق . فقال : فصنع فيها إسحاق لحناً وغنى به الرشيد ، فسأله عن قائل الشعر ، فقال له : صديق لي شاعر ظريف ، يُعرف بالتيمي ، فطلبت وأمرت بالحضور ، فسألت عن السبب الذي دُعيت له فعرفته ، فأتمت الشعر وجعلته قصيدة مدحت بها هارون . ودخلت إليه فأنشدته إياها ، فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وصرت في جملة من يدخل إليه بنوبة وأمر أن يدون شعري .

[إسحاق يطعمه ويسقيه ويغنيه]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثني عمي طيّاب بن إبراهيم الموصلي قال : حدثني أبو محمد التيمي الشاعر قال : اجترت يوماً بأخيك إسحاق فقال : ادخل حتى أطعمك طعاماً صرفاً ، وأسقيك شرباً صرفاً وأغنيك غناء صرفاً ، فدخلت إليه ، فأطعمني لحماً مكبباً ، وشواء حاراً وبارداً مبرراً ، وأسقاني شرباً عتيقاً صرفاً ، وغنّاني وحده مرتجلاً :

[من الطويل]

ولو أن أنفاسي أصابت بحرّها
ولو أن عيني أطلقت من وكائها
ولو أن سلمى تطلع الشمس دونها
لحدت نفسي أن تريع بها النوى
حديداً إذاً كاد الحديدُ يذوبُ
لما كان في عام الجدوبِ جدوباً¹
وأُمسي وراء الشمس حين تغيبُ
وقلتُ لقلبي إنها لقريب²

فلم تزل تلك حالي حتى حُمِلتُ من بيته سكران .

[عمرو بن مسعدة يعطي حق الإذن للموصلي]

أخبرني جحظة قال : حدثنا حمادُ بن إسحاقَ عن أبيه ، قال : دخلتُ يوماً على عمرو بن مسعدة ، فإذا أبو محمد التيمي واقف بين يديه يستأذنه في الإنشاد ، فقال : ذاك إلى أبي محمد ، يعنيني ، وكان على التيمي عاتباً ، فكره أن يمنعه لإعلمه بما بيننا من المودة ، فقلت له : أنشد إذ جعل الأمر إليّ ، فأرجو أن يجعل أمر الجائزة أيضاً إليّ . فتبسّم عمرو ، وأنشده التيمي :

[من الخفيف]

يا أبا الفضل كيف تغفل عني
أنسيت الإخاء والعهد والودّ حـ
أنا من قد بلوت في سالف الدهـ
فاصطنعني لما ينوب به الدهـ
أنا ليت على عدوك سلّم
أنا سيف يوم الوغى وسنان
أنا طبّ في الرأي في موضع الرأ
وأمرن على الودائع والسـ
ونديم إذا أردت نديماً
أم تخلي عند الشدائد مني ؟
ديثاً ما كان ذلك ظني
ر مضت شرتي ولم تفن سني
ر فإني أجوز في كل فن
لك في الحرب فابتدلي وصني
ومجن إن لم تتق بمجن
ي معين على الخصيم المعن
ر إذا ما هويت أن تأمني
ومغن إن لم يزرك مغن

قال : فأقبل عليّ عمرو وهو يضحك ، وقال : أتعلّم هذا الغناء منك أم كان يعلمه قديماً ؟

فقلت له : لم يكذب ، أعزك الله . فقال : أفي هذا وحده أو في الجميع ؟ فقلت : أما في هذا فأنا أحق كذبه ، والله لأعلم بالباقي . ثم أنشده :

[من الخفيف]

وإذا ما أردت حجاً فرحاً
ل دليل إن نام كل ضيف³

1 الوكاء في الأصل : رباط القرية ، فأطلقه مجازاً على العين .

2 تريع : ترجع .

3 الضفن : الأحق العظيم الخلق .

فقال له : إذا عزمنا على الحجِّ امتحنَّاك في هذا ، فإنِّي أراك تصلح له ، ثم أنشده :
وليبُّ على مقال أبي العبد
س إنِّي أرى به مسَّ جنِّ

فقال : ما أراه أبعد ، فقال :

وهو النَّاصح الشفيق ولكن
وظريفٌ عندَ المزاحِ خفيفٌ
كيف باعدتَ أو جفوتَ صديقاً
صرتُ بعدَ الإكرامِ والأنسِ أرضى
لم تخنني ولم أحنك ولا والد
إن أكن تُبتُ أو هجرت الملاهي
فحدِيثي كالدرِّ فُصل باليا

خاف هيجَ المرارِ فازورَ عني
في الملاهي وفي الصِّبا متجنِّ
لا ملولاً ، لا لا ولا متجنِّ
منك بالترهاتِ ما لم تُهني
ه ربِّي لا خنتُ من لم يخني
وسُلفاً يُجنُّها بطنُ ذنِّ
قوت يجري في جيد ظمي أغنِّ

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، فقال له : هذا شيء تطوعتَ به ، فأين موضع حُكمي ؟
فقال : مثلها ، فانصرف بعشرة آلاف درهم .

[حين إلى الشراب]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني محمدُ بنُ الحسنِ بنِ مسعود قال : حدَّثني عليُّ بنُ عمرو قال :
مرَّ التيميُّ بالحيرة على حَمَّارٍ كان يألفه ، وقد أسنَّ التيميُّ وأرعش ، وترك النبيذ . فقال له
الخمَّار : ويحك ! أبلغ بك الأمر إلى ما أرى ؟ فقال : نعم والله ، لولا ذلك لأكثرتُ عندك ،
ثم أنشأ يقول :

صوت

هل إلى سكرة بناحية الح
سيرة يوماً قبل المماتِ سبيلُ ؟
وأبو التَّيحانِ في كفه القر
عة والرأسُ فوقه الإكليلُ
وعرارُ كأنه بيذق الشَّط
رنج يفتنَّ فيه قال وقيلُ

في هذه الأبيات لمحمد بن الأشعث رمل بالوسطى عن الهشامي .

[يهوى غلاماً يهوى جاريته]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثنا عيسى بنُ إسماعيل قال : كان أبو محمد
التيميُّ يهوى غلاماً ، وكان الغلام يهوى جارية من جواري القيان ، فكان بها مشغولاً عنه ،
وكانت القينة تهوى الغلام أيضاً فلا تفارقه ، فقال التيميُّ :

[من السريع]

ويلي على أعيدَ ممكورٍ
وساحرٍ ليس بمسحورٍ

تَوَثَّرَهُ الحُورِ عَلَيْنَا كَمَا
عُلِّقَ مَنْ عُلِّقَ فِيهِ هَوَى
مَنْتَظِمِ الأَلْفَةِ مَغْمُورِ
مَقْلَبِ صَفْقَةِ مَقْمُورِ
نَوَثَّرَهُ نَحْنُ عَلَى الحُورِ

[الأمين يأمر بملء زورقه دراهم]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن أبي سعد قال : حدثني أحمد بن محمد الفارسي قال :
حدثنا غسان بن عبد الله عن أبي محمد التيمي قال : لما أنشدت الأمين قولي فيه : [من المنسرح]
خليفة الله خيرٌ منتجبٍ
أكرمٌ يعرفينِ يجرانٍ به
إلى الإمام المنصور في النسبِ
طرب ، ثم قال للفضل بن الربيع : بحياتي أوقر له زورقه دراهم ، فقال : نعم يا سيدي :
فلما خرجنا طالبته بذلك ، فقال : أمجنون أنت ؟ من أين لنا ما يملأ زورقك ؟ ثم صالحني
على مائة ألف درهم ، فقبضتها .
[الخضوع لله]

أخبرني حبيب بن نصر المهلي ، قال : حدثني محمد بن عبد الله المدني قال : حدثني عبد الله بن
أحمد التيمي ابن أخت أبي محمد التيمي الشاعر ، قال : أنشدني خالي لنفسه قوله : [من البسيط]
لا تخضعن لمخلوقٍ على طمعٍ
فإن ذاك مُضِرٌّ منك بالدِّينِ¹
وارغب إلى الله ممّا في خزائنه
فإنما هو بين الكاف والنون
أما ترى كل من ترجو وتأمله
من الخلائق مسكين ابن مسكين

صوت

[من الوافر]

ألم تر أنّي أفنيتُ عمري
فلما لم أجد سبباً إليها
حججتُ وقلتُ قد حجّت جنان
بمطلبها ومطلبها عسيرٌ ؟
يُقرّبني وأعييتني الأمورُ
فيجمعُني وإياها المسيرُ
الشعر لأبي نواس² ، والغناء للزبير بن دحمان ، رملٌ بالوسطى من رواية أحمد بن المكّي
وبذل ، وغناني محمد بن إبراهيم قريض الجراحي ، رحمه الله ، فيه لحناً من خفيف الثقليل ،
فسألته عن صانعه فلم يعرف .

1 لا تخضعن في ل : لا تضرعن .

2 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 230 .

[414] - أخبار أبي نواس وجنان خاصة

إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة

[أبو نواس صادق في حب جنان]

كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثَّقَفِيّ المحدث الذي كان ابنُ مُناذِرٍ يصحب ابنه عبدَ المجيد ، وراثه بعد وفاته ، وقد مَضَتْ أخبارهما .
وكانت حُلوةً جميلةً المنظرِ أديبةً ، ويقال : إنَّ أبا نواسٍ لم يصدُق في حبِّ امرأةٍ غيرَها .
[حجّت فحج]

أخبرني محمد بنُ خلفِ المرزبان قال : حدّثني إسحاق بن محمدٍ عن أبي هِفان عن أصحابِ أبي نواس قالوا : كانت جنانُ جاريةً حسناءً أديبةً عاقلةً ظريفةً ، تعرف الأخبار ، وتروي الأشعار . قال اليؤيؤُ خاصةً : وكانت لبعض الثَّقَفِيّين بالبصرة ، فرآها أبو نواسٍ فاستحلاها ، وقال فيها أشعاراً كثيرةً ، فقلتُ له يوماً : إنَّ جنانَ قد عرّمت على الحجّ ، فكان هذا سببَ حجّه ؛ وقال : أما والله ، لا يفوتني المسيرُ معها والحجُّ عامي هذا إن أقامت على عزيمتها ، فظننته عابثاً مازحاً ؛ فسبقها والله إلى الخروج بعد أن علم أنها خارجة ، وما كان نوى الحجّ ، ولا أحدث عزمه له إلاّ خروجها ، وقال وقد حجّ وعاد : [من الوافر]

بمطلبها ومطلبها عسيرُ ؟	ألم ترَ أنّي أفيتُ عمري
يقرّبني وأعيّني الأمورُ	فلما لم أجِدُ سبباً إليها
فيجمعُنّي وإياها المسيرُ	حججتُ وقلتُ قد حجّت جنان

قال اليؤيؤُ : فحدّثني منَ شهده لما حجّ مع جنانَ وقد أحرم ، فلما جنّه الليل جعل يليي بشعر ويحدو به ويُطرب ، فغنّني به كلّ من سَمِعَه ، وهو قوله¹ : [من مجزوء الرجز]

إلهنا ما أعدلك !	مليك كلِّ من ملك
لبيك قد لبيتُ لك	لبيك إنَّ الحمد لك
والملك لا شريك لك	والليل لما أن حلّك
والساجحات في الفلك	على مجاري المنسلك

ما خاب عَيْدُ أَمَلِكُ أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكُ
لولاك يا رَبُّ هَلِكُ كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلِكُ
وَكُلُّ مَنْ أَهَلَ لَكَ سَبَّحَ أَوْ لَبَّى فَلَكَ
يا مَخْطِئاً ما أَغْفَلُكَ ! عَجَّلْ وَبادِرْ أَجَلَكَ
واخْتِمْ بِخَيْرِ عَمَلِكَ لَبَّيْكَ إِنَّ المَلِكَ لَكَ
والْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالعِزَّ لا شَرِيكَ لَكَ

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ قالا : حدثنا عمر بن شبة قال : كانت جنان التي يذكرها أبو نواس جارية لآل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي ، وفيها يقول¹ :

جَفَنُ عَيْنِي قَد كاد يَسُ قُطُّ مِنْ طُولِ ما اِخْتَلَجُ
وفؤادي مِنْ حَرِّ حُبِّ كِ وَالهِجْرِ قَد نَضِجُ
خَيْرِ نَبِيٍّ فَدَتِكَ نَفْ سِي وَأَهْلِي : مَتَى الفَرَجُ ؟
كان مِيعادُنَا خَرُو جَ زِيادَ فَقد خَرَجُ
أَنْتَ مِنْ قَتْلِ عائِد بَلْ فِي أَضيقِ الحَرَجُ

[رأها منصرفة من عرس فارتجل شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدثني إسحاق بن محمد النخعيُّ قال : حدثني الجَمَّازُ ، قال ابن عمّار : وحدثني به قُليبُ بنُ عيسى قال : كانت جنان قد شهدت عرساً في جوار أبي نواسٍ ، فانصرفت منه وهو جالس معنا ، فرأها فأنشدنا بديهاً قوله² : [من الخفيف]

شَهِدْتُ جَلْوَةَ العَروسِ جِنانُ فَاسْتَمالَتْ بِحُسْنِها النَظارَةَ
حَسِبَوا العَروسَ حينَ رَأواها فإليها دون العَروسِ الإِشارَةَ
قال أَهلُ العَروسِ حينَ رَأواها ما دَهانَا بِها سواكِ عُمارة

قال : وعمارة زوج عبد الرحمن الثقفي ، وهي مولاة جنان .

[يعتذر لها فكان ردّها جافياً]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليُّ ومحمد بن خلف قالا : حدثنا يزيد بن محمد المهلبِيُّ عن

1 ديوانه : 230 .

2 ديوانه : 241 .

محمد بن عمر ، قال : غضبتُ جناناً من كلامٍ كَلَّمها به أبو نواسٍ ، فأرسل يعتذرُ إليها ، فقالت للرسول : قُلْ له : لا بَرِحَ الهِجْرانُ رَبْعَكَ ، ولا بَلَّغْتَ أملك من أَحَبَّتِكَ ، فرجع إليه ، فسأله عن جوابها ، فلم يخبره فقال¹ :

فَدَيْتَكَ فِيمَ عَتَبِكَ مِنْ كَلَامٍ نَطَقْتَ بِهِ عَلَى وَجْهِ جَمِيلٍ ؟
وَقَوْلِكَ لِلرَّسُولِ عَلَيْكَ غَيْرِي فليس إلى التواصلِ من سبيلِ
فَقَدْ جَاءَ الرَّسُولُ لَهُ انْكَسَارٌ وَحَالٌ مَا عَلَيْهَا مِنْ قَبُولِ
وَلَوْ رَدَّتْ جِنانُ مَرَدٍّ خَيْرٌ تَبَيَّنَ ذاكَ فِي وَجْهِ الرَّسُولِ

[عتاب واستمالة]

قال أبو خالدٍ يزيدُ بنُ محمدٍ : وكان أبو نواسٍ صادقاً في محبته جناناً من بين مَنْ كان يَنْسُبُ به من النساءِ ويداعبه ، ورأيتُ أصحابنا جميعاً يُصَحِّحونَ ذلكَ عنه ، وكان لها مُجَبَّأً ، ولم تكن تُحِبُّه ، فَمِمَّا عاتبها به حتى استمالها بصحَّةِ حُبِّه لها فصارت تُحِبُّه بعد نُبوِّها عنه قوله² :

[من المنسرح]

جِنانُ إِنْ جُدْتَ يا مَنائِي بما آمَلْ لَمْ تَقْطُرِ السَّماءِ دَمًا
وَإِنْ تَمادَيْ ، ولا تَمادَيْتِ فِي مَنعِكَ ، أَصْبَحَ بِقَفْرَةٍ رَمِماً³
عَلِقْتُ مَنْ لَوْ أَتَى عَلَى أَنْفُسِ المِ ضائِنِ والغابرينَ ما نَدِماً
لو نَظَرْتَ عِينُهُ إلى حَجَرٍ وَلَدَ فِيهِ فُتُورُها سَقَمًا

[رحمته من الحاحه]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرِ النحويِّ صهرُ المبرِّدِ قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسمِ عن أبي هِفانَ عن الجَمَّازِ ، وأخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال : حدَّثني عَوْنُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني الجَمَّازُ قال : كنتُ عندَ أبي نواسٍ جالساً إذ مرَّت بنا امرأةٌ مِمَّنْ يداخلُ الثَّقَفِيينَ ، فسألها عن جنانٍ وألحفَ في المسألةِ واستقصى ، فأخبرته خبيرها وقالت : قد سمعتها تقول لصاحبةِ لها من غيرِ أنْ تعلمَ أنّي أسمعُ : وَيَحْكُ ! قد آذاني هذا الفتى ، وأبرمتي ، وأخرجَ صدري ، وضيَّقَ عليَّ الطرُقَ بِحدَّةِ نَظَرِهِ وتَهتِكِهِ ؛ فقد لهجَ قلبي بذِكْرِهِ والفكرِ فيه من كثرةِ فِعْلِهِ لذلكَ حتى رحمته ، ثم التفتت فأمسكتُ عن الكلامِ ؛ فسرَّ أبو نواسٍ بذلكَ ، فلما قامت المرأةُ أنشأ يقول⁴ :

[من البسيط]

1 ديوانه : 249 .

2 ديوانه : 233 .

3 رمم : عظام بالية .

4 ديوانه : 248 .

يا ذا الذي عن جنانٍ ظلَّ يُخبرنا
قال اشتكتكَ وقالت ما ابتليتُ به
ويعمل الطرفَ نحوِي إن مررتُ به
وإن وقفت له كيما يكلمني
ما زال يفعلُ بي هذا ويُدمنه
حتى لقد صار من همِّي ومن وطري

[رسالة إلى القاضي الناصح]

أخبرني أحمدُ بنُ عُبيد الله بنِ عمّار قال : حدّثني عليُّ بن محمدِ النَّوفليُّ وأحمدُ بن سليمان بن أبي شيخٍ قالا : قال ابن عائشة : وأخبرني الحسنُ بن عليٍّ وابن عمّار عن الغلابيِّ عن ابن عائشة : قال ابن عمّار : وحدثت به عن الجمّاز ، وذكره لي محمدُ بن داودَ الجراح عن إسحاق النَّخعيِّ عن أحمد بن عُمر¹ : أن محمدَ بن حفص بن عمّر التميميِّ ، وهو أبو ابن عائشة ، انصرفَ من المسجدِ وهو يتولّى القضاء ، فرأى أبا نواس قد خلا بامرأة يكلمها . وقال أحمدُ بن عُمر في خبره : وكانت المرأة قد جاءت برسالة جنانٍ جارية عمارة امرأة عبد الوهّاب بن عبد المجيد ، فمرَّ به عمْرُ بن عثمان التميميُّ وهو قاضي البصرة ، هكذا ذكر دحمْدُ بن عُمرٍ وحده ، وذكر الباقر جميعاً أنّه محمدُ بن حفص .

قال الجمّاز : وكانت عليه ثياب بياض ، وعلى رأسه قلنسوة مضرّبة فقال له : اتق الله ، قال : إنّها حرمتي ، قال : فصنّها عن هذا الموضع . وانصرف عنه ، فكتب إليه دبو نواس² :

صوت

إنّ التي أبصرتّها
أدّت إليّ رسالةً
من ساحرِ العينين
متقلّد قوس الصبّا
فلو أنّ أذنك بيننا
بكرًا أكلمها رسول³
كادت لها نفسي تسيلُ
يجذب خصره ردْفُ ثقبيلُ
يرمي وليس له رَسيل⁴
حتى تسمع ما تقولُ

1 انظر «أخبار أبي نواس» لأبي هفان ، (فراج) .

2 ديوانه : 270 .

3 بكرًا أكلمها في الديوان : سحرًا أكلمها .

4 الرسيل : الموافق في النضال .

لرأيتَ ما استقبحتَ من أمري هو الأمرُ الجميل¹

في هذه الأبيات لحنان من الرمل وخفيفه ، كلاهما لأبي العنيس بن حمدون .
قال ابن عمير : ثم وجه بها فالقيت في الرقاع بين يدي القاضي ، فلما رآها ضحك ،
وقال : إن كانت رسولاً فلا بأس .
وقال ابن عائشة في خبره : فجاءني برقعة فيها هذه الأبيات ، وقال لي : ادفعها إلى أبيك ،
فأوصلتها إليه ، ووضعتها بين يديه ، فلما قرأها ضحك ، وقال : قل له : إني لا أتعرضُ
للشعراء .

[التعمية عنها لا تنطلي]

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : كان أبو عثمان أخا مولى
جنان ، وكان مولاها أبو مية زوج عمارة وهي مولاتها ، وكانت له بحكمان ضيعة كان ينزلها هو
وابن عم له يقال له : أبو مية ، فقال أبو نواس فيه قوله : [من الخفيف]

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانَ كَيْفَ خَلَفْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ
وَأَبَا مِيَةَ الْمَهْدَبِ وَالْمَا جَدَّ وَالْمَرْتَجِي لِرَيْبِ الزَّمَانِ
فَيَقُولَانِ لِي : جِنَانٌ كَمَا سَرَّ كَ فِي حَالِهَا فَسَلُّ عَنْ جِنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يَبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْدَهُمْ كِتْمَانِي

[عبث لا عشق]

فأخبرني ابن عمار قال : حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثني محمد بن عبد
الملك بن مروان الكاتب قالوا : كنت جالسا بسر من رأى في شارع أبي أحمد ، فأنشدني قول
أبي نواس :

أَسْأَلُ الْمُقْبِلِينَ مِنْ حَكَمَانَ كَيْفَ خَلَفْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ ؟

وإلى جانبي شيخ جالس فضحك ، فقلت له : لقد ضحكت من أمر ، فقال : أجل ، أنا أبو
عثمان الذي قال أبو نواس فيه هذا الشعر ، وأبو مية ابن عمي ، وجنان جاريتة أخي ، ولم تكن في
موضع عشق ، ولا كان مذهب أبي نواس النساء ، ولكنه عبث خرج منه .

[سبقة النابغة الجعدي إلى التكنية في شعره بغير اسم صاحبه]

أخبرني علي بن سليمان قال : قال لي أبو العباس محمد بن يزيد : قال النابغة
الجعدي :

1 أمرى في الديوان : أمرنا .

أَكْنِي بَعِيرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ اللدُّ هُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَمٍ
وهو سَبَقَ النَّاسَ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى ، وَأَخَذُوهُ جَمِيعاً مِنْهُ ، وَأَحْسَنُ مَنْ أَخَذَهُ أَبُو نُؤَاسٍ حَيْثُ
يقول :

أَسْأَلُ الْمُقْبَلَيْنِ مِنْ حَكْمَانِ كَيْفَ خَلَفْتُمَا أَبَا عَثْمَانَ ؟
فَيَقُولَانِ لِي جِنَانٌ كَمَا سَرَّ كَ فِي حَالِهَا فَسَلَّ عَنْ جِنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يَبَارِكُ اللهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُعْنَ عِنْدَهُمْ كِتْمَانِي

[أنست المأتم أشجانه]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمَّارٍ ، أَنَشَدَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَدَقَةَ الْأَنْبَارِيِّ لِأَبِي نُؤَاسٍ
يَذْكُرُ مَأْتَمًا بِالْبَصْرَةِ ، وَحَضْرَتَهُ جِنَانًا¹ :

[من السريع]

يَا مُنْسِيَ الْمَأْتَمِ أَشْجَانَهُ لَمَّا أَتَاهُمْ فِي الْمُعْزِينَا
سَرَتْ قِنَاعَ الْوَشِيِّ عَنِ صُورَةِ أَلْبَسَهَا اللهُ التَّحَاسِينَا²
فَاسْتَفْتَتْنَهُنَّ بِتِمْتَالِهَا فَهِنَّ لِلتَّكْلِيفِ يَبْكِينَا
حَقٌّ لِذَلِكَ الْوَجْهِ أَنْ يَزِدْهُيَ عَنِ حَزْنِهِ مَنْ كَانَ مَحْزُونًا

[أبرزها له المأتم]

أَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ النَّخَعِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرِو بْنِ
أَبَانَ النَّخَعِيِّ ، وَكَانَ صَدِيقًا لِأَبِي نُؤَاسٍ : أَنَّ أَبَا نُؤَاسٍ أَشْرَفَ مِنْ دَارِهِ عَلَى مَنْزِلِ عَبْدِ الْوَهَّابِ
الثَّقَفِيِّ ، وَقَدْ مَاتَ بَعْضُ أَهْلِهِ وَعِنْدَهُمْ مَأْتَمٌ ، وَجِنَانٌ وَاقْفَةٌ مَعَ النِّسَاءِ تَلْطِمُ وَجْهَهَا وَفِي يَدَيْهَا
خِضَابٌ ، فَقَالَ³ :

[من السريع]

يَا قَمْرًا أَبْرَزَهُ مَأْتَمٌ يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَبْكِي فَيُذْرِي الدُّرَّ مِنْ عَيْنِهِ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ⁴
لَا تَبْكُ مِيتًا حَلًّا فِي حُفْرَةٍ وَأَبْكُ قَتِيلًا لَكَ بِالْبَابِ
أَبْرَزَهُ الْمَأْتَمُ لِي كَارِهًا بِرَغْمِ دَايَاتِ وَحِجَابِ
لَا زَالَ مَوْتًا دَابُّ أَحْبَابِهِ وَلَا تَزَلْ رُؤْيَتُهُ دَابِي

1 ديوانه : 242 .

2 سرت في الديوان : حلت ، وسرت : ألت .

3 ديوانه : 242 .

4 يذري : ينشر .

[سفيان بن عيينة يستحسن هذا الشعر]

فحدَّثني أحمدُ بنُ عبيدِ اللهِ بنِ عمَّارٍ ، قال : حدَّثني محمدُ بنُ القاسمِ ، حدَّثني محمدُ بنُ عائشةَ قال : قال لي سفيانُ بنُ عيينَةَ : لقد أحسنَ بَصْرِيكُمْ هذا أبو نواسٍ حيث يقول ، وشدَّد الواوَ وفتحَ النونَ :

[من السريع]

يا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَأْتَمٍ يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَيْكِي فَيُذْرِي الدَّرَّ مِنْ عَيْنِهِ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بَعْنَابِ

قال : وجعل يعجب من قوله : ويلطم الورد بعناب .

وأخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي سعيدٍ قال : حدَّثني محمدُ بنُ محمدٍ قال : حدَّثني حسينُ بنُ الضَّحَّاكِ قال : أنشد ابنُ عيينَةَ قولَ أبي نواسٍ : [من السريع]

يَيْكِي فَيُذْرِي الدَّرَّ مِنْ طَرْفِهِ وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بَعْنَابِ

فوجدتُ منه ، وقال : آمنت بالذي خلَّقه . وقد قيل : إنَّ أبا نواسٍ قال هذا الشعر في غير

جنان .

[ربما كانت أبياته في غير جنان]

أخبرني بذلك الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنُ مَهْرُوبِهِ ، قال : حدَّثني بعض الصيارف بالكركخ ، وسماه ، قال : كان حارسُ دَرَبِ عَوْنٍ يقال له : المبارك ، وكان يلبس ثياباً نظيفةً سرَّيةً ، ويركب حماراً ، فيطوف عليه السوق بالليل ويكرهه بالنهار ، فإذا رآه من لا يعرفه ظنَّ أنَّه من بعض التجار ، وكان يصل إليه في كلِّ شهر من السوق ما يسعُّه ويفضُّل عنه ، وكانت له بنت من أجمل النساء ، فمات مباركٌ وحضره النَّاسُ ، فلما أُخْرِجَتْ جنازته خرجت بنته هذه حاسرةً بين يديه ، فقال أبو نواسٍ فيها :

[من السريع]

يا قَمَرًا أَبْرَزَهُ فِي مَأْتَمٍ يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ

وذكر الأبيات كلها .

[تطلب ألا يزورها أياماً]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرٍ قال : حدَّثني أحمدُ بنُ القاسمِ عن أبي هَفَّانٍ عن الجَمَّازِ واليَؤُوبِ وَأَصْحَابِ أَبِي نُوَاسٍ أَنَّ جِنَانَ وَجَّهَتْ إِلَيْهِ : قد شَهَرْتَنِي ، فاقطع زيارتَكَ عَنِّي أَيَّامًا لِيَنْقَطَعَ بعضُ القالةِ ، ففعل ، وكتب إليها¹ :

[من المنسرح]

إِنَّا اهْتَجَرْنَا لِلنَّاسِ إِذْ فَطَنُوا
وَبَيْنَا حِينَ نَلْتَقِي حَسَنٌ¹
نُدَافِعُ الْأَمْرَ وَهُوَ مُقْتَبِلٌ
فَشَبَّ حَتَّى عَلَيْهِ قَدْ مَرَنُوا
فَلَيْسَ يُقْذِي عَيْنَا مُعَايِنَةً
لَهُ وَمَا إِنْ تَمُجَّهَ أُذُنُ
وَيَحُ ثَقِيفٍ مَاذَا يَضُرَّهُمْ
أَنْ كَانَ لِي فِي دِيَارِهِمْ سَكَنٌ²
أُرَيْبُ مَا بَيْنَنَا الْحَدِيثُ فَإِنْ
زِدْنَا فَرِيدُوا وَمَا لِيَذَا ثَمَنُ

[رسالة لجنان من بغداد]

أخبرني الحسن بن علي³ قال : حدثنا ابن مَهْرُؤَيْه ، قال : حدثني ابنُ أَبِي سَعْدٍ قال : بلغني
أنَّ أبا نُواسٍ كتب إلى جِنَانٍ من بغداد³ :

[من الطويل]

كَفَى حَزناً أَلَّا أَرَى وَجَهَ حَيْلَةٍ
أَزُورُ بِهَا الْأَحْبَابَ فِي حَكَمَانِ
وَأَقْسِمُ لَوْلَا أَنْ تَنَالَ مَعَاشِرُ
جِنَاناً بَمَا لَا أَشْتَهِي لِجِنَانِ
لَأَصْبَحْتُ مِنْهَا دَانِي الدَّارِ لِاصْفَا
وَلَكِنِّ مَا أَخْشَى ، فُدَيْتِ ، عِدَانِي
فَوَاحِزناً حَزْناً يُوَدِّي إِلَى الرَّدَى
فَأَصْبَحَ مَأْثُوراً بِكُلِّ لِسَانِ
أُرَانِي انْقَضَتْ أَيَّامٌ وَصَلِي مِنْكُمْ
وَأَذَنُ فَيْكُمْ بِالْوَدَاعِ زِمَانِي

[شتمته وتقصته]

أخبرني الحسن⁴ قال : حدثنا ابن مَهْرُؤَيْه عن يحيى بن محمد عن الخُرَيْمِيِّ قال : بلغ أبا
نُواسٍ أَنَّ امرأةً ذَكَرَتْ لِجِنَانَ عَشَقَهُ لَهَا ، فَشْتَمْتَهُ جِنَانٌ وَتَقْصَتَهُ وَذَكَرْتَهُ أَقْبَحَ الذِّكْرِ ،
فَقَالَ⁴ :

[من المسرح]

وَإِطْوَلُ وَجَدِي بِهِ تَقْصِنِي
وَإِطْوَلُ وَجَدِي بِهِ تَقْصِنِي
وَأَبِي مَنْ إِذَا ذُكِرْتُ لَهُ
فِي سَبِّهِ لِي لِقَالٍ : يَعْشِقُنِي
نَعْمَ إِلَى الْحَشْرِ وَالتَّنَادِ نَعْمُ
أَعْشَقُهُ أَوْ أَلْفٌ فِي كَفْنِي
أَصْبِيحُ جَهْرًا لَا أُسْتَسِرُّ بِهِ
عَنْفَنِي فِيهِ مَنْ يُعْنَفُنِي
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ فَاسْمَعُوهُ وَعُؤَا :
أَنَّ جِنَاناً صَدِيقَةَ الْحَسَنِ

1 اهتجرنا : تقاطعنا .

2 السكن : ما يسكن إليه .

3 ديوانه : 254 .

4 ديوانه : 291 .

[رآها في المنام بعد الحجر]

فبلغها ذلك . فهجرته ، وأطالت هجره ، فرآها ليلة في منامه وأنها قد صالحته ، فكتب إليها¹ :

إذا التقى في النوم طيفانا
يا قرّة العين فما بالناس
لو شئت إذ أحسنت لي في الكرى
يا عاشقين اصطلحا في الكرى
كذلك الأحلام غدارة
و ربّما تصدق أحيانا

الغناء في هذه الأبيات لابن جامع ، ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

وقال الخريمي : ورآها يوماً في ديار ثقيف فجبّهته بما كرهه ، فغضب وهجرها مدة ، فأرسلت إليه رسولاً تصالحه فردّه ، ولم يصالحها ، ورآها في النوم تطلب صلحّه ، فقال² :

دست له طيفها كيما تصالحه
فلم يجد عند طيفي طيفها فرجاً
حسبت أنّ خيالي لا يكون لهما
جنان لا تسأليني الصلح سرعة ذا

وأنشدني علي بن سليمان الأخفش لأبي نواس في جنان³ :

أما يفنى حديثك عن جنان
أكلّ الدهر قلت لها وقالت
جعلت الناس كلّهم سواء
عدوك كالصديق وذا كهذا
إذا حدثت عن شأنٍ تواتر
عجائبه أتيتهم بشأن⁴

[من الوافر]

1 ديوانه : 244 .

2 ديوانه : 283 .

3 ديوانه : 288 .

4 عن شأن تواتر في الديوان : عن شيء فولت .

فلو مؤهت عنها بأسم أخرى علمنا إذ كنيته من أنت عانٍ ؟

[بيعت ورحلت]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني يحيى بن محمد السلمي قال : حدثني أبو عكرمة الضبي : أن رجلاً قدم البصرة فاشتري جناناً من مواليها ، ورحل بها ، فقال أبو نواس في ذلك¹ :

أمّا الديارُ فقلّما لبثوا بها بين استياق العيسِ والرُكبانِ²
وضَعُوا سِياطَ السُّوقِ في أعناقها حتى اطلَعنَ بهم على الأوطانِ
أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثني محمد بن سعد الكرائي قال : حدثني أبو عثمان الأشناداني قال : كتب أبو نواس إلى جنان³ :

أكثرني المحو في كتابك واهميه ه إذا ما محوته باللسان⁴
وأمرّي السحاة بين ثنايا ك العذاب المُقلّجاتِ الحسانِ⁵
إنني كلما مررتُ بسطرٍ فيه محوٌ لطعته بلساني
تلك تقييلة لكم من بعيد أهديت لي وما برحتُ مكاني⁶

صوت

[من الطويل]

تجنّى علينا آل مكتوبة الذنبا وكانوا لنا سلماً فأضحوا لنا حرباً
يقولون عزّ القلب بعد ذهابه فقلت ألا طوباي لو أنّ لي قلباً
عروضه من الطويل . الشعر لابن أبي عيينة ، والغناء لسليمان أخي جحظة ، رمل
بالوسطى عن عمرو بن بانة .

1 ديوانه : 292 .

2 الركبان في الديوان : بالركبان .

3 ديوانه : 277 .

4 الديوان :

5 في الديوان : وأمرّي الحزام .
6 الديوان :

فأرى ذاك قبلة من بعيد أهديت لي وما برحت مكان

[415] - نسب ابن أبي عيينة وأخباره¹

[من المقصود بالاسم]

أبو عِيْنَةَ ، فيما أخبرنا به علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد ، اسمه وكنيته أبو المنهال ، وكلُّ مَنْ يدعى أبا عِيْنَةَ من آل المهلب فابو عِيْنَةَ اسمه وكنيته أبو المنهال ، وكلُّ مَنْ يدعى أبا رُهم من بني سدوس فكنيته أبو محمد .

وابنُ أبي عِيْنَةَ هو محمد² بن أبي عِيْنَةَ بن المهلب بن أبي صُفرة . وقال أبو خالد الأسلمي : هو أبو عِيْنَةَ بن المنجاب بن أبي عِيْنَةَ ، وهو الذي كان يهجو ابن عمه خالداً .

واسم أبي صُفرة ظالم بن سراق ، وقيل : غالب بن إسراق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن الوضاح بن عمرو بن مزيقياء بن حارثة العظريفي بن امرئ القيس البطريقي بن ثعلبة البهلول بن مازن زاذي الرّكاب بن الأزد .

هذا النسب الذي عليه آل المهلب ، وذكر غيرهم أن أصلهم من عجم عمان³ وأنهم تولوا الأزد ، فلما ساد المهلب وشرف وعلا ذكره استلحقوه . وممن ذكر ذلك الهيثم بن عدي وأبو عبيدة وابن مزروع وابن الكلبي وسائر من جمّع كتاباً في المثالب وهجّتهم به الشعراء فأكثررت .

[أبو المهلب ليس عربياً]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : أخبرني الحسن بن عليل العنزي قال : حدثني أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حميد بن سليمان العدوي قال : أخبرني الهيثم بن عدي ، عن

1 ترجمة أبي عيينة بن محمد بن أبي عيينة في طبقات ابن المعتز (288-294) ومعجم المرزباني (110-111) . وفي الشعر والشعراء (750-755) ترجمة لأخيه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة . ويورد المبرد في الكامل (516-554) شعراً كثيراً للأخوين . وجميع المصادر المذكورة تتطرق إلى الأخ الآخر وتورد شيئاً من شعره ، ولكنها تشير إلى أبي عيينة باسمه وإلى عبد الله باسم «ابن أبي عيينة» . غير أن أبا الفرج يشير إلى الأول باسمه و«ابن أبي عيينة» ، وكذلك يفعل عندما يتطرق إلى عبد الله ، مما سبب اضطراباً في عائدية الخبر والشعر . ولإيضاح بصورة عامة نقول إن ما نسب إلى ابن أبي عيينة وكان في دنيا (فاطمة) أو في هجاء خالد بن يزيد بن حاتم أو قبضة بن روح بن حاتم فهو لأبي عيينة بن محمد ، وما كان في ظاهر بن الحسين مدحاً أو ذماً فهو لعبد الله بن أبي عيينة ما لم يكن واضحاً بصريح التسمية .

2 محمد بن أبي عيينة هو والد أبي عيينة ، فينبغي أن تكون العبارة «هو ابن محمد . . .» .

3 انظر معجم البلدان (خاركان) في أصل أبي صُفرة وتسميته .

عبد الله بن عيَّاش الهمداني قال : وقد ابن الجلندي في الأزْد ، أزدِ عُمان ومواليهم وأحلافهم ، فكان فيمن وقد منهم أبو صُفرة ، وكان يُلقَّب بذلك ، لأنَّه كان يُصفرُ لِحَيْتَه ، فدخل على عمر مع ابن الجلندي ولحيته مَخضُوبَةٌ مُصْفَرَةٌ ، فقال عمر لابن الجلندي : أكلٌ من معك عَرَبِيٌّ ؟ قال : لا ، فينا العَرَبِيُّ وفينا غَيْرُ ذلك ، فالتفت عُمرُ ، رحمه الله ، إلى أبي صُفرة ، فقال له : أعرَبِيٌّ أنتَ ؟ قال : لا ، أنا مِنَّ مَنْ اللهُ عليه بالإسلام .

[ختن أبي صفرة وهو شيخ]

قال : وقدم الحكمَ بن أبي العاصي الثَّقَفِيُّ أخو عُثمان بأعلاج من شهرِك¹ في خلافة عمر قد أسلموا ، فأمر عُمرُ عثمان بن أبي العاصي أن يَحْتَنِمَهُمْ ، وقد كان أبو صفرة حاضراً فقال : ما هؤلاء ؟ يُظَهَّرُونَ ليُصَلِّوا ؟ قال : إنهم يَحْتَنُونَ .

قال : إنا والله هكذا مثلهم ؛ قال : فسَمِعَ ذلك عثمانُ بن أبي العاصي ، فأمر بابي صُفرة فأجلس علي جَفْنِيَةٍ فَحُتِنَ وإنه لشيخٌ أَسْمَطٌ فكان بها مَنْ قال : لسنا نَشْكُ في أن زوجته كذلك ؛ فأحضرت وهي عجوز أدماء ، فأمر بها القابلة فنظرت إليها وكشفتها ، وإذا هي غير مختونة ، وذلك منها قد أَحشَفَ² ، فأمر بها فخُفِضت .

وقال في ذلك زياد الأعجم ، وقد غضب على المهلب³ :

[من السريع]

نحن قطعنا من أبي صُفرةٍ قُلْفَتَه كي يدخلَ البَصْرَةَ
لما رأى عُثمانُ غُرْمولَه أحسى على قُلْفَتَه الشُّفْرَةَ

[كتاب المثالب]

وليس هذا من الأقوال المعولِّ عليها ، لأنَّ أصلَ المثالب زيادٌ لعنه الله ، فإنَّه لما ادَّعى إلى أبي سُفْيَانَ ، وعَلِمَ أنَّ العرب لا تُقرُّ له بذلك مع علمها بنسبه ومع سوء آثاره فيهم ، عمل كتاب المثالب ، فألصقَ بالعرب كلَّها كلَّ عَيْبٍ وِعَارٍ ، وحق وباطل ، ثم بنى على ذلك الهيثمُ بن عديٍّ ، وكان دَعِيًّا ، فأراد أن يَعْرِفَ⁴ أهلَ البيوتات تَشْفِيًّا منهم ؛ وفعل ذلك أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بن المُنْتَشِي ، وكان أصله يهودياً ، أسلم جدُّه على يَدَي بَكر الصَّدِيقِ رضي الله عنه ، فانتسب إلى ولاء بني تَيْمٍ فجَدَّدَ كِتَابَ زياد وزاد فيه ؛ ثم نشأ غَيْلان الشُّعُوبِيُّ لعنه الله ، وكان زنديقاً ثَنَوِيًّا لا يُشْكُ فيه ، عُرِفَ في حياته بعضُ مذهبه ، وكان يورِّي عنه في

1 لعلها بلدة فارسية حرف اسمها .

2 أحشف : تقبض وصار كالخشف .

3 شعر زياد بن الأعجم (بكار) : 71 .

4 يعر : يسوء .

عوراته للإسلام بالتشعب والعصبية ؛ ثم انكشف أمره بعد وفاته ، فأبدع كتاباً عمله لطاهر بن الحسين ، وكان شديد التشعب والعصبية ، خارجاً عن الإسلام بأفاعيله ، فبدأ فيه بمثالب بني هاشم وذكر مناكحهم وأمهاتهم وصنائعهم ، وبدأ منهم بالطيب الطاهر ، رسول الله ﷺ فعمّسه¹ وذكره ؛ ثم والى بين أهل بيته الأذكىاء النجباء عليهم السلام ، ثم يبطون قريش على الولاء ، ثم بسائر العرب ، فألصق بهم كل كذب وزور ، ووضع عليهم كل خير باطل ، وأعطاه طاهر على ذلك مائتي ألف درهم فيما بلغني .

وإنما جرّ هذا القول ، ذكر المهلب وما قيل فيه ، وأنتى ذكرته فلم أجد بدءاً من ذكر ما روي فيه ؛ وفيما مرّ عن أهل النسب ، ثم قلت ما عندي .

[عبد الملك يعرق كتاب المثالب]

أخبرني حبيب بن نصر قال : أخبرني عمر بن شبة قال : حدثني محمد بن يحيى أبو عثمان عن أبيه قال : دخل بعض الناس على عبد الملك بن مروان فقال له : هل عندك كتاب زياد في المثالب ؟ فتلكأ ، فقال له : لا بأس عليك ، وبحقي إلا جئتني به . فمضى فجاء به ، فقال له : اقرأ عليّ ، فقرأه ، وجعل عبد الملك يتغيظ ويعجب ممّا فيه من الأباطيل ، ثم تمثّل قول الشاعر .

وأجرأ من رأيتُ بظنّهِ عَيْبٍ على عَيْبِ الرّجالِ أوّلُ العيوبِ
ثم أمر بالكتاب فأحرق .

رجع الخبر إلى سياقة أخبار ابن أبي عيينة

[شاعر مطبوع غزل هجاء]

وهو شاعر مطبوعٌ ظريفٌ غزل هجاء . وأنفذ أكثر أشعاره في هجاء ابن عمّه خالد . وأخبارهما تذكر على أثر هذا الكلام وما يصلح تصديراً أخباره به . وكان من شعراء الدولة العباسية من ساكني البصرة .

حدثني عمّي والصوليُّ قالا : حدثنا أحمد بن يزيد المهلبيّ قال : حدثني أبي قال : أبو عيينة اسمه كنيته ، وهو ابن محمد بن أبي عيينة بن المهلب بن أبي صفرة .

[أبوه تولى الريّ ثم قبض عليه]

وأخبرني محمد بن عمران الصيرفيُّ قال : حدثني العنزيُّ قال : حدثني أبو خالد الأسلميُّ قال : أبو عيينة الشاعر هو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة بن المهلب ، وكان محمد بن أبي عيينة أبو أبي عيينة الشاعر يتولى الريّ لأبي جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحجسه وغرّمه .

1 غمصه : قتل من شأنه وتهاون بحقه .

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني يزيد بن محمد المهلب قال : قال وهب بن جرير : رأيتُ في منامي كأن قاتلاً يقول لي :

ما يلقي أبو حرب
تعالى الله من كرب
فلم البت أن أخذ المنصورُ أبا حرب محمد بن أبي عيينة المهلب فحبسه ، وكان ولأه الرِّيِّ فأقام بها سنين .

[ينزل فاطمة ويكي بدنيا]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ومحمد بن يحيى الصولي وعمي قالوا : حدثنا الحزنبلُ الأصبهاني قال : حدثني الفيض بن مخلد مولى أبي عيينة بن المهلب قال : كان أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة يهوى فاطمة بنتَ عمر بن حفص الملقب هزارة مرد ، وكانت امرأة نبيلة شريفة ، وكان يخاف أهلها أن يذكرها تصرحاً ، ويهرب زوجها عيسى بن سليمان ، فكان يقول الشعر في جارية لها يقال لها : دنيا ، وكانت قيمة دارها ، ووالية أمورها كلها . وأنشدنا لابن أبي عيينة فيها ، ويكنى باسم دنيا هذه :

ما لِقَلْبِي أرقُ من كلِّ قلبٍ
ولدنيا على جنوني بدنيا
نزلتُ بي بليّة من هواها
قلِّ لدنيا إن لم تُجيبك لِمَا بي
فعلامَ انتهرتِ بالله رسلي
أيُّ ذنبٍ أذنبته ليتَ شعري
ولحبي أشدُّ من كلِّ حبٍّ !
أشتهي قُربها وتكره قُربي
والبلايا تكون من كلِّ ضربٍ
رطبة من دموع عيني كُتبي
وتهددتهم بحبسٍ وضربٍ
كان هذا جزاءه أيُّ ذنبٍ ؟

أخبرني علي بن سليمان قال حدثني محمد بن يزيد قال : كان أبو عيينة من أطبع الناس وأقربهم مأخذاً ، من غير أدب موصوفٍ ولا رواية كثيرة ، وكان يقرب البعيد ، ويحذف الفضول ، ويُقلِّ التكلّف . وكان أصغرَ من أخيه عبد الله ومات قبله .

[مَن التي كان يعشقها]

وقيل لعبد الله : أنت أشعرُ أم أخوك ؟ فقال : لو كان له علمي لكان أشعرَ مني . وكان يتعشق فاطمة بنتَ عمر بن حفص هزارة مرد التي تزوجها علي بن سليمان ، ويُسرُّ عشقها ، ويلقبها دنيا كتماناً لأمرها . وكانت امرأة جميلة نبيلة سرية من النساء ، وكان أبوها من أشدَّ الفرسان وشجعانهم . فذكر عيسى بن جعفر أن عيسى بن موسى قال للمهلب بن المغيرة بن المهلب : أكان يزيد بن خالد أشجع أم عمر بن حفص هزارة مرد ؟ فقال المهلب : لم أشهد من يزيد ما شهدته ، من عمر بن حفص ، وذلك أني رأيته يركض في طلب حمارٍ وحشيٍّ حتى إذا

حاذاه جمع جَرَامِيزَه¹ وقفز فصار على ظهره ، فقمص الحمار ، وجعل عُمر بنُ حفص يَحزُّ مَعْرِفَتَه إِمَّا بِسَيْفٍ وَإِمَّا بِسِكِّينٍ معه حتى قتله .

قال محمد بن يزيد : وَحُدِّثْتُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُهَلَّبِ أَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ أَبُو عَيْنَةَ يَهُوَى فَاطِمَةَ ، وَقَالَ : إِنَّمَا كَانَ جَنْدِيًّا فِي عِدَادِ الشُّطَّارِ ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ مِنْ أُنْبُلِ النِّسَاءِ وَأَسْرَاهَنَّ ، وَإِنَّمَا كَانَ يَتَعَشَّقُ جَارِيَةً لَهَا ، وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ الَّتِي فِيهَا الْغِنَاءُ الَّتِي فِيهَا الْغِنَاءُ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ جَيِّدَةٍ مَشْهُورَةٍ مِنْ شِعْرِهِ ، يَقُولُهَا فِي فَاطِمَةَ هَذِهِ أَوْ جَارِيَتِهَا ، وَيَكْنِي عَنْهَا بَدُنِيَا ، فَمِمَّا اخْتِيرَ مِنْهَا قَوْلُهُ : [من الطويل]

وَقَالُوا تَجَنَّبْنَا فَقَلْتُ أَبْعَدَ مَا	وَقَالُوا تَجَنَّبْنَا فَقَلْتُ أَبْعَدَ مَا
غَضَابٌ وَقَدْ مَلَّوْا وَقَوْفِي بِيَابَهُمْ	غَضَابٌ وَقَدْ مَلَّوْا وَقَوْفِي بِيَابَهُمْ
وَقَدْ أَرْسَلْتُ فِي السَّرِّ أَنِّي بَرِيَّةٌ	وَقَدْ أَرْسَلْتُ فِي السَّرِّ أَنِّي بَرِيَّةٌ
وَقَالَتْ لَكَ الْعُتْبَى وَعِنْدِي لَكَ الرِّضَا	وَقَالَتْ لَكَ الْعُتْبَى وَعِنْدِي لَكَ الرِّضَا
وَنُبِئْتَهَا تَلْهُو إِذَا اشْتَدَّ شَوْقُهَا	وَنُبِئْتَهَا تَلْهُو إِذَا اشْتَدَّ شَوْقُهَا
فَأَحْبَبْتُهَا حُبًّا يَقْرُبُ بَعِينَهَا	فَأَحْبَبْتُهَا حُبًّا يَقْرُبُ بَعِينَهَا
فِيَا حَسْرَتَا نَغَّصْتُ قُرْبَ دِيَارِهَا	فِيَا حَسْرَتَا نَغَّصْتُ قُرْبَ دِيَارِهَا
لَقَدْ شَمِتَ الْأَعْدَاءُ أَنْ حِيلَ بَيْنَهَا	لَقَدْ شَمِتَ الْأَعْدَاءُ أَنْ حِيلَ بَيْنَهَا
وَمِمَّا قَالَ فِيهَا وَغَنِّي فِيهِ :	وَمِمَّا قَالَ فِيهَا وَغَنِّي فِيهِ :

[من الكامل]

صوت²

ضَيَّعْتَ عَهْدَ فِتْيٍ لِعَهْدِكَ حَافِظٍ	ضَيَّعْتَ عَهْدَ فِتْيٍ لِعَهْدِكَ حَافِظٍ
وَنَأَيْتَ عَنْهُ فَمَا لَهُ مِنْ حِيلَةٍ	وَنَأَيْتَ عَنْهُ فَمَا لَهُ مِنْ حِيلَةٍ
مَتَخَشَّعًا يُذْرِي عَلَيْكَ دَمُوعَهُ	مَتَخَشَّعًا يُذْرِي عَلَيْكَ دَمُوعَهُ
إِنْ تَقْتَلِيهِ وَتَذْهَبِي بِفَوَادِهِ	إِنْ تَقْتَلِيهِ وَتَذْهَبِي بِفَوَادِهِ

عروضه من الكامل ، الغناء في هذه الأبيات من الثقل الأول بالوسطى . ذَكَرَ عَمْرُو بْنُ بَانَةَ أَنَّهُ لَهُ ، وَذَكَرَ الْهَشَامِيُّ أَنَّهُ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ بَسْحَتَّرَ ، وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامُ أَنَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيِّ .

فَذَكَرَ الْعَتَابِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ جَمِيعًا ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ يَحْيَى الْمَكِّيَّ حَدَّثَهُمَا قَالَ :

1 جراميزه : أطرافه .

2 في الشعر والشعراء : 754 والمرزباني : 111 لعبد الله .

3 إن تقتليه في الشعر والشعراء والمرزباني : إن تفتنيه .

حدَّثني عمرو بنُ بانهُ قال : ركبْتُ يوماً إلى دارِ صالحِ بنِ الرّشيدِ ، فاجتَرْتُ بمحمّدِ بنِ جعفرِ بنِ موسى الهادي ، وكان مُعاقراً للصُّبوح ، فألفيتهُ في ذلكِ اليومِ خالياً منه ؛ فسألتهُ عن السببِ في تعطيِّله إياه ، فقال : نيرانُ عليّ غُضبي ، يعني جاريةً لبعضِ النخاسين ببغداد ، وكانت إحدى المحسنات ، وكانت بارعةً الجمالِ ظريفةً اللسانِ ، وكان قد أفرطَ في حبِّها حتى عُرفَ به ، فقلتُ له : فما تحبُّ ؟ قال : تجعلُ طريقَكَ على مولاها فإنّه يستخرجها إليك ، فإذا فعلَ دفعتَ رقعتي هذه إليها - ودفعَ إليّ رقعةً فيها : [من الكامل]

صِيعَتِ عَهْدَ فَنِي لِعَهْدِكَ حَافِظٍ فِي حَفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ

إِنْ سُمِّيَتْهُ أَنْ تَذْهَبِي بِفَوَادِهِ فَيُحْسِنُ وَجْهَكَ لَا يُحْسِنُ صَنِيعِكَ

فقلتُ له : نعم ، أنا أحمَلُ هذه الرسالةَ وكرامةً ، على ما فيها ، حفظاً لروحك عليك ، فإنِّي لا آمنُ أن يتمادى بك هذا الأمرُ . فأخذتُ الرقعةَ وجعلتُ طريقي على منزلِ النخاسِ ، فبعثتُ إلى الجارية : اخرجي ، فخرجت ، فدفعتُ إليها الرقعةَ ، وأخبرتها بخبري فضحكت ، ورجعتُ إلى الموضعِ الذي أقبلتُ منه فجلستُ جلسةً خفيفةً ، ثم إذا بها قد وافنتي ومعها رقعة ، فيها :

[من الطويل]

صوت

وما زلتُ تعصيني وتغرّي بي الرّدى وتهجُرني حتى مرّنتَ على الهجرِ

وتقطّعتُ أسبابي وتنسّى مودّتي فكيف ترى يا مالِكي في الهوى صبري

فأصبحتُ لا أدري أيّأساً تصبّري على الهجرِ أم جدّاً البصيرة لا أدري

غنى في هذه الأبياتِ عمرو بنُ بانهُ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبِئسر ، ولمقاسمةِ بنِ ناصحٍ فيها ثقيلٌ آخرٌ بالوسطى . لحن عمرو في الأوّل والثالث بغير نشيد .

قال : فأخذتُ الرقعةَ منها وأوصلتها إليه ، وسمرتُ إلى منزلي ، فصنعتُ في بيتي محمد بن جعفر لحناً وفي أبياتها لحناً ، ثم صرتُ إلى الأميرِ صالحِ بنِ الرّشيدِ ، فعرفتهُ ما كان من خبري ، وغنّيته الصوتين . فأمر بإسراجِ دوابه فأسرجت ، وركبَ فركبتُ معه إلى النخاسِ مولى نيرانَ ، فما برحنا حتى اشتراها منه بثلاثةِ آلافِ دينار ، وحملها إلى دارِ محمد بن جعفر فوهبها له ، فأقمنا يوماً عنده .

أخبرنا محمد بنُ يحيى الصُّوليُّ قال : حدَّثني يزيدُ بن محمدٍ المهلبِيُّ قال : دخلتُ على الواثقِ يوماً وهو خليفةٌ وربابٌ¹ في حجره جالسةٌ ، وهي صبيّةٌ ، وهو يلقي عليها قوله : [من الكامل]

صِيَّعَتِ عَهْدَ فَتَىٰ لِعَهْدِكَ حَافِظٍ فِي حَفْظِهِ عَجَبٌ وَفِي تَضْيِيعِكَ
وهي تغنيه ويردده عليها ، فما سمعت غناء قط أحسن من غنائهما جميعاً ، وما زال يردده
عليها حتى حفظته .

رجع الخبر إلى حديث أبي عيينة

[عبد الله يذم زواج فاطمة]

أخبرني علي بن سليمان قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : قال عبد الله بن محمد بن أبي
عُيَيْنَةَ أَخُو أَبِي عُيَيْنَةَ فِي فَاطِمَةَ ، التي كان يُشَبِّبُ بِهَا أَخُوهُ ، بنتِ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ لَمَّا
تَزَوَّجَهَا عَيْسَى بْنُ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ ، وكان عيسى مبخلاً ، وكانت له محابسٌ يحبسُ فيها
البياح ويبيعه ، وكانت له ضيعة تُعرفُ بِدَالِيَةِ عَيْسَى يبيعُ منها البقولَ والرياحينَ ، وكان
أولَ مَنْ جَمَعَ السَّمَادَ بِالْبَصْرَةِ وَبَاعَهُ ، فقال فيه أَبُو الشَّمَقْمَقِ¹ : [من الوافر]

إِذَا رُزِقَ الْعِبَادُ فَإِنَّ عَيْسَى لَهُ رِزْقٌ مِنْ اسْتَاهِ الْعِبَادِ
فَلَمَّا تَزَوَّجَ عَيْسَى فَاطِمَةَ بِنْتَ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ فِي
ذَلِكَ² : [من الطويل]

أَفَاطِمَ قَدْ زُوِّجَتِ عَيْسَى فَبَشْرِي	لَدَيْهِ بِذُلٍّ عَاجِلٍ غَيْرِ آجِلٍ ³
فَإِنَّكَ قَدْ زُوِّجَتِ عَنْ غَيْرِ خَيْرَةٍ	فَتَىٰ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلٍ
فَإِنْ قُلْتَ مِنْ رَهْطِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُ	وَإِنْ كَانَ حَرًّا الْأَصْلُ عَبْدُ الشَّمَائِلِ
وَقَدْ قَالَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَمُحَمَّدٌ	أَقَاوِيلَ حَتَّى قَالَهَا كُلُّ قَائِلٍ
وَمَا قُلْتُ مَا قَالَا لِأَنَّكَ أُخْتُنَا	وَفِي الْبَيْتِ مَنَا وَالذُّرَا وَالْكَوَاهِلِ
لِعَمْرِي لَقَدْ أَثْبَتَهُ فِي نِصَابِهِ	بَأَنَّ صَرْتِ مِنْهُ فِي مَحَلِّ الْحَلَائِلِ
إِذَا مَا بَنُو الْعَبَّاسِ يَوْمًا تَنَازَعُوا	عُرَا الْمَجْدِ وَاخْتَارُوا كِرَامَ الْخِصَائِلِ ⁴
رَأَيْتَ أَبَا الْعَبَّاسِ يَسْمُو بِنَفْسِهِ	إِلَى بَيْعِ بَيَّاحَاتِهِ وَالْمَبَاقِلِ ⁵

قال مؤلف هذا الكتاب : وكان عبدُ الله ، أخو أبي عُيَيْنَةَ شاعراً ، وكان يقدمُ على أخيه ،

1 شعراء عباسيون (غرونهاوم) : 134 .

2 في الكامل عشرة أبيات منها .

3 الكامل : فأيقني بذلٌ لديه .

4 في الكامل :

إذا ما بنو العباس يوماً تبادروا عرى المجد وابتاعوا كرام الفضائل

5 البياح : نوع من السمك .

فَأَخْبَرَنِي جَحْظَةُ قَالَ : حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى الْمَنْجَمُ قَالَ : قَالَ إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ : شَعْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَيْنَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شَعْرِ أَبِيهِ وَأَخِيهِ . قَالَ : وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ صَدِيقًا لِإِسْحَاقَ .
[تصریح بالقراءة]

قال محمد بن يزيد : ومِمَّا قاله في فاطمة وصرَّح بذكر القرابة بينهما ، وحقَّق على نفسه أنَّه يعينها قوله¹ :

دَعَا مَصْرَحَ بَادِي السَّرَارِ	دَعَاكَ بِالْقَرَابَةِ وَالْجَوَارِ
وَمَحْتَرِقٌ عَلَيْكَ بغيرِ نارِ	لَأَنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ بِنَفْسِي
عَلَى نَارِ الصَّبَابَةِ مِنْ وَقَارِ	وَأَنْتَ تَوَقَّرِينَ وَلَيْسَ عِنْدِي
تُدَارِينَ الْعَدُوَّ وَلَا أُدَارِي	فَأَنْتِ لِأَنَّ مَا بَكَ دُونَ مَا بِي
جَمَحْتِ إِلَيَّ خَالَعَةَ الْعِدَارِ	وَلَوْ وَاللَّهِ تَشْتَاقِينَ شَوْقِي
وَبُحْتِ بِسِرِّهَا بَيْنَ الْجَوَارِي	أَلَا يَا وَهْبُ فِيمَ فَضَحْتَ دُنْيَا
غَوَادٍ نَحْوَ مَكَّةَ أَوْ سَوَارِي	أَمَّا وَالرَّاقِصَاتِ بِكُلِّ وَاوِي
كَفَضَلِ يَدِي الْيَمِينِ عَلَى الْيَسَارِ	لَقَدْ فَضَلْتِكِ دُنْيَا فِي فَوَادِي
فَإِنِّي لَا أَلْوَمُكَ أَنْ تَضَارِي	فَقُولِي مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَقُولِي

[من ظريف شعره فيها]

قال وقال فيها ، وهو من ظريف أشعاره :

وَأَبَى قَلْبُكَ لِي أَنْ يَرِقًا	رَقَّ قَلْبِي لَكَ يَا نَوْرَ عَيْنِي
لَسْتُ أَرْضَى أَنْ تَمُوتِي وَأَبْقَى	فَأَرَاكَ اللَّهُ مَوْتِي فَإِنِّي
وَمِنْ الْعُدَالِ فِيهَا مُلَقَى	أَنَا مِنْ وَجَدِ بَدْنِيَايَ مِنْهَا

صوت

زعموا أنَّني صديقٌ لدُنْيَا لَيْتَ ذَا الْبَاطِلَ قَدْ صَارَ حَقًّا
في هذا البيت ثمَّ الذي قبله ، ثمَّ الأوَّلُ لإبراهيمَ لحنٌ ماخوريٌّ بالوُسْطَى عن الهِشَامِيِّ .
قال : وقال فيها أيضاً في هذا الوزن ، وفيه غناء محدث رمل طنبوري² :
عَيْشُهَا حُلُوٌّ وَعَيْشُكَ مُرٌّ لَيْسَ مَسْرُورٌ كَمَنْ لَا يُسْرُ

1 في الكامل خمسة أبيات منها منسوبة إلى ابن أبي عيينة .

2 الثالث والرابع في الشعر والشعراء : 753 لعبد الله بن أبي عيينة .

كَمَدٌ فِي الْحَبِّ تَسْخُنُ فِيهِ عَيْنُهُ أَكْثَرَ مِمَّا تَقَرُّ
قَلْتُ لِلأَيْمِ فِيهَا آلُهُ عَنْهَا لَا يَقَعُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَرُّ
أَتْرَانِي مُقْصِراً عَنْ هَوَاهَا كُلُّ مَمْلُوكٍ إِذَا لِي حَرُّ

وقال فيها أيضاً ، وأنشدناه الأَخْفَشُ عن المبرِّد ، وأنشدناه محمدُ بنُ العباسِ اليزيديُّ قال :

أنشدني عمِّي عبيد الله لأبي عيينة :
[من الخفيف]

حِينَ قَالَتْ دُنْيَا عَلَامَ نَهَارَا زُرْتُ هَلَا انْتظرتَ وَقْتِ الْمَسَاءِ
إِنْ تَكُنْ مُعْجَباً بِرَأْيِكَ لَا تَفْدُ رَقَّ فَاسْتَحْيِ يَا قَلِيلَ الْحَيَاءِ
ذَاكَ إِذْ رُوحَهَا وَرُوحِي مِرَاجَا نِ كَأَصْفَى خَمْرٍ بِأَعْدَبِ مَاءِ

[البحريّ يأخذ معنى له]

قال محمدُ بنُ يزيدَ : وقد أخذ هذا المعنى غيره منه ولم يسمّه ، وهو البحريّ ،

فقال¹ :

[من البسيط]

صوت

جَعَلْتُ جَبَّكَ مِنْ قَلْبِي بِمَنْزِلَةِ هِيَ الْمَصَافَاةُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالرَّاحِ
تَهْتَرُّ مِثْلَ اهْتِرَازِ الْغَصَنِ حَرَّكَهَ مَرُورُ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ سَحَّاحِ
الْغِنَاءِ فِي هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِرَدَاذِ ثَقِيلِ أَوَّلِ مَطْلَقٍ فِي مَجْرَى الْبِنَصْرِ .

[غزل وفخر]

ومِمَّا قاله أَبُو عَيْنَةَ فِي فَاطِمَةَ هَذِهِ ، وَكُنِيَ فِيهِ بِدُنْيَا قَوْلُهُ² :

[من المتقارب]

صوت

أَلَمْ تَنْهَ قَلْبَكَ أَنْ يَعِشَقَا وَمَا لَكَ وَالْعِشْقَ لَوْلَا الشَّقَا
أَمِنْ بَعْدِ شُرْبِكَ كَأَسِّ النَّهْيِ وَشَمِّكَ رِيحَانَ أَهْلِ التُّقَى
عَشِيقَتَ فَأَصْبَحْتَ فِي الْعَالَمِ مِنْ أَشْهَرِ مَنْ فَرَسَ أَبْلَقَا
أَدْنِيَايَ مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى خَذِي بِيَدِي قَبْلَ أَنْ أُغْرَقَا
أَنَا ابْنُ الْمَهْلَبِ مَا مِثْلُهُ لَوْ أَنَّ إِلَى الْخَلْدِ لِي مَرْتَقَى

غنى فيه أبو العنيس بن حمدون ، ولحنه ثاني ثَقِيلٍ مَطْلَقٌ ، وفيه لِعَرِيبٍ ثَقِيلِ أَوَّلِ ، رواه أبو

العنيس عنها .

1 ديوان البحري : 442 .

2 في الكامل اثنا عشر بيتاً منها منسوبة لأبي عيينة .

وهذه قصيدة طويلة يذكر فيها دنيا ويفخر بعقبِ النسيبِ بآبيه ، ويذكر مآثر المهلبِ بالعراق ، ولكن ممّا قاله في دنيا منها قوله :

[من المتقارب]

أدُنْيَايَ مِنْ غَمْرِ بَحْرِ الْهَوَى
أَنَا لَكَ عَبْدٌ فَكُونِي كَمَنْ
أَلَمْ أُخْدَعِ النَّاسَ عَنْ وَصْلِهَا
بَلَى فَسَبَقْتُهُمْ إِنِّي
وَيَوْمَ الْجَنَازَةِ إِذْ أُرْسِلَتْ
وَعُجْ نَمَّ فَانظُرْ لَنَا مَجْلِسًا
فَجئْنَا كَغَصْنَيْنِ مِنْ بَانَةٍ
فَقَالَتْ لِأُخْتِ لَهَا اسْتَنْشِدِي
فَقُلْتُ أَمَرْتُ بِكُتْمَانِهِ
فَقَالَتْ بِعَيْشِكَ قَوْلِي لَهُ

ومن مشهور قوله في دنيا ، وهو ممّا تهتك فيه وصرح وأفحش ، وهي من جيدّ قوله

[من الطويل]

أَنَا الْفَارِغُ الْمَشْغُولُ وَالشُّوقُ آفَتِي
عَجِبْتُ لِتَرْكِ الْحُبِّ دُنْيَا خَلِيَّةً
وَمَا بِالْهَمِّ لَمَّا كَتَبْتُ تَهَاوَنْتُ
وَقَدْ حَلَفْتُ إِلَّا تَخُطُّ بِكَفِّهَا
أَبْخُلًا عَلَيْنَا كُلُّ ذَا وَقَطِيعَةً
سَلُّوا قَلْبَ دُنْيَا كَيْفَ أَطْلَقَهُ الْهَوَى
فَإِنْ جَحَدَتْ فَادْكُرْ لَهَا قَصْرَ مَعْبَدٍ
وَمَلْعَبْنَا فِي النَّهْرِ وَالْمَاءِ زَاخِرٌ
وَمِنْ حَوْلِنَا الرَّيْحَانُ غَضًّا وَفَوْقَنَا
إِذَا شَتَّتْ مَالَتْ بِي إِلَيْهَا كَأَنِّي

فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ فَرَاغِي وَعَنْ شُعْلِي
وَإِعْرَاضِهِ عَنْهَا وَإِقْبَالِهِ قُبْلِي
بِكُتْبِي وَقَدْ أُرْسِلْتُ فَانْتَهَرْتُ رُسُلِي
إِلَى قَابِلٍ خَطَأً إِلَيَّ وَلَا تَمْلِي
قَضِيصِ لَدُنْيَا بِالْقَطِيعَةِ وَالْبَخْلِ
فَقَدْ كَانَ فِي غُلٍّ وَثِيقٍ وَفِي كَبَلٍ¹
بِمَنْصَفٍ مَا بَيْنَ الْأُبَيْلَةِ وَالْحَبْلِ²
قَرَيْنَيْنِ كَالْغَصْنَيْنِ فَرَعَيْنِ فِي أَصْلِ
ظِلَالٍ مِنَ الْكَرَمِ الْمَعْرُشِ وَالنَّخْلِ
إِلَى غَصْنِ بَانٍ بَيْنَ دِعْصَيْنِ مِنْ رَمَلٍ

1 الكبل : القيد .

2 منصف : منتصف . والأبلة : بلدة على شاطئ دجلة . والحبل : موضع بالبصرة .

لياليَ ألقاني الهوى فاستضفتها
 وكم لذة لي في هواها وشهوة
 وفي مآتم المهدي زاحمت ركنها
 وبتنا على خوفٍ أسكن قلبها
 فيا طيبَ طعم العيش إذ هي جارة
 وإذ هي لا تعتلّ عني برقية
 فقد عفت الأثارُ بيني وبينها
 ولما بلوت الحبَّ بعد فراقها
 وأصبحتُ معزولاً وقد كنتُ والياً

[غزل ووصف لقصر]

ومما قاله فيها وفيه غناء¹ :

[من الطويل]

صوت

ألا في سبيل الله ما حلَّ بي منك
 وتركك جسمي بعد أخذك مهجتي
 فهل حاكمٌ في الحبِّ يحكمُ بيننا
 وصبرك عني حين لا صبرَ لي عنك
 ضئيلاً فهلاً كان من قبل ذا تركي
 فيأخذ لي حقِّي ويُنصفني منك

لُسليم في هذه الأبيات هزج مطلق في مجرى الوُسطى ، وفي هذه القصيدة يقول يصف

[من الطويل]

قصراً كانوا فيه ، وهي من عجيب شعره :

لقد كنتُ يومَ القصرِ ممّا ظننتُ بي
 يذكّرني الفردوسَ طوراً فأرعوي
 بغيرسٍ كأبكار الجوّاري وتربية
 وسيربٍ من الغزلان يرتعن حوله
 وورقاء تحكي الموصلي إذا غدت
 فيا طيبَ ذاك القصرِ قصراً ومنزلاً
 كأن قصورَ القومِ ينظرون حوله
 يُدلّ عليها مستطيلاً بظله
 بريئاً كما أنّي بريء من الشرك
 وطوراً يواتيني إلى القصفِ والفتك
 كأن ثراها ماءٍ وردي على مسك
 كما استلّ منظومٌ من الدرّ من سيلك
 بتغريدها أحيبُ بها وبمن تحكي
 بأفصح سهلٍ غيرٍ وعرٍ ولا ضنك
 إلى ملكٍ موفٍ على منبر الملك
 فيضحك منها وهي مطرقةٌ تبكي

1 في الشعر والشعراء أربعة أبيات من هذه القصيدة وهي التاسع والسادس والعاشر والحادي عشر .

[أشعر أهل زمانه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني عليّ بن عمرو الأنصاريّ ، قال : سمعت الأصمعيّ يذكر أنّ الفضل بن الربيع قال لجلسائه : من أشعر أهل عصرنا ؟ فقالوا فأكثرنا ، فقال الفضل بن الربيع : أشعر أهل زماننا الذي يقول في قصر عيسى بن جعفر بالخريّة¹ ، يعني أبا عيّنة :

[من البسيط]

زُرُّ وادي القَصْرِ نِعَمَ القَصْرِ والوادي وحبّذا أهله من حاضرِ بادي
تُرُفا قراقِرُهُ والعيسُ واقفةٌ والضبُّ والنونُ والملاخُ والحادي

[يحذر من الزواج لأجل المال]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن مجمع قال تزوّج سعيد بن عبّاد بن حبيب بن المهلب بنتَ سفيان بن معاوية بن المهلب ، وقد كان تزوّجها قبله رجلان فدفتهما ، فكتب إليه دبو عيّنة² :

[من الوافر]

رَأَيْتَ أَثَانَهَا فرغبتَ فيه وكم نصبتُ لغيرك بالأثان³
إلى دار المنونِ فجهزتهم تحنّتهم بأربعة حثان
فَصَيَّرَ أمرَهَا بيديّ أبيها وعيشك من حبالك بالثلاث⁴
والآ فالسلامُ عليك مني سَابِداً من غدٍ لك بالمرائي

[يعاتب إسحاق لتأخّره عن دعوته]

أخبرني محمد بن مزيّد الصوّليّ قال : حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : كان عليّ بن هشام قد دعاني ودعا أبا عيّنة وتأخّرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً ، وتشاغلتُ برجل كان عندي من الأعراب ، وكان فصيحاً لأكتبَ عنه ، وكان عنده بعضُ من يعاديني ، قال حماد : كأنّه يومئذٍ بهذا القولِ إلى إبراهيم بن المهديّ ، فسأل أبا عيّنة أن يعاتبني بشعرٍ ينسبني فيه إلى الخلف فكتب إليّ :

[من الخفيف]

يا مليئاً بالوعد والخلف والمطُ لـ بطيئاً عن دَعْوَةِ الأصحابِ
لَهَجاً بالأعرابِ إنّ لدينا بعضَ مَنْ تشتتهي من الأعرابِ

1 الخريّة : موضع بالبصرة .

2 في الشعر والشعراء عدا الثاني .

3 فرغبت فيه في الشعر والشعراء : فطمعت فيه .

4 وعيشك في الشعر والشعراء : وروح .

قد عرفنا الذي شغلت به عـ نأ وإن كان غير ما في الكتابِ
قال : فكتبت إلى الذي حمل أبا عيينة على هذا ، يعني إبراهيم بن المهدي : [من الخفيف]
قد فهمت الكتاب أصلحك اللـ هـ وعندي إليك ردُّ الجوابِ
ولعمري ما تُتصفون ولا كا ن الذي جاء منكم في حسابي
لستُ آتيك فاعلمن ولا لي فيك حظٌ من بعد هذا الكتابِ

[نسب إليه شعر منقوش على حجر]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراقي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني
إبراهيم بن إسحاق العمري قال : حدثنا أبو هاشم الإسكندراني ، عن ابن أبي لهيعة قال :
حُفِرَ حَفْرٌ فِي بَعْضِ أَفْنِيَةِ مَكَّةَ ، فَوُجِدَ فِيهِ حَجَرٌ عَلَيْهِ مَنَقُوشٌ : [من الكامل]

ما لا يكون فلا يكون بحيلة أبداً وما هو كائنٌ فيكونُ
سيكون ما هو كائنٌ في وقته وأخو الجهالة مُتَعَبٌ محزونُ
يسعى القويُّ فلا ينالُ بسعيه حظاً ويحظى عاجزٌ ومهينُ

قال ابن أبي سعيد : هكذا في الحديث ، وقد أنشدني هذه الأبيات جماعة لأبي عيينة .

[أشعر من أبي نواس]

حدثني عمي قال ، حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك ، قال : حدثني علي بن عمرو
الأنصاري عن الأصمعي قال : قال لي الفضل بن الربيع : يا أصمعي ، من أشعر أهل زمانك ؟
فقلت : أبو نواس قال : حيث يقول ماذا ؟ قلت : حيث يقول¹ : [من المنسرح]

أما ترى الشمس حلت الحملا وقام وزن الزمان فاعتدلا
فقال : والله إنه لذهن فطين ، وأشعر عندي منه أبو عيينة .

[حاله عند زواج دنيا]

حدثني عمي ، قال : حدثني فضل الزبيدي : عن إسحاق أنه أنشده لأبي عيينة في دنيا
التي كان يُشيبُ بها ، وقد زوجت وبلغه أنها تُهدى إلى زوجها ، وكان إسحاق يستحسن
هذا الشعر ويستجده : [من الطويل]

أرى عهدَهَا كالوردِ ليس بدائمٍ ولا خيرَ فيمن لا يدومُ له عهدُ
وعهدي لها كالآس حسناً وبهجةً له نَصْرَةٌ تبقى إذا ما انقضَى الوردُ

فما وَجَدَ العُدْرِيُّ إذ طال وَجْدُهُ بعَفْرَاءٍ حَتَّى سَلَّ مَهجَتَهُ الوَجْدُ¹
 كَوَجْدِي غَدَاةَ البَيْنِ عِنْدَ التَّفَاتِهَا وَقَد شَفَّ عَنْهَا دُونَ أَتْرَابِهَا البُرْدُ
 فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي هِيَ الشَّمْسُ ضَوْوُهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ فِي تَنَاوُلِهَا بُعْدُ
 وَإِنِّي لِمَنْ تُهْدَى إِلَيْهِ لِحَاسِدٌ جَرَى طَائِرِي نَحْسًا وَطَائِرُهُ سَعْدُ

[دنيا هي فاطمة]

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال : سألت أبي عن دنيا التي ذكرها أبو
 عيينة بن محمد بن أبي عيينة في شعره ، وقلت : إن قوماً يقولون : إنها كانت أمة لبعض مُعَنِّي
 البصرة ، فقال : لا ، يا بني ، هي فاطمة بنتُ عُمر بن حفص هزارة مرد بن عثمان بن قبيصة
 أخي المهلب ، وكان عيسى بن سليمان بن علي أخو جعفر ومحمد ابني سليمان تزوجها ،
 وهجاه عبد الله بن محمد بن أبي عيينة ، أخو أبي عيينة فقال : [من الطويل]

أفَاطَمَ قَد زُوِّجَتِ عَيْسَى فَبَشْرِي لَدَيْهِ بِذُلِّ عَاجِلٍ غَيْرِ آحِلِ
 فَإِنَّكَ قَد زُوِّجَتِ عَن غَيْرِ خَيْرَةٍ فَتَى مِنْ بَنِي العَبَّاسِ لَيْسَ بِعَاقِلِ
 وَذَكَرَ بَاقِيَ الأَبْيَاتِ ، وَقَد مَضَتِ مُتَقَدِّمًا .

قال أحمد بن يزيد : ثم أنشدني أبي لأبي عيينة يُصرِّحُ بِنَسَبِهِ الجَامِعِ لَهُ وَلِفَاطِمَةَ مِنْ أَبْيَاتِ
 له : [من الكامل]

وَلَأَنْتِ إِنْ مُتِ المَصَابَةُ بِي فَتَجَنَّبِي قَتْلِي بِلَا وَتِرِ
 فَلَنْ هَلَكْتُ لَتَلَطِّينِ جَزَعًا خَدَّيْكَ قَائِمَةً عَلَى قَبْرِي

قال أحمد : وأنشدني أبي أيضاً في تصديق ذلك ، وأنه كان يكنى بدنيا عن
 غيرها : [من الخفيف]

مَا لِدُنْيَا تَجْفُوكَ وَالدَّنْبُ مِنْهَا إِنَّ هَذَا مِنْهَا لَخَبٌّ وَمَكْرُ
 عَرَفْتُ ذَنْبَهَا إِلَيَّ فَقَالَتْ أَبْدَعُوا القَوْمَ بِالصِيَّاحِ يَفْرَوُ
 قَد أَمَرْتُ الفَوَادِ بِالصَبْرِ عَنْهَا غَيْرَ أَنْ لَيْسَ لِي مَعَ الحَبِّ أَمْرُ
 وَكُتِمْتُ اسْمَهَا حِذَارًا مِنَ النَّا سِ وَمِنْ شَرِّهِمْ وَفِي النَّاسِ شُرُ
 وَيَقُولُونَ بَحُّ لَنَا بِاسْمِ دُنْيَا وَاسْمُ دُنْيَا سُرٌّ عَلَى النَّاسِ ذَخْرُ

1 العُدْرِي المعنى هنا : عروة بن حزام صاحب عفراء .

ثم قالوا ليعلموا ذات نفسي أعوانٌ ذنيك أم هي بكرٌ
فتنفست ثم قلتُ أبكر شبُّ يا إخوتي عن الطُّوقِ عمرو¹

[ينصح جارة بترك الالحاح]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدٍ بن عبد الملك الزيات قال : حدَّثني أبو خالد الأسلمي قال : كان ابنُ أبي عيينة المهلبِيّ صديقي ، وهو أبو عيينة بن المنجاب بن أبي عيينة ، فجاءه رجل من جيرانه كان يستقله ، فسأله حاجة فقضاها ، ثم سأله أُخرى فوعده بها ، ثم سأله ثلاثة فقال :

[من الكامل]

حَقَّفَ عَلَيَّ إِخْوَانِكَ الْمُؤَنَّا إِن شئتُ أَن تَبْقَى لَهُم سَكَنَّا
لَا تُلْحَفَنَّ إِذَا سَأَلْتَ فِيهِ الـ لِإِلْحَافِ إِجْحَافِ بِهِم وَعَنَّا

فقام الرجل وانصرف .

[يطلب عزل أمير البصرة ويصر على الطلب]

أخبرني أبو دُلف هاشمُ بنُ محمدٍ ، قال : حدَّثني المبرِّدُ قال : وفَد ابنُ أبي عيينة إلى طاهر بن الحسين يسأله أن يعزل أمير البصرة ، وكان من قبله فدافعه ، وعرض عليه عَوْضاً خطيراً من حاجته ، ووعدَه أن يستصلحَ له ذلك الأمير ويزيله عما كرهه ، فأبى عزله وأجزل صلته ، فقال ابنُ أبي عيينة فيه :

[من البسيط]

يا ذا اليمينين قد أوقرتني مِنَّا تَتَرى هي الغايةُ القُصوى من المَنِّ²
ولستُ أستطيعُ مِن شُكرِ أُجِيء به إِلاَّ اسْتَطَاعَةَ ذِي رُوحٍ وَذِي بَدَنِ
لو كنتُ أعرفُ فوقَ الشُكرِ منزلة أَوْفَى مِنَ الشُكرِ عِنْدَ اللَّهِ فِي الثَمَنِ
أَخْلَصْتُهَا لكَ مِنْ قَلْبِي مَهْدَبَةً حَذُّوا عَلَيَّ مِثْلَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ

أخبرني محمدُ بن القاسم الأنباري قال : حدَّثني أبي عن أبي عكرمة عامر بن عمران ، وأخبرني به عمِّي عن أحمد بن يزيد المهلبِيّ عن أبيه قال : كان إسماعيلُ بن سليمان والياً على البصرة خليفة لطاهر بن الحسين ، فأساء مجاورة ابن أبي عيينة حتى تباعد بينهما وقبح ، وأظهر إسماعيل تنقصه وعيبه ، فخرج إلى طاهر ليشكو إسماعيل ، ويسعى في عزله عن البصرة ، فبعد ذلك عليه بعض البُعد ، وسافر طاهرُ بن الحسين إلى وجه أمر بالخروج إليه ، فصحبه ابنُ أبي

1 المثل «شب عمرو عن الطوق» في جمهرة العسكري 1 : 537 ومستقصى الزمخشري 2 : 126 وفصل المقال : 125 .

2 أوقرتني في ل : أوليتني .

عِيْنَةٌ فِي سَفَرِهِ ، فَتَدَمَّمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمْرٌ بِإِصَالِهِ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ ابْنُ أَبِي عِيْنَةَ إِلَيْهِ سَأَلَهُ عَنْ حَوَائِجِهِ وَأَدْنَاهُ ، وَأَمْرَهُ بِرَفْعِهَا فَانْشَدَهُ¹ :

مَنْ أَوْحَشْتَهُ الْبِلَادُ لَمْ يُقِمِ فِيهَا وَمَنْ آتَسْتَهُ لَمْ يَرِمِ²
 وَمَنْ يَبْتَ وَالْهُمُومُ قَادِحَةٌ فِي صَدْرِهِ بِالزَّنَادِ لَمْ يَنْمِ
 وَمَنْ يَرِ النَّقْصَ مِنْ مَوَاطِنِهِ يُزِلُّ عَنِ النَّقْصِ مَوْطِئِ الْقَدَمِ
 وَالْقَرَبُ مِمَّنْ يَنْأَى بِجَانِبِهِ صَدَعَ عَلَى الشَّعْبِ غَيْرَ مَلْتَمِ
 وَرُبَّ أَمْرٍ يَعَا لَلْيَبُّ بِهِ يَظْلُ مِنْهُ فِي حَيْرَةِ الظُّلَمِ
 صَبْرٌ عَلَيْهِ كَظَمٍ عَلَى مَضَضٍ وَتَرَكَهُ مِنْ مَوَاقِعِ النَّدَمِ
 يَا ذَا الْيَمِينَيْنِ لَمْ أَرْزُكْ وَلَمْ آتِكَ مِنْ خَلَّةٍ وَمِنْ عَدَمِ
 إِنِّي مِنَ اللَّهِ فِي مَرَاكِحِ غِنَى وَمُغْتَدَى وَاسِعٍ وَفِي نَعَمِ
 زَارْتِكِ بِي هِمَّةٌ مُنَازِعَةٌ إِلَى الْعَلَا مِنْ كِرَائِمِ الْهِمَمِ³
 وَإِنِّي لِلْجَمِيلِ مُحْتَمِلٌ فِي الْقَدْرِ مِنْ مَنَصِبِي وَمِنْ شِمِي
 وَقَدْ تَعَلَّقْتُ مِنْكَ بِالذَّمِّ الـ كَبِيرِي الَّتِي لَا تَخِيبُ فِي الذَّمِّ
 فَإِنْ أَنْلُ بُغْيَتِي فَأَنْتَ لَهَا فِي الْحَقِّ حَقُّ الرَّجَاءِ وَالرَّحْمِ⁴
 وَإِنْ يَعُقُّ عَائِقُ فَلَسْتَ عَلَى جَمِيلِ رَأْيِي عِنْدِي بِمَتَّهِمْ
 فِي قَدَرِ اللَّهِ مَا أُحْمَلُهُ تَعْوِيقُ أَمْرِي فِي اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ⁵
 لَمْ يَضُقِ الصَّبْرُ وَالْفِجَاجُ عَلَى حُرِّ كَرِيمٍ بِالصَّبْرِ مَعْتَصِمِ⁶
 مَاضٍ كَحَدِّ السِّنَانِ فِي طَرْفِ الـ عَامِلِ أَوْ حَدِّ مَصْلَتِ خَدِمِ⁷
 إِذَا ابْتَلَاهُ الزَّمَانُ كَشَفَهُ عَنِ ثُوبِ حُرِّيَّةٍ وَعَنِ كَرَمِ

1 في الشعر والشعراء اثنا عشر بيتاً من هذه القصيدة 1-3 ، 7-9 ، 12-17 .

2 الشعر والشعراء :

من آتسته البلاد لم يرم عنها ومن أوحشته لم يقم

3 الشطر الثاني في الشعر والشعراء : إلى جسيم من غاية الهمم

4 الشعر والشعراء : أنل همتي . . . حق الإخاء

5 الشعر والشعراء : تعويق أمري واللوح والقلم

6 الشعر والشعراء : لم يطق السبل . . .

7 العامل : طرف الرمح مما يلي السنان . وخدم : قاطع . وفي الشعر والشعراء : أو حد مرهف .

ما ساء ظنِّي إلا بواحدة
ليهنَّ قومٌ جُزَّتْ المدى بهمُ
وليس كلُّ الدلاءِ راجعةً
ترجع بالحمأة القليلة أحد
ما تُنبِتُ الأرضُ كلَّ زهرتها
ما في نقص عن كلِّ منزلةٍ

فأجابه طاهر :

مَنْ تستضفهُ الهمومُ لم ينم
ولا يزلُّ قلبه يكابد ما
وقد سمعتُ الذي هتفتَ به
وقد علمنا أن لستَ تصحبنا
إلا لِحَقِّ وحرمةٍ وعلى
أنتَ امرؤٌ لا تزول عن كرم
وأنت من أسرةٍ جحاجةٍ
فما ترمُّ من جسيم منزلةٍ
إن كنت مُستسقياً سَماحتنا
أو ترمُّ في بحرنا بدلك لا
إننا أناس لنا صنائعنا
مغتَنمو كسبِ كلِّ مَحَمَدةٍ

[شعره في عزل والي البصرة]

فاحتكم عليه أبو عيينة في عزل إسماعيل بن جعفر عن البصرة ، فعزله عنها وأمر له بمائة ألف درهم . فقال أبو عيينة في عزله إسماعيل بن جعفر عن إمارة البصرة⁵ :

[من المنسرح]

1 الودم : السيور بين آذان الدلو إلى الخشبتين .

2 الحمأة : الطين الأسود . والصبابة : بقية الماء . والأمم : البسير .

3 المريض في ل : السليم .

4 الحرِّم في ل : والذم .

5 القصيدة في الكامل (543) لابن أبي عيينة وهو الذي كانت تربطه علاقة بطاهر بن الحسين لا أخوه أبو عيينة .

لا تَعَدَمِ العَزْلُ يا أبا الحسنِ ولا هُزْلاً في دولة السَّمَنِ
ولا انتقِالاً من دارِ عافية إلى ديارِ البلاءِ والمِحَنِ¹
أنا الذي إن كَفَرْتَ نِعْمته أذاب ما في جَنبِكَ من عُكَنِ²

[رد ابن زعل على هجائه لنزار]

حدَّثني عيسى بنُ الحسين قال : حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحَزَنبَلِ الأصبهانيِّ قال : كان ابنُ أبي عُيَيْنة قد هجا نزاراً بقصيدة له مشهورة ، وفضَّلَ عليها قحطان ، فقال ابنُ زَعْبِل يهجوه ويردُّ عليه ، واسمه عمرو بن زَعْبِل :

[من الهزج]

بُنَيَّ أباي عُيَيْنة ما نطقتَ به من اللُّغَطِ
على ما أنتَ ملتجِف من الأوجاعِ في الوِسطِ
لِما في الدُّبُرِ من نَغَلٍ وما في العِرضِ من سَقَطِ
أَتَتنا الخَمْسُ والمائتا نِ بالنعماءِ والغِيبِطِ
أَميرٍ من هلالِ مسد تطيلُ الباعِ منبَسِطِ
شريفٍ ليس بالمدخو لِ في عِرضٍ ولا رَهْطِ³
أَظنُّكَ مِن يديه وا قعاً لا شكَّ في ورَطِ
ووالي الخَرجِ فياض ال يَدَيْنِ بنائلِ سَبِطِ⁴
له نِعَمِ حباك بها فلم تَحفظ ولم تَحُطِ
وقاضٍ من أميرِ المؤ منين يقوم بالقسِطِ
يَسرُّكَ أَنَّهُ من آ لِ قحطانِ على شحَطِ⁵
وأنتَ إن ذُكرتَ يقا لُ شيخٌ فاسقُ الشمِطِ
أعبدُ من عبيدِ عُمَا ن عابَ مناقبَ السَّبِطِ
وتهجو الغرَّ من مُضِر كفى هذا من الشُّطَطِ

1 المِحَنِ في الكامل : والفتن .

2 لم يرد هذا البيت في الكامل .

3 عِرض في ل : حسب .

4 سبط : ممتد .

5 آل في ل : حي .

تَيْمَمٌ فِي مُقَيَّرَةٍ	مَسِيرًا غَيْرَ مَغْتَبِطٍ ¹
مَجُوفَةٌ مَزِينَةٌ	بِوَدْعٍ لَاحٍ كَالرَّقَطِ ²
بُنُوكٌ تَجَرَّهَا بِالْقُدِّ	سِ مَوْتَرِينَ بِالْفُوطِ ³
مَتَى غَمَسُوا مَرَادِيَهُمْ	لِجِدِّ السَّيْرِ تَحْتَلِطِ ⁴
وَأَنْتَ بِمَوْضِعِ السُّكَا	نِ يُمَسِّكُهُ بِلَا غَلْطِ
عَلَيْكَ عِبَاءٌ مَشْكُو	كَةٌ بِالشُّوكِ لَمْ تُحْطِ
فَطَيْبَ رِيحِ بَلَدَتِنَا	فِرَارُكَ خَيْفَةَ الشَّرْطِ
وَأَنْتَ قَدْ عُرِفْتَ بِكُنْ	رَةِ التَّخْلِيطِ وَالغَلْطِ
تَرَى الْخُسْرَانَ إِنْ لَمْ تَرَ	نِ فِي يَوْمٍ وَلَمْ تَلُطِّ

[نذر المأمون دمه]

قال : وكان ابنُ أبي عيينة لما هجا زياراً بلغ شعره المأمون ، فنذر دمه ، فهرب من البصرة وركب البحر إلى عُمان ، فلم يزل بها متوارياً في نواحي الأزد حتى مات المأمون .
أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدّثني ابن مَهْرُوبٍ عن أبيه بِقِصَّةِ ابنِ أبي عيينة مع ابنِ زَعْبِلٍ ، فذكر نحو الخبر المتقدم .
[يشبُّ بوهبة ثم بدنيا]

حدّثني عمِّي قال : حدّثني أحمد بن يزيد المَهَلَّبِيُّ ؛ قال : قال : حدّثني أبي قال : كان ابنُ أبي عيينة يشبُّ بوهبة جارية القروي ، وهي التي يقول فيها فروجٌ الزني قوله : [من البسيط]
يا وهب لم يبق لي شيء أسرّ به إلا الجلوس فتسقينني وأسقينك
ثم عدل عن التشبيب بها إلى دنيا ، وذكرهما جميعاً في شعره فقال : [من الخفيف]
أرسلت وهبة لما رأته بعد سقم من هواها مُفِيقا
أتغيرت كأن لم تكن لي قبل أن تعرف دنيا صديقا

1 المقيرة : سفينة مطلية بالقار . مغتبط : مغبوط .

2 الودع : خرز أبيض يخرج من البحر .

3 القلس : جبال السفينة .

4 مرادي : جمع مرادة ، وهي المجداف . تحتلط : تسرع .

5 في معجم المرزباني (495) : فروخ الطلحي المدني ، ويقال فروخ الزنا واسمه يعقوب بن إسماعيل . وقد تقدم ذكره في الأغاني باسم فروخ الرفاء الطلحي .

قد لَعَمْرِي كان ذاك ولكن قَطَعَتْ دُنْيَا عَلَيْكَ الطَّرِيقَا
 أَخْبِرْنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا وُلِّيَ عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ هَزَارَ مَرْدُ
 الْبَصْرَةِ ، قَالَ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ فِي ذَلِكَ وَفِي دُنْيَا يَكْنِي بِهَا عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ
 صَاحِبَتِهِ :

هَنِيئاً لِدُنْيَا هَنِيئاً لَهَا قَدُومُ أَبِيهَا عَلَى الْبَصْرَةِ
 عَلَى أَنَّهَا أَظْهَرَتْ نَخْوَةَ وَقَالَتْ لِي الْمَلِكُ وَالْقَدْرَةَ
 فَيَا نَوْرَ عَيْنِي كَذَا عَاجِلاً عَلِيٌّ تَطَاوَلَتْ بِالْإِمْرَةَ

قال : وهذا دليل على أنه كان يكني عن فاطمة بدنيا ، لأنه كان يهوى جاريتها دنيا .

قال أحمد بن يزيد : وفيها يقول أيضاً : [من البسيط]

يَا حَسَنَهَا يَوْمَ قَالَتْ لِي مُودَعَةٌ لَا تَنْسَ مَا قَلْتِ ، مِنْ فِيهَا إِلَى أُذُنِي
 كَأَنَّي لَمْ أَصِلْ دُنْيَا عَلَانِيَةً وَلَمْ أَزُرْ أَهْلَ دُنْيَا زَوْرَةَ الْخَتَنِ
 جِسْمِي مَعِي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ فَالرُّوحُ فِي وَطَنِ وَالْجِسْمُ فِي وَطَنِ
 فَلْيَعْجَبِ النَّاسُ مِنِّي أَنَّ لِي جِسْداً لَا رُوحَ فِيهِ وَلِي رُوحٌ بِلَا بَدَنِ

وفي هذه الأبيات هزج طنبورِي مُحدَث .

[رثاء أخيه داود]

أَخْبِرْنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : وَرَدَ عَلَى ابْنِ أَبِي عُيَيْنَةَ كِتَابٌ
 مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ بِأَنَّ أَخَاهُ دَاوُدَ خَرَجَ إِلَيْهِ بِبَرِيدٍ ، فَمَاتَ بِهَمْدَانَ ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي عُيَيْنَةَ عِنْدَ
 ذَلِكَ يَرْتِيهِ : [من الوافر]

أَنْتَاحَةَ الْحَمَامِ قَفِي فَنُوحِي عَلَى دَاوُدَ رَهْنًا فِي ضَرِيحِ
 لَدَى الْأَجْيَالِ مِنْ هَمْدَانَ رَاحَتِ بِهِ الْأَيَّامَ لِلْمَوْتِ الْمُتْرِيحِ
 وَلَمْ يَشْهَدْ جَنَازَتَهُ الْبُؤَاكِي فَتَبْكِيهِ بِمُنْهَلٍ سَفُوحِ
 وَكُونِي مِثْلَهُ إِذْ كَانَ حَيًّا جَوَادًا بِالْغَبُوقِ وَبِالصَّبُوحِ
 أَنْتَاحَةَ الْحَمَامِ فَلَا تَشْحِي عَلَيْهِ فَلَيْسَ بِالرَّجْلِ الشَّحِيحِ
 وَلَا بِمُتَمَّرٍ مَالًا لِدُنْيَا وَلَا فِيهَا بِمِغْمَارِ طَمُوحِ
 يَبِيعُ كَثِيرٌ مَا فِيهَا يَبِاقُ ثَمِينٍ مِنْ عَوَاقِبِهِ رَبِيحِ
 وَمَنْ آلَ الْمَهْلَبِ فِي بُبَابِ لُبَابِ الْخَالِصِ الْمُخْضِرِ الصَّرِيحِ

هو أبناء آخرة ودنيا وأهداف المراثي والمدح

[تعب قينة في الكوفة]

أخبرني عمي ، قال : حدثنا أحمد بن يزيد عن أبيه قال : قديم أبو عيينة إلى الكوفة في بعض حوائجه ، فعاشره جماعة من وجوه أهلها ، وأقام بها مدة ، وألف فيها قينة كان يعاشرها وأحبها حباً شديداً ، فقال فيها :

لعمري لقد أعطيتُ بالكوفةِ المني
ونادمتُ أختَ الشمسِ حسناً فوافقت
وأنشدتُها شعري بدنيا فعربتُ
فقلتُ لها يا ظبيّة الكوفة اغفري
فقلت قد استوجبتُ منّا عقوبة
وفوق المنى بالغانياتِ النواعم
هوأي ومثلي مثلها فلينادم
وقالت : ملولٌ عهدُه غيرُ دائم
فقد تبّتُ مما قلتُ توبةً نادِم
ولكن سرعى فيك رُوحَ ابنِ حاتم

[شعره في بستانه وضعته]

قال أحمد بن يزيد ، قال لي أبي : كان لابن أبي عيينة بستانٌ وضيعَةٌ في بعض قطائع المهلب بالبصرة ، فأوطنها¹ وصيرها منزله ، وأقام بها ، وفيها يقول² :

يا جنةً فاقت الجنان فما
ألفتها فاتخذتها وطناً
زوّج حيتانها الضبابَ بها
فانظرُ وفكر فيما نطقُ به
من سفن كالنعامِ مُقبلة
ومن نعامٍ كأنها سفنُ
أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، أن أبا عيينة أنشده لنفسه :

صوت

لا يَكنُ منك ما بدا لي بعيني
إن يكن في الفؤادِ شيءٌ وإلا
فلعلّي إذا قربتُ تباعدتُ
لِك من اللّحظِ حيلةً واختداعاً
فدعيني لا تقتليني ضياعاً
تِ وأظهرتِ جفوةً وامتناعاً

1 أوطنها : اتخذها وطناً .

2 الأبيات في الشعر والشعراء (755) لأبي عيينة .

حين نفسي لا تستطيع لما قد
وقعت فيه من هواها ارتجاعا
في هذه الأبيات رمل مطلق محدث .

[عبد الله يعاتب محمد بن خالد البرمكي]

أخبرني عمي قال : حدّثني أحمدُ بنُ يزيدَ قال : حدّثني أبي قال : كان عبدُ الله بن
محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة شاعراً ، وهو القائل يعاتب محمد بن يحيى بن خالد
البرمكي بأبيات رائية أولها :

قَضُّ لِكْفَيْكَ وَاذْوَرَارُ	اسْلَمْ وَإِنْ كَانَ فِيكَ عَنِّي
كَأْتَمَا بِي إِلَيْكَ ثَارُ	تَلْحَظُنِي عَابِسًا قَطُوبًا
يَجُوزُ مِنْهُ لِي اعْتِدَارُ	لَوْ كَانَ أَمْرٌ عَتَبَ فِيهِ
لِحَانَ مَنِّي لَكَ الْفِرَارُ	أَوْ كُنْتُ سَالَّةً حَرِيصًا
لَا مَنَصِبٌ لِي وَلَا نِجَارُ	أَوْ كُنْتُ نَذْلًا عَدِيمَ عَقْلٍ
مَا تَحْمَلُ الْأَنْفُسُ الْكِبَارُ	أَوْ لَمْ أَكُنْ حَامِلًا بِنَفْسِي
وَكُلُّ أَهْلِي فَتَى خِيَارُ	وَأَنْتِي مِنْ خِيَارِ قَوْمِي
مِنْكَ وَإِنْ نَالَنِي ضِرَارُ	عَذْرَتُ إِنْ نَالَنِي جَفَاءُ
قِحْطَانُ لِي الْجَدُّ لَا نِزَارُ	لَكِنْ ذَنْبِي إِلَيْكَ أَنْتِي
أَوْ أَنْ يَنْأَى بِي الْمَزَارُ	عَلَيْكَ مَنِّي السَّلَامُ هَذَا
دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ	مَا كُنْتُ إِلَّا كَلْحَمِ مَيِّتٍ
مُحَمَّدٍ دِيمَةٌ غِزَارُ	رَاحَتْ عَلَى النَّاسِ لِابْنِ يَحْيَى
بِقَدْرِ مَا يَنْجَلِي الْغِبَارُ	وَلَمْ يَكُنْ مَا أَنْتُ مِنْهُ
أَعْلَامُهُ السُّفْلَةُ الشَّرَارُ	قَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ فِي زَمَانٍ
فِيهِ وَيَسْتَقْدِمُ الْحِمَارُ	يَسْتَأْخِرُ السَّابِقُ الْمُدَكِّي
يَوْمًا وَمَا إِنَّ لَهُ اخْتِيَارُ	وَلَيْسَ لِلْمَرْءِ مَا تَمَنَّى
وَفِي مَقَادِيرِهِ الْخِيَارُ	مَا قَدَّرَ اللَّهُ فَهُوَ آتٍ

[يهجو قبضة ابن روح المهلبى ، ويمدح داود ابن عمه]

أخبرني عمي قال : حدّثنا أبو هفان ، قال : كان ابنُ أبي عيينة قد قصد قبضة ابن
روح بن حاتم المهلبى واستماحه ، فلم يجد عنده ما قدّر فيه ، فانصرف مغاضباً ، فوجه
إليه داودُ بنُ مزيدِ بنِ حاتمِ بنِ قبضة ، فترضاه ، وبلغ ما أحبه ورضيه من برّه ، ومعونته ،

فقال يمدحه ويهجو قبصة¹ :

[من الكامل]

أَبِيصَ لَسْتَ وَإِنْ جَهَدْتَ بِمُدْرِكِ
شَتَانِ بَيْنَكَ يَا قَبِيصَ وَبَيْنِهِ
اخْتَارَ دَاوُدُ بِنَاءَ مُحَمَّدٍ
قَدْ كَانَ مَجْدُ أَبِيكَ لَوْ أَحْيَيْتَهُ
لَكِنْ جَرَى دَاوُدُ جَرَى مِرْزِ
دَاوُدَ مُحَمَّدٍ وَأَنْتَ مَذْمُومٌ
وَلرُبَّ عُودٍ قَدْ يُشَقُّ لِمَسْجِدِ
فَالْحَشُّ أَنْتَ لَهُ وَذَلِكَ لِمَسْجِدِ
هَذَا جَزَاؤُكَ يَا قَبِيصَ لِأَنَّهُ

سَعِيَ ابْنِ عَمِّكَ ذِي الْعَلَا دَاوِدِ
إِنَّ الْمَذْمُومَ لَيْسَ كَالْمَحْمُودِ
وَاخْتَرْتَ أَكْلَ شِبَارِقٍ وَتَرِيدُ²
رُوحَ أَبِي خَلْفِ كَمَجْدِ يَزِيدِ
فَحَوَى الْمَدَى وَجَرِيَتْ جَرِيَّ بَلِيدِ
عَجَبًا لِذَلِكَ وَأَنْتَ مِنْ عَوْدِ
نِصْفًا وَسَائِرُهُ لِحُشِّ يَهُودِ³
كَمْ بَيْنَ مَوْضِعِ مَسْلُحٍ وَسُجُودِ
جَادَتْ يَدَاهُ وَأَنْتَ قُفْلُ حَدِيدِ

[شعره في مجلس صاحب بستان الجارية]

حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ قُدَّامَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : كَانَتْ لِأَبِي
حُدَيْفَةَ مَوْلَى جَعْفَرِ بْنِ سَلِيمَانَ جَارِيَةٌ مُغْنِيَةٌ يُقَالُ لَهَا : بُسْتَانُ ، فَبَلَغَهُ أَنَّ أَبَا عَيِّنَةَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ عَيِّنَةَ
ذَكَرَ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ مَحَبَّتَهُ لَهَا وَلَا سَمَاعَ غَنَائِهَا ، فَدَعَاها ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَطْرَحَ الْحِشْمَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ،
فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ ؛ وَقَالَ لَمَّا سَكِرَ وَانصَرَفَ مِنْ عِنْدِهِ فِي ذَلِكَ :

[من الوافر]

أَلَمْ تَرِنِّي عَلَى كَسَلِي وَفَتْرِي
وَكُنْتُ إِذَا دُعِيتُ إِلَى سَمَاعِ
أَجَبْتُ أَبَا حُدَيْفَةَ إِذْ دَعَانِي
أَجَبْتُ وَلَمْ يَكُنْ مِنِّي تَوَانِي
كَأَنَّا مَسْنُ بِشَاشَتِنَا ظَلَّلْنَا
بِیَوْمٍ لَيْسَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ

[يهجو من لم يعطه سماداً]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
عُثْمَانَ قَالَ : كَانَتْ لِعِيسَى بْنِ مُوسَى ضَيْعَةٌ إِلَى جَانِبِ ضَيْعَةِ ابْنِ أَبِي عَيِّنَةَ بِالْبَصْرَةِ ،
وَكَانَ لَهُ إِلَى جَانِبِ ضَيْعَتِهِ سَمَادٌ كَثِيرٌ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَعْطِيَهُ بَعْضَهُ لِيَعْمَرَ ابْنَ أَبِي عَيِّنَةَ بِهِ
ضَيْعَتَهُ ، فَلَمْ يَفْعَلْ فَقَالَ فِيهِ :

[من الوافر]

1 الأبيات 1 و6-8 في معجم المرزباني : 110 و 6-8 في الشعر والشعراء : 755 وطبقات ابن المعتز .

2 محامد في ل : مكارم . والشبارق : جمع شبرق ، وهو نبات متن يلقبه البحر .

3 المرزباني : وباقيه لحش .

رَأَيْتُ النَّاسَ هَمَّهُمُ الْمَعَالِي وَعَيْسَى هَمُّهُ جَمْعُ السَّمَادِ
وَرِزْقُ الْعَالِمِينَ بِكَفِّ رَبِّي وَعَيْسَى رِزْقُهُ فِي أَسْتِ الْعِبَادِ¹

[هجاؤه ابن عمه خالد]

هكذا ذكره ابن مَهْرُوثِه ، وهذا بيت فاسد ، وإنما هو :

إذا رُزِقَ الْعِبَادُ فَإِنَّ عَيْسَى لَهُ رِزْقٌ مِنْ أَسْتِهِ الْعِبَادِ
ولابن أبي عِيْنَةَ مع ابن عمه خالد أخبارٌ جَمَّةٌ أذكرها هاهنا والسبب الذي حَمَلَهُ عَلَى هجائه : أخبرني علي بن سليمان الأَخْفَشُ ببعضها ، عن محمد بن يزيد المبرِّد ، وبعضها عن أحمد بن يزيد المهلبِي عن أبيه ، وقد جمعت روايتهما فيما اتَّفقا عليه ، ونسبت كل ما انفرد به أحدهما أو خالف فيه إليه ، وذكرت في فصول ذلك وخِلاله ما لم يأتيا به مما كتبتُه عن الرواة ، قالوا جميعاً : وَلِيَّ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ حَاتِمِ بْنِ قَيْصَةَ بْنِ الْمُهَلَّبِ جُرْجَانَ ، فسأل يزيد بن حاتم أبا عِيْنَةَ أن يَصْحَبَهُ ويخرج معه ، ووعده الإحسان والولاية ، وأوسع له المواعيد ، وكان أبو عِيْنَةَ جندياً ، فجرد اسمه في جريدته ، وأخرج رزقه معه ، فلما حصل لجرجان أعطاه رزقه لشهر واحد ، واقتصر على ذلك ، وتشاغل عنه وجفاه . فبلغه أنه قد هجاه وطعن عليه ، وبسط لسانه فيه ، وذكره بكل قبيح عند أهل عمله ووجوه رعيته ، فلم يقدر على معاقبته ، لموضع أبيه وسنه ومحلّه في أهله ، فدعا به ، وقال له : إنه قد بلغني أنك تريد أن تهربَ فإما أن أقمتَ لي كفيلاً برزقك أو رددته ، فأتاه بكفيل فاعتته ، ولم يقبله ، ولم يزل يردده حتى ضجر ؛ فجاءه بما قبض من الرزق فأخذه ، ولجَّ أبو عِيْنَةَ في هجائه وأكثر فيه حتى فضحه . فقال في هذا عن أحمد بن يزيد المهلبِي :

[من الكامل]

دُنِيَا دَعْوَتِكَ مُسْرِعًا فَاجِيي وَيَمَا اصْطَفَيْتُكَ فِي الْهَوَى فَائِيي
دومي أدم لك بالصِّفَاءِ عَلَى النَّوَى إِنِّي بَعْدِيكَ وَاثِقٌ فَتَقِي بي
ومن الدَّلِيلِ عَلَى اشْتِيَاقِي عَبْرَتِي وَمَشِيْبُ رَأْسِي قَبْلَ حِينِ مَشِيي
أَبْكِي إِلَيْكَ إِذَا الْحَمَامَةُ طَرَبَتْ يَا حَسَنَ ذَاكَ إِلَيَّ مِنْ تَطْرِيْبِ
تَبْكِي عَلَى فَنَنِ الْغُصُونِ حَزِيْنَةً حُزْنَ الْحَبِيْبَةِ مِنْ فِرَاقِ حَبِيْبِ
وَأَنَا الْغَرِيْبُ فَلَا أَلُمُّ عَلَى الْبُكَاءِ إِنَّ الْبُكَاءَ حَسَنٌ بِكُلِّ غَرِيْبِ
أَفْلا يُنَادِي لِلْقُفُولِ بِرِحْلَةٍ تَشْفِي جَوِيَّ مِنْ أَنْفَسِ وَقُلُوبِ

1 تقدم هذا البيت بالرواية الأخرى لأبي الشمقمق في عيسى بن سليمان .

ما لي اصطفت على التعسفِ خالداً
 تَبّاً لصحبة خالدٍ من صحبة
 يا خالدَ بنَ قبيصةٍ هيَّجتَ بي
 لما رأيتُ ضميرَ غَشْكَ قد بدا
 وعرفتُ منكَ خلائقاً جرَّتها
 خلَّيتُ عنكَ مفارقاً لك عن قَلِي
 فلئن نظرتُ إلى الرُّصافةِ مرّةً
 لأمزقنك قائماً أو قاعداً
 ولتأتينَ أباك فيكَ قصائدُ
 ولتُشدنَّ بها الإمامُ قصيدةً
 ولأوذبنك مثلما آذيتني

قال أحمد بن يزيد في خبره : حدثني أبي قال : أعرس داود بن محمد بن أبي عيينة أخو أبي عيينة بالبصرة ، وأخوه غائب يومئذٍ مع ابن عمه خالد بجرجان ، فكتب داود إلى أخيه يخبره بسلامته وسلامة أهل بيته ، وبخبر نقله أهله إليه ، فقال أبو عيينة في ذلك :

ألا ما لعينك معتلة
 وكيف بجرجان صبرُ امرئ
 وأطول بليلك أطول به
 وراعك من خيله حاشر
 يسوقك نحوهم مكرهاً
 عروس ينعم من تحته
 وما مُدنف بين عواده
 بأوجع مني إذا قيل لي :
 وما لدموعك منهلة
 وحيد بها غير ذي خلّة
 إذا عسكر القوم بالأئلة³
 من القوم ليست له قبله
 وداود بالمصر في غفلة
 سرير ومن فوقه كلة
 ينادى وفي سمعه نقله
 تاهب إلى الري بالرحلة

1 ل : وليسمعن بها الأنام . . .

2 أشلى : أغرى كما تغرى الدابة أو الناقة بالمخلاة .

3 الأئلة : قرية بالجانب الغربي لبغداد .

وما لي وللرِّيِّ لولا الشقا
أكلّف أجبالها شاتياً
وأهونُ من ذاك لو سهّلوه
تروح إلينا بها طربة
أخالدُ خذُ من يدي لطمة
جمعتَ خصالَ الردى جملة
فما لك في الخيرِ من خلة
ولما تناضل أهلُ العلا
فما لك في المجدِ يا خالدُ
وأسرعتَ في هدمِ ما قد بنى
وكانت من التبعِ عيدانهم
فيا عجباً نبعةً أنبتت
ثيابك للعبدِ مطوية
أجعتَ بنيك وأعريتهم
إذا ما دُعينا لقبضِ العطاء
وجلةً تمرُّ تُغادى بها
وتُقصي بنيك وهم بالعا
ولو كان خبزُ وتمرٌ لديك
وتصبحُ تقلِسُ عن تُخمة
إذا الحَيِّ راعهمُ رائع

ءِ إن كنت عنها لفي عزلة
على فرسٍ أو على بغلة
ركوبُ القراقيرِ في دجلة¹
رواحِ الندامى إلى دله
تغيظُ ومن قدمي ركلة
وبعتَ خصالَ الندى جملة
وكم لك في الشرِّ من خلة
نضلتَ فأذعنتَ للنضلة
مقرطسة لا ولا خصلة²
أبوك وأشياخه قبله
نضاراً وعودك من أثلة
خلافاً وريحانةً بقله³
وعرضك للشمِّ والبدلة
ولم تُوتَ في ذاك من قلة
وهيات كيسك للغلة
فتأتي على آخرِ الجلة⁴
نزلهمُ المالحُ والملة⁵
لما طمعوا منك في فضلة
كانَّ جُشاءك عن فجة⁶
فأوهنُ من غادة طفلة

1. القراقير : نوع من السفن ، واحدها قرقور .

2 المقرطسة : الرمية الصائبة .

3 الخلاف : شجر كالصفصاف .

4 الجلة : القفة الكبيرة .

5 أي طعامهم خبز الملة والمالح . والملة : الرماد الحار .

6 القلس : خروج الطعام أو الشراب إلى الفم سواء ألقى أو أعيد إلى المعدة .

وليثٌ يصول على قرنه
فلله ذرّك عند الخوا
وإن جاءك الناسُ في حاجة
وتلقاهم أبداً كالبحا
فهذا نصيبي من خالدٍ
وإنني لصحبتُه مبغضٌ
إذا ما دُعيتَ إلى أكله
ن من فارسٍ صادقِ الحملة
تفكّرتَ يومين في العلة
كان قد عصّضتَ على بصله
لكم هنة بتة بتله¹
ولا خيرَ في صحبة السفلة

[مسلم بن الوليد يستكره هجاء لابن عمه]

حدّثني أحمدُ بنُ عبيد الله بنِ عمّارِ التقيّ قال : حدّثني أبو الحسن بن المنجم قال : رأيت مسلم بن الوليد الأنصاري يوماً عند أبي ، ثم خرج من عنده ، فلقيه ابنُ أبي عيينة ، فسلم عليه وتحمّى به ، ثم قال له : ما خبرك مع خالد ؟ قال : الخبر الذي تعرفه ، ثم أنشده قوله فيه² :

يا حفصُ عاطٍ أخاك عاطٍه كاساً تهيج من نشاطه

قال : ومسلمٌ يتبسم من هجائه إياه حتى مرّ فيها كلّها ، ثم ختمها بقوله :

وإذا تطاولتِ الرؤو س فغطّ رأسك ثم طاطه

فقال مسلم : مه ، إنا لله ! هتكته والله وأخزيتّه ، وإنما كنتُ أظنُّ أنّك تمزح وتهزل إلى آخر قولك حتى ختمته بالجدِّ القبيح ، وأفرطت فيما خرجت به إليه ، ثم مضى وهو يقول : فضحتّه والله ، هتكته والله !

[ودعيل يستكره]

أخبرني عمّي قال : حدّثني أحمدُ بنُ يزيد قال : حدّثني أبي قال : لقي دِعبلُ أبا عيينة فقال له : أنشدني قولك في ابن عمك فأنشده :

يا حفصُ عاطٍ أخاك عاطٍه كاساً تهيج من نشاطه

صيرفاً يعودُ لوقعها كالظبي أطلق من رباطه

صباً طوت عنه الهمو مُ نعيمه بعد انبساطه

1 لكم هنة في بيروت : لكم هبة . وبتله : مقتطعة .

2 في معجم المرزباني : 110 البيت الأول من القصيدة الطائية وفي طبقات ابن المعتز : 289 الأبيات الثلاثة الأولى والخامس .

فبكى وحقّ له البكا
جَزِعَ المَخْنُتُ خالداً
فانظُرْ إلى نزواته
دَعْنِي وإيّا خالداً
إِنِّي وجدْتُ كلامه
رجُلٌ يَعَدُّ لك الوعيد
وإذا انتظرتَ غداً
يا خالِ صَدِّ المجدُّ عند
وعرِيتَ من حُللِ الندى
فإذا تطاولتَ الرؤى
لشقائقه بعد اغتباطه
لما وقعتُ على قِمَاطِه
من منطقي وإلى اختلاطه
فلا تُقطعَنَّ عُرَى نِياطِه¹
فيه مَسابِه من ضُرَاطِه
سد إذا وطئتَ على بساطِه
فخَفِ البوادِر من سِياطِه
لك فلن تجوزَ على صراطِه
عُرَى التيمِّمِ وِمن رِياطِه²
وس فَعَطَّ رَأْسَكَ ثم طاطِه

فقال له دِعْبِلٌ : أغرقتَ والله في النَّزْعِ وأسرفتَ ، وهتكتَ ابنَ عَمِّكَ وقتلتَه وعضضتَ منه ، وإنما استنشدتك وأنا أظنُّ أنكَ قلتَ كما يقول النَّاسُ قولاً متوسطاً ، ولو علمتُ أنكَ بَلَّغْتَ به هذا كلّه لما استنشدتك .

أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بنُ عليٍّ وعمِّي قالَا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوبِهِ قال : حدَّثني الحسينُ بنُ السريِّ قال : لقي دِعْبِلُ أبا عُبَيْنَةَ فقال له : أنشدني بعضَ ما قلتَ في ابنِ عَمِّكَ ، ثم ذكر الخَيْرَ مثل ما ذكره أحمدُ بنُ يزيدَ ، وقال فيه : إنما ظننتُ أنكَ قلتَ فيه قولاً أبقيتَ معه عليه بعضَ الإبقاء ، ولو علمتُ أنكَ بَلَّغْتَ به هذا كلّه وأغرقتَ هذا الإغراقَ ما استنشدتك ، وجعل يعيد «فَعَطَّ رَأْسَكَ ثم طاطه» ، ويقول : قتله والله !

[مزيد من هجائه في خالد]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأَخْفَشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال : ومن مختار ما قاله في خالد قوله :

[من البسيط]

قُلْ لِدُنْيَا باللهِ لا تقطعينا
لا تخوني بالغيبِ عهدَ صديقِ
واذكرني عيشنا وإذ تنفضَ الرِّيبِ
واذكرنا في بعضِ ما تذكّرنا
لم تخافيه ساعةً أن يخونا
حُ عَلينا الخيريِّ والياسمينِ³

1 النياط : عرق يشد القلب فإذا قطع مات صاحبه .

2 الرياط : جمع ريطه ، وهي ثوب يشبه الملحفه .

3 الخيري : نبات أصفر الزهر ذو رائحة ذكية .

إذ جعلنا الشاهِسْفَرَامَ فِرَاشاً
 حفظ اللهُ إخوتي حيث كانوا
 فتيّة نازحون عن كلِّ عيب
 وهم الأكثرون يعلمُ ذاك الذِّ
 أزعجتني الأقدار عنهم وقد كد
 وتبدلتُ خالداً لعنةُ اللد
 رجلٌ يقهرُ اليتيمَ ولا يؤو
 ويصونُ الثيابَ والعِرضُ بالِ
 نزع اللهُ منه صالح ما أع
 فلعمر المبادرين إلى مك
 إنَّ أضيافَ خالدٍ وبنيه
 وتراهم من غير نُسكٍ يصومو
 يا بني خالدٍ دعوهُ وفروا
 قال محمد بن يزيد : ومن مشهور شعره فيه قصيدته التي أولها : [من الطويل]

أثقلُ أم تئوي على الهمِّ والضَّجْرُ ؟
 بها الهمُّ واستولى بها بعده السهرُ
 لقد كنتُ أشكو فيه بالبصرة القصرُ
 ويا حسنَ واديه إذا ماؤه زخرُ³
 إذا مدَّ في إبانه النهرُ أو جزرُ
 وسيماهم التحجيل في المجدِ والغرُ
 ولا طيبَ نفساً بذاك ولا مُقرُ
 فقلتُ لها لا علمَ لي فسلي القدرُ
 ونغصني عيشي عَدِمْتَكَ مِنْ سفرُ

إذ جعلنا الشاهِسْفَرَامَ فِرَاشاً
 حفظ اللهُ إخوتي حيث كانوا
 فتيّة نازحون عن كلِّ عيب
 وهم الأكثرون يعلمُ ذاك الذِّ
 أزعجتني الأقدار عنهم وقد كد
 وتبدلتُ خالداً لعنةُ اللد
 رجلٌ يقهرُ اليتيمَ ولا يؤو
 ويصونُ الثيابَ والعِرضُ بالِ
 نزع اللهُ منه صالح ما أع
 فلعمر المبادرين إلى مك
 إنَّ أضيافَ خالدٍ وبنيه
 وتراهم من غير نُسكٍ يصومو
 يا بني خالدٍ دعوهُ وفروا

1 الشاهسفرام : الریحان .

2 هذا البيت والذي يليه في الشعر والشعراء : 753 .

3 الخريز : المكان المظمن بين ربوتين .

دعوني وإيّا خالدٍ بعد ساعة
 كأنّي بصدقِ القولِ لما لقيتهُ
 دنيءٌ به عن كلِّ خيرِ بلادةٍ
 له منظرٌ يُعْمِي العيونَ سماجةٍ
 أبوكَ لنا غيثٌ يعاشُ بوَيْلِهِ
 له أثرٌ في المكرماتِ يسرّنا
 لقد قُنَعَتْ قَحطَانُ خزيّاً بخالدِ
 أخبرني عيسى بنُ الحسينِ قال : حدّثني
 الرشيرُ قولَ ابنِ أبي عُيينةَ :

[من الطويل]

فهل لك فيه يُخزكُ اللهُ يا مضرُ
 لقد قُنَعَتْ قَحطَانُ خزيّاً بخالدِ
 فقال الرشيدُ : بل يُوقرونَ ويُشكرونَ .

أخبرني محمدُ بنُ يحيى الصوليُّ قال : قال لنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يزيدٍ : لم يجتمع لأحدِ
 المحدثينِ في بيتٍ واحدٍ هجاءُ رجلٍ ومدحُ أبيه كما اجتمع لابنِ أبي عُيينةَ في قوله : [من الطويل]
 أبوكَ لنا غيثٌ نعيشُ بوَيْلِهِ
 وأنتَ جرادٌ ليس يُبقي ولا يذرُ
 وقال محمدُ بنُ يزيدٍ : ومن جيّدِ قوله أيضاً يهجو خالداً هذا :

[من الطويل]

على إخوتي مني السلامُ تحيةً
 وقُلْ لهم بعد التحيةِ أنتمُ
 وعزٌّ عليهم أن أقيمَ ببلدةٍ
 لئن ساءَ لهم ما كان من فعلِ خالدِ
 وقد علموا أن ليس مني بمُفْلِتِ
 أخالدُ لا زالت من اللهِ لعنةٌ
 أخالدُ كانت صحبتيك ضلالةً
 وأرسلَ يبغي الصلحَ لما تكفّفتُ
 فأرسلتُ بعد الشرِّ أني مسالمٌ
 تحيةً مُثنٍ بالأخوةِ حامدِ
 بنفسي وما لي من طريفٍ وتالدِ
 أخوا سقمٍ فيها قليلُ العوائدِ
 لقد سرّهم ما قد فعلتُ بخالدِ
 ولا يومه المسكينِ مني بواحدِ
 عليك وإن كنتَ ابنَ عمي وقائدي
 عصيتُ بها ربّي وخالفْتُ والدي
 عوارضَ جنبيهِ سياتُ القصائدِ
 إلى غيرِ ما لا تشتهي غيرُ عائدِ

1 وهذا البيت والبيتان بعده في الشعر والشعراء : 753 . وأضاف رابعاً لم يرد هنا :
 نسيءٍ وتمضي في الإساءة دائباً فلا أنت تستحيي ولا أنت تعتذر

[أهجى شعراء عصره]

أخبرني عمي قال : حدثنا الكُراني قال : زعم القَحْذمي أَنَّ الرشيد قال للفضل بن الربيع : مَنْ
أهجى المحدثين عندك يا فضلُ في عصرنا هذا ؟ قال : الذي يقول في ابن عمه¹ : [من مجزوء الرمل]

لو كما يَنْقُصُ يزدا دُ إِذَا نال السماء
خالدٌ لولا أبوه كان والكلبَ سواء
أنا ما عشتُ عليه أسوأ النَّاسِ ثناء
إنَّ مَنْ كان مسيئاً لحقيقٌ أن يُساء

فقال الرشيد : هذا ابن أبي عيينة ، ولعمري لقد صدقت .

[الهادي يرده من جيش خالد]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال : حدثني أبي قال : كان
ابن أبي عيينة مع ابن عمه خالد بجرجان ، فأساء به وجفاه . وكان لابن أبي عيينة صديقان من
جند خالد من أهل البصرة ، أحدهما مُهَلَّبِي والآخرُ مولى للأزد ، وكلهم شاعر ظريف ، فكانوا
يمدحون السَّراة من أهل جرجان فيصيبون منهم ما يقوتهم . وولي موسى الهادي الخِلافة
فكتب ابن أبي عيينة إلى مَنْ كان في خدمة الخلفاء من أهله بهذه القصيدة : [من الخفيف]

كيف صَبْرِي ومنزلي جُرجانُ والعراقُ البلادُ والأوطانُ ؟
نحنُ فيها ثلاثةٌ حُلَفاءُ وندامى على الهوى إخوانُ
نتساقى الهوى ونظربُ للذِّك رِ كما تُطربُ النشاوى القيانُ
وإذا ما بكى الحمامُ بكينا ليُكاه كأننا صبيانُ
يا زماني الماضي بيغدادَ عُدِّي طالما قد سررتني يا زمانُ
يا زماني المسيءُ أحسنُ فقيداً كان عندي من فعلك الإحسانُ
ما يريدُ العُدالُ مني أمّا يُت رَكَ أيضاً بغمه الإنسانُ
ويقولون أملكُ هواك وأقصر قلتُ ما لي على الهوى سلطانُ²
أيُّها الكاتِمُ الحديثَ وقد طا لَ به الأمرُ وانتهى الكتمانُ

1 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء : 754 مع عكس الترتيب ، وفي طبقات ابن المعتز : 289 سبعة أبيات
آخرها البيتان الأولان وليس منها الثالث والرابع .

2 أملك في ل : أمسك .

قد لعمري عرّضتَ حيناً فبينَ
 واتخذ خالداً عدواً مبيناً
 وآلهُ عنه فما يضرّك منه
 ولعمري لولا أبوه لئالت
 قل لفتياننا المقيمين بالبا
 لا تخافوا الزمانَ قد قام موسى
 أولم تأتاه الخلافة طوعاً
 فهى منقادة لموسى وفيها
 قل لموسى يا مالك المملك طوعاً
 أنت بجر لنا ورأيك فينا
 فاكفينا خالداً فقد سامنا الخسد
 كم إلى كم يُغضى على الذلّ منه

قال : فلما قرأ هذه القصيدة موسى الهادي أمر له بصلة ، وأعطاه ما فات من رزقه ، وأقفله من جيش خالد إليه .

صوت

[من السريع]

أين محلّ الحيّ يا وادي
 مُستصحب للحرب خيفانة²
 بين خُذور الظُعن محجوبة³
 وأسمرّاً في رأسه أزرق
 خبر سقاك الرائح الغادي
 مثل عقاب السرحة العادي²
 حدا بقلبي معها الحادي
 مثل لسان الحية الصادي³

الشعر لدعبل بن عليّ الخزاعيّ ، والغناء لأحمد بن يحيى المكيّ ، خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوُسطى عن أبي عبد الله الهشامي .

1 سلطان في ل : إنسان .

2 خيفانة : فرس أو ناقة خفيفة الحركة . والسرحة : الدوحة .

3 الأزرق : النصل الشديد الصفاء . ونصب أسمرّاً على العطف على خيفانة .

[416] - أخبار دعبل بن علي ونسبه¹

[هجاء خبيث اللسان]

هو دَعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَزِينِ بْنِ سَلِيمَانَ بْنِ تَمِيمِ بْنِ نَهْشَلِ بْنِ خِدَاشِ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ دَعْبَلِ بْنِ أَنَسِ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ سَلَامَانَ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ أَفْصَى بْنِ حَارِثَةَ بْنِ عَمْرِو عَامِرِ بْنِ مُزَيْقِيَا ، وَيَكْنَى أَبُو عَلِيٍّ .

شاعرٌ متقدِّمٌ مطبوعٌ هجاءٌ خبيثُ اللسان ، لم يَسَلَمْ منه أحدٌ من الخلفاء ولا من وزراءهم ولا أولادهم ولا ذو نباهةٍ ، أحسنَ إليه أو لم يحسن ، ولا أفلتَ منه كبيرٌ أحد . وكان شديدَ التعصُّبِ على النَّزَارِيَّةِ لِلْقَحْطَانِيَّةِ ، وقال قصيدةً يردُّ فيها على الكُمَيْتِ بن زيد ، ويناقضه في قصيدته المذمَّبة التي هجا بها قبائل اليمن .

أَلَا حَيْتِ عَنَا يَا مَرِينَا

فَرَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ ، فَهَا هِيَ عَنْ ذِكْرِ الكُمَيْتِ بِسَوْءِ .

وَنَاقَضَهُ أَبُو سَعْدِ الْمَخْزُومِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ وَهَاجَاهُ ، وَتَطَاوَلَ الشَّرَّ بَيْنَهُمَا ، فَخَافَتْ بَنُو مَخْزُومٍ لِسَانَ دَعْبَلِ وَأَنْ يَعْمَهُمُ بِالْهَجَاءِ ، فَفَنَوْا أَبُو سَعْدٍ عَنْ نَسَبِهِمْ ، وَأَشْهَدُوا بِذَلِكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ .

[خلع عليه علي بن موسى الرضا من ثيابه]

وكان دَعْبَلٌ من الشيعة المشهورين بالميل إلى عليٍّ ، صلواتُ الله عليه ، وقصيدته : [من الطويل]

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تَلَاوَةٍ

مَنْ أَحْسَنَ الشَّعْرَ وَفَاخَرَ الْمَدَائِحِ الْمَقُولَةَ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَقَصَدَ بِهَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، بِخُرَاسَانَ ، فَأَعْطَاهُ عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ مِنَ الدِّرَاهِمِ الْمَضْرُوبَةِ بِاسْمِهِ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً مِنْ ثِيَابِهِ ، فَأَعْطَاهُ بِهَا أَهْلُ قُمَّ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ،

1 ترجمة دعبل الخزاعي في الشعر والشعراء : 727-730 ووفيات الأعيان 2 : 226-230 ومعاهد التنصيص 2 : 190 وتاريخ بغداد 8 : 382 والفهرست : 229 والموشح : 299 وطبقات ابن المعتز : 264-269 ومعجم الأدباء (عباس) : 1284-1287 وتهذيب ابن عساكر 5 : 227 وشذرات الذهب 2 : 11 والرجال للكشي 313 وسير الذهبي 11 : 519 والوافي 14 : 12 ولسان الميزان 2 : 430 وروضات الجنات 3 : 306 وانظر بروكلمان 2 : 39-41 ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد طبع ديوانه عدَّة مرات ، ونحن نعتمد طبعة بيروت بتحقيق د . محمد يوسف نجم .

فلم يَبِعْهَا ، ففقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : إنها إنما تراد لله عزّ وجلّ ، وهي محرّمة عليكم ، فدفعوا إليه ثلاثين ألف درهم ، فحلف ألاّ يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كَفَنِهِ ، فأعطوه فرْدَ كَمِّ ، فكان في أكفانه .

وكتب قصيدته : «مدارسُ آياتٍ» فيما يقال على ثوب ، وأحرَمَ فيه ، وأمر بأن يكون في أكفانه . ولم يزل مرهوبَ اللسان وخائفاً من هجائه للخلفاء ، فهو دهره كلّهُ هاربٌ مُتوارٍ .

[يُعمل خشبته فلا يجد من يصلبه عليها]

حدّثني إبراهيم بن أيّوب قال : حدّثنا عبدُ الله بنُ مسلم بن قُتيبة قال : رأيت دِعْبِلَ بنَ عليٍّ وسمعتُه يقول : أنا أحملُ خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة ، لست أجد أحداً يصلبني عليها .

[هجاء إبراهيم بن المهدي وأبي عباد]

حدّثني عمّي قال : حدّثنا ميمونُ بن هارونَ قال : قال إبراهيمُ بن المهديّ للمأمون قولاً في دِعْبِلَ يخرّضه عليه ، فضحك المأمون ، وقال : إنما تحرّضني عليه لقوله فيك¹ : [من السريع]

يا معشرَ الأجنادِ لا تقنطوا وارضؤا بما كان ولا تسخطوا
فسوفَ تعطونَ حنّيبَةَ يلتذها الأمرُ والأشمطُ²
والمعبدياتِ لقوادِكم لا تدخلُ الكيسُ ولا تُربطُ³
وهكذا يرزقُ قوادَه خليفةٌ مصحفُه البربطُ⁴

فقال له إبراهيم : فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : دَعُ هذا عنك فقد عفوتُ عنه في هجائه إياي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عبّاد ، فلما رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم : دِعْبِلُ يجسرُ على أبي عبّادٍ بالهجاء ويحجم عن أحدٍ ؟ فقال له : وكانَ أبا عبّادٍ أبسطُ يداً منك يا أمير المؤمنين ؟ قال لا ، ولكنّه حدّيد جاهل لا يؤمنُ ، وأنا أحلم وأصفح . والله ما رأيتُ أبا عبّادٍ مقبلاً إلاّ أضحكني قول دِعْبِلَ فيه⁵ : [من الكامل]

أولى الأمور بضيعةٍ وفسادٍ أمرٌ يدبّره أبو عبّادٍ
وكأنّه من دِيرٍ هزّقل مُفلتٍ حرّدٌ يجرُّ سلاسلَ الأقيادِ⁶

1 ديوان دِعْبِلَ : 97 .

2 حنينية : من أغاني حنين .

3 المعبديات : أغاني معبد .

4 البربط : العود .

5 ديوان دِعْبِلَ : 71 .

6 دير هزّقل : دير بقرية شرقي واسط . وحرّد : غضبان .

[أبيات لأبيه]

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثني أبي قال : أخبرني دَعْبِل بن علي قال : قال لي أبي علي بن رزين : ما قلت شيئاً من الشعر قطّ إلاّ هذه الأبيات :

خليليّ ماذا أرتجي من غد امرىء طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
وإنّ امرءاً قد ضنّ منه بمنطقٍ يُسدّ به فقرُ امرىء لضعين
وبيتين آخرين وهما :

[من البسيط]

أقولُ لما رأيتُ الموتَ يطلبني يا ليتني درهمٌ في كيسٍ مباحٍ
فيا له درهماً طالَت صيانتُهُ لا هالك ضيعةً يوماً ولا ضاحٍ

[اشتقاق دَعْبِل ومعناه]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الكاتب قال : حدّثني أبو هفان قال : قال لي دَعْبِل قال لي أبو زيد الأنصاري : ممّ اشتق دَعْبِل ؟ قلت : لا أدري ، قال : الدّعبل ، الناقة التي معها ولدّها .
أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدّثني العنزي قال : حدّثني محمد بن أيوب قال : دَعْبِل اسمه محمد ، وكنيته أبو جعفر ، ودَعْبِل : لقب لُقّب به .

وحدّثني بعض شيوخنا عن أبي عمرو الشيباني قال : الدّعبل ، البعير المُسنّ .

[من ختم الشعر ؟]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : سمعتُ حُدَيْفَةَ بنَ محمد الطائي يقول : الدّعبل : الشيء القديم . قال ابن مهرويه : سمعتُ أبي يقول : ختم الشعر بدَعْبِل ، قال : وقال أبي : كان أبو محمّل يقول : ختم الشعر بعمارة بن عقيل .

[نقيضة تحدث رد فعل]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : سمعتُ أبي يقول : لم يزل دَعْبِل عند الناس جليل القدر حتى ردّ على الكميت بن زيد :

ألا حِيَّيت عَنَّا يا مرينا

فكان ذلك ممّا وضعه . قال : وقال فيه أبو سعد المخزومي :

[من الوافر]

وأعجبُ ما سمعنا أو رأينا هجاءُ قاله حيّ لميتٍ
وهذا دَعْبِل كَلِفٌ مُعَنَى بتسطير الأهاجي في الكُميتِ
وما يهجو الكُميت وقد طواه الر دى إلاّ ابن زانية بزيتِ

[ظن لقبه شتماً]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ زيدٍ قال : حدَّثني دِعْبِلُ قال : كنتُ جالساً مع بعض أصحابنا ذاتَ يومٍ ، فلما قمتُ سألتُ رجلاً لمَ يَعْرِفُنِي أصحابنا عني ، فقالوا : هذا دِعْبِلُ ، فقال : قولوا في جليسيكم خيراً ، كأنه ظنَّ اللقبَ شتماً .

[إفاقة مصروع باسمه]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيدٍ قال : حدَّثني دِعْبِلُ قال : صُرِعَ مجنونٌ مرّةً فصِحتَ في أذنه : دِعْبِلُ ، ثلاثَ مرّاتٍ ، فأفاق .
وأخبرني بهذين الخبرين الحسنُ بنُ عليٍّ عن ابنِ مَهْرُويته عن محمد بن يزيد عن دِعْبِلِ ، وزاد فيه : قال دِعْبِلُ : وصُرِعَ مرّةً مجنونٌ بحضرتي فصِحتَ به : دِعْبِلُ ، ثلاثَ مرّاتٍ فأفاق من جنونه .

[صحبته الشطار]

أخبرني محمدُ بنُ عمرانَ الصِّيرفيُّ أبو أحمدُ قال : حدَّثنا الحسنُ بنُ عُليلَ العنزِيّ قال : حدَّثني عليُّ بنُ عمرو بنِ شيبانٍ قال : حدَّثني أبو خالدَ الخُزاعيُّ الأَسلميُّ ، قال العنزِيّ : وقد كتبتُ عن أبي خالدٍ أشياء كثيرةً ولم أكتب عنه هذا الخبر ، قال : كان سببُ خروجِ دِعْبِلِ بنِ عليٍّ من الكوفة أنَّهُ كان يَتَشَطَّرُ ويصحب الشُّطار ، فخرج هو ورجلٌ من أشجعَ فيما بين العِشاءِ والعتمة ، فجلسا على طريقِ رجلٍ من الصيارفة ، وكان يروح كلُّ ليلةٍ بكيسه إلى منزله ؛ فلما طلع مقبلاً إليهما وتبا إليه فجرحاه ، وأخذ ما في كُمِّه ، فإذا هي ثلاثُ رُمّاناتٍ في خِرقة ، ولم يكن كيسه ليلتذّب معه . ومات الرجلُ مكانه واستتر دِعْبِلُ وصاحبه ، وجدَّ أولياءُ الرجلِ في طلبهما ، وجدَّ السلطانُ في ذلك ، فطال على دِعْبِلِ الاستتار ، فاضطرَّ إلى أنْ هرب من الكوفة . قال أبو خالدٍ : فما دخلها حتى كتبتُ إليه أعلمه¹ أنه لم يبقَ من أولياءِ الرجلِ أحد .

[يهجو الناس ليخافوه]

أخبرني محمدُ بنُ عمرانَ قال : حدَّثني أبو خالدَ الخُزاعيُّ الأَسلميُّ قال : قلتُ لدِعْبِلِ : ويحك ! قد هجوتَ الخلفاءَ والوزراءَ والقوَّادِ ووترتَ النَّاسَ جميعاً ، فأنتَ دهرُكَ كلُّه شريدٌ طريدٌ هاربٌ خائفٌ ، فلو كففتَ عن هذا وصرفتَ هذا الشرَّ عن نفسك ! فقال : ويحك ؟ إنِّي تأملتُ ما تقول ، فوجدتُ أكثرَ النَّاسِ لا يُتَنَفَعُ بهم إلا على الرهبة ، ولا يُبالى بالشاعر وإن كان مُجيداً إذا لم يُخَفَ شرُّه ، ولمنْ يتَّقيك على عرضه أكثرُ ممَّن يرغب إليك في تشريفه ، وعيوبُ النَّاسِ أكثرُ من محاسنهم ، وليس كلُّ مَنْ شَرَّفَتْه بشعرٍ شرفٌ ، ولا كلُّ مَنْ وصفته

بالجودِ والمجدِ والشجاعةِ ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فإذا رآك قد أوجعتَ عرضَ غيره وفضحتَه ، اتقاك على نفسه وخاف من مثل ما جرى على الآخر ؛ ويحك ، يا أبا خالد إنَّ الهجاءَ المقذعَ أخذُ بَضْعِ الشاعرِ من المديحِ المضرِّعِ . فضحكتُ من قوله ، وقلت : هذا والله مقالٌ من لا يموت حَتَفَ أَنفِهِ .

أخبرني الحسنُ بن عليٍّ قال : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُويَه قال : حدَّثني الحمدويُّ الشاعرُ قال¹ : سمعتُ دعبلَ بنَ عليٍّ يقولُ : أنا ابنُ قولي : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكي
وسمعتُ أبا تمامٍ يقولُ : أنا ابنُ قولي :

[من الكامل]

نقلُ فؤادك حيثُ شئتَ من الهوى ما الحُبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ
قال الحمدويُّ : وأنا ابنُ قولي في الطيِّلسانِ :

[من الخفيف]

طالَ تردَّادهُ إلى الرَّفوِّ حتى لو بعثناه وحدَهُ لتهدَى
قال الحمدويُّ : معنى قولنا : أنا ابنُ قولي ، أي أنِّي به عُرِفْتُ .

[يسرقُ بيناً ويتفوقُ فيه على صاحبه]

أخبرني عليُّ بنُ صالحٍ قال : حدَّثني أبو هفَّانٍ قال : قال مسلمُ بنُ الوليد² : [من السريع]

مستعبرٌ يبكي على دِمْنَةٍ ورأسه يضحكُ فيه المشيبُ
فسرَّقه دعبلُ ، فقال :

[من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكي
فجاءَ به أجودُ من قولِ مسلمٍ ، فصارَ أحقُّ به منه .

قال أبو هفَّانٍ : فأنشدتُ يوماً بعضَ البصريينَ الحمقى قولَ دعبلِ .

ضحكُ المشيبِ برأسِهِ فبكي

فجاءَني بعدُ أيامٌ ، فقال : قد قلتُ أحسنَ من البيتِ الذي قاله دعبلُ ، فقلتُ له : وأيُّ

شيءٍ قلتُ ؟ فتمنَّع ساعةً ، ثم قال : قلتُ :

قهقهَه في رأسِك القَتيرِ³

أخبرني بهذه الحكايةِ الحسنُ بنُ عليٍّ عن ابنِ مَهْرُويَه عن أبي هفَّانٍ ، قال : ذكرَ نحوه ،

1 انظر هذا الخبر برواية مغايرة في ترجمة محمد بن وهيب في الجزء 19 : 57 .

2 ديوان مسلم : 306 .

3 القتير : الشيب .

وزاد فيه ابن مَهْرُويَه وحَدَّثني الحَمْدُويّ قال : سَمِعَ رَجُلٌ قَوْلَ المَأْمُونِ : [من المجتث]

قَبَلْتَهُ مِنْ بَعِيدٍ فَاعْتَلَّ مِنْ شَفْتِيهِ

فقال : [من الخفيف]

رَقَّ حَتَّى تَوَرَّمَتْ شَفْتَاهُ إِذْ تَوَهَّمْتُ أَنْ أُقْبَلَ فَاهُ

[جارية تغني بشعر قاله قبل سبعين سنة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حَدَّثني ابن مَهْرُويَه قال : حَدَّثني أبو ناجية ، وزعم أنه من

وَلَدِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلَيْمٍ ، قال : كُنْتُ مَعَ دِعْبِلِ بْنِ شَهْرَزُورٍ ، فدعاه رجل إلى منزله وعنده

قَيْنَةٌ محسنة فغنت الجارية بشعر دِعْبِلِ : [من الكامل]

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلْكَ ؟ لا ، أَيْنَ يُطَلَبُ ؟ ضَلَّ ، بل هَلْكَ

قال : فارتاح دِعْبِلُ لهذا الشعر وقال : قد قلت هذا الشعر منذ سبعين سنة .

نسبة هذا الصوت

صوت²

[من الكامل]

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلْكَ لا ، أَيْنَ يُطَلَبُ ضَلَّ ، بل هَلْكَ

لا تَعَجَّبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فبَكَى

يا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ نَوَّمَكُمَا يا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِيكََا

لا تَأْخُذُوا بِظُلَامَتِي أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا

قال : والغناء لأحمد بن المكيّ ، ثقيل أول بالوسطى مطلق .

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حَدَّثنا ابن مَهْرُويَه قال : حَدَّثني أبو المثنى أحمد بن يعقوب بن

أختِ أَبِي بَكْرِ الأَصَمِّ قال : كُنَّا فِي مَجْلِسِ الأَصْمَعِيِّ ، فأنشده رجل لدِعْبِلِ قوله : [من الكامل]

لا تَعَجَّبِي يَا سَلَمَ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ المَشِيبُ بِرَأْسِهِ فبَكَى

فاستحسنه ، فقال الأَصْمَعِيُّ : إِنَّمَا سَرَقَهُ مِنْ قَوْلِ الحُسَيْنِ بْنِ مُطِيرِ الأَسَدِيِّ³ : [من الخفيف]

أَيْنَ أَهْلُ القِيَابِ بالدَّهْنَاءِ ؟ أَيْنَ جِيرَانُنَا عَلَى الأَحْسَاءِ

1 شهرزور : كورة في بلاد فارس أحدثها زور بن الضحاك . ومعنى شهر بالفارسية : مدينة .

2 ديوان دِعْبِلِ : 337-338 .

3 شعر الحسين بن مطير (غياض) : 31 .

فارقونا والأرض مُلبَّسة نَوُ
رَ الأفاحي تُجَادُ بالأنواء
كلَّ يومٍ بأقحوانٍ جديدٍ
تَضْحَكُ الأرضُ من بُكاءِ السماءِ

[يهجر جماعة أكلوا ديكاً له وقع لهم]

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال : حدثني الحسن بن عُليل العنزي قال : حدثني أحمد بن خالد قال : كنا يوماً بدار صالح رجل من عبد القيس ببغداد ، ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على كنيئة¹ في سطحه ديك طار من دار دعبل ، فلما رأيناه قلنا هذا صيدنا ، فأخذناه . فقال صالح : ما نصنع به ؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه ، وشويناها . وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا ، فجددناه ، وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلَّى الغداة ، ثم جلس على المسجد ، وكان ذلك المسجد مجمع الناس ، يجتمع فيه جماعة من العلماء ، ويتباهم الناس ، فجلس دعبل على المسجد وقال² : [من الكامل]

أَسْرَ المؤذّنَ صالحٌ وضيوفُهُ أَسْرَ الكميِّ هفاً خلالَ الماقِطِ³
بَعَثُوا عليه بَنِيهِمْ وبناتِهِمْ من بين ناتفيةٍ وآخرَ سامِطِ
يتنازعون كأنّهم قد أوتقوا خاقانٌ أو هزموا كتابَ ناعِطِ⁴
نهشوه فانتزعت له أسنانهم وتهشمت أفاؤهم بالحائِطِ

قال : فكتبها الناس عنه ومضوا . فقال لي أبي وقد رجع إلى البيت : ويحكم ، ضاقت عليكم المآكل ، فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل ؟ ثم أنشدنا الشعر ، وقال لي : لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته ، وبعثت به إلى دعبل ، وإلا وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك . قال وناعطُ قبيلة من همدان ومُجالد بن سعيد ناعطي قال : وأصله جَبَل نزلوا به ، فنسيبوا إليه .

[ينظم الهجاء قبل أن يعرف من ينطبق عليه]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني ابن مَهْرُويه قال : حدثني أحمد بن أبي كامل قال : كان دعبل يُشدني كثيراً هجاء قاله : فأقول له : فيمن هذا ؟ فيقول ما استحقّه أحدٌ بعينه بعد ، وليس له صاحب ، فإذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه ، وذكر اسمه في الشعر . وقد أخبرني الحسن بن علي عن ابن مَهْرُويه عن أحمد بن أبي كامل بهذا الخبر بعينه ، وزاد

1 كنيئة : تصغير كنة ، وهي المظلة ، وفي طبعة بيروت : كنية .

2 ديوان دعبل : 99 .

3 الماقط : المضيق في الحرب .

4 الخاقان : ملك الترك . وناعط : قبيلة من همدان .

فيه ، فيما ذكر ابن أبي كامل ، أنه كان عند صالح هذا في يوم أُخِذَهُ دِعْبِلُ دِعْبِل ، قال : وهو صالح بن بِشْرِ بن صالح بن الجارودِ العَبْدِيِّ .
[أبو نضير الطوسي لم يرضه فهجاه]

أخبرني محمد بن عمران قال حَدَّثَنِي العَنْزِيُّ قال حَدَّثَنِي أحمد بن محمد بن أبي أيوب قال : مدح دِعْبِلُ أبا نَضِيرِ بن حُمَيْدِ الطُّوسِيِّ ، فقَصَّرَ في أمره ، ولم يُرضه من نفسه ، فقال عند ذلك دِعْبِلُ فيه يهجوهُ¹ :

أبا نَضِيرِ تَحْلُحِلُ عَن مَجَالِسِنَا فَإِنَّ فِيكَ لِمَنْ جَارَاكَ مَتَقَصًّا
أنت الحِمَارُ حَرُونَا إِنْ وَقَعْتَ بِهِ وَإِنْ قَصَدْتَ إِلَى مَعْرُوفِهِ قَمَصَا
إِنِّي هَزَزْتُكَ لَا آلُوكَ مَجْتَهِدًا لَوْ كُنْتَ سَيْفًا وَلَكِنِّي هَزَزْتُ عَصَا

[أبو تمام يهجوهُ ويتوعده]

قال : فشكاه أبو نَضِيرِ إلى أبي تمام الطائِيّ ، واستعان به عليه ، فقال أبو تمام يجيب دِعْبِلًا عن قوله ، ويهجوهُ ويتوعده² :

أدِعِبِلُ إِنْ تَطَاوَلْتَ اللَّيَالِي عَلَيْكَ فَإِنْ شِعْرِي سَمَّ سَاعَهُ
وَمَا وَفَدَ الْمَشِيبُ عَلَيْكَ إِلَّا بِأَخْلَاقِ الدَّنَاءَةِ وَالضَّرَاعَةِ
وَوَجْهُكَ إِنْ رَضِيتَ بِهِ نَدِيمًا فَأَنْتَ نَسِيجُ وَحْدِكَ فِي الرَّقَاعَةِ
وَلَوْ بُدِّلَتْهُ وَجْهًا بَوَجْهِ لَمَا صَلَّيْتَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ
وَلَكِنْ قَدْ رَزَقْتَ بِهِ سِلَاحًا لَوْ اسْتَعَصَيْتَ مَا أُعْطِيتَ طَاعَةً³
مَنَاسِبَ طِيءٍ قُسِمَتْ فِدْعَاهَا فَلَيْسَتْ مِثْلَ نِسْبَتِكَ الْمَشَاعَةِ
وَرُوحَ مَنَكِبِيكَ فَقَدْ أُعِيدَا حُطَامًا مِنْ زِحَامِكَ فِي خُرَاعَةٍ

قال العَنْزِيُّ : يقول إنك تراحم خُرَاعَةَ ، تدعي أنك منهم ولا يقبلونك .

[يرد على هجاء الخاركي]

أخبرني محمد بن عمران قال حَدَّثَنِي العَنْزِيُّ قال : حَدَّثَنِي محمد بن أحمد بن أيوب قال : تعرَّضَ الخَارَكِيُّ⁴ البَصْرِيُّ ، وهو رجل من الأزد ، لدِعْبِلِ بن عليٍّ فهجاه ، وسبّه ، فقال فيه

1 ديوان دعبيل : 95 .

2 ديوان أبي تمام (عزام) 4 : 387 . وفيه «أعتبة . . .» .

3 أعطيت في ل : أديت .

4 نسبة إلى جزيرة حارك بالخليج العربي .

دِعبِلُ¹ :

[من السريع]

وشاعِرٍ عَرَضَ لِي نَفْسَهُ
يَشْتُمُ عَرَضِي عِنْدَ ذَكَرِي وَمَا
فَقَلْتُ لَا بَلَّ حَبْدًا أُمَّهُ
أَكْذِبُ وَاللَّهِ عَلَى أُمَّهِ
لِخَارِكِ آبَاؤُهُ تَنْمِي
أَمْسَى وَلَا أَصْبَحَ مِنْ هَمِّي
خَيْرَةَ طَاهِرَةَ عِلْمِي
كَكَيْدِهِ كَانَ عَلَى أُمِّي

[أجسر الناس]

أخبرني الحسن بن علي² قال حدثنا ابن مَهْرُوبٍ قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال : لقيتُ دِعبِلَ بنَ عليٍّ ، فقلتُ له : أنت أجسر النَّاسِ عندي وأقدمهم حيث تقول² : [من الكامل]
إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُفْهِمُ
رَفَعُوا مَحَلَّكَ بَعْدَ طَوْلِ حُمُولِهِ
قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَّفْتُكَ بِمَقْعَدِ³
فقال : يا أبا إسحاق ، أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من يصلبني عليها .

[رثاؤه ابن عمه]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال : قال دِعبِلُ بنُ عليٍّ يرثي ابنَ عمِّ له من خِزَاعَةِ نَعِي إِلَيْهِ ، قال محمد بن يزيد : ولقد أحسن فيها ما شاء⁴ : [من البسيط]

كَانَتْ خِزَاعَةٌ مِلَّاءَ الْأَرْضِ مَا اتَّسَعَتْ
هَذَا أَبُو الْقَاسِمِ الثَّوَالِي بِبَلْقَعَةٍ
هَبَّتْ وَقَدْ عَلِمَتْ أَنَّ لَا هُبُوبَ بِهِ
أَضْحَى قِرَى لِّلْمَنَايَا إِذْ نَزَلْنَ بِهِ
فَقَصَّ مَرُّ اللَّيَالِي مِنْ حَوَاشِيهَا
تَسْفِي الرِّيحُ عَلَيْهِ مِنْ سَوَافِيهَا
وَقَدْ تَكُونُ حَسِيرًا إِذْ يَبَارِيهَا⁵
وَكَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ يَقْرِيهَا

حدثني الحسن بن مَهْرُوبٍ عن أبيه ، فذكر أن المنعِي إلى دِعبِلِ أَبُو الْقَاسِمِ الْمُطَّلَبُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مَالِكٍ ، وَأَنَّهُ نَعِيَ إِلَى دِعبِلِ ، وَكَانَ هُوَ بِالْجَبَلِ ، فَرثَاهُ بِهَذِهِ الْأَبْيَاتِ .

[يعبر أمير الأهواز بالهرب]

أخبرني الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد ، قال : بلغ إسماعيل بن جعفر بن سليمان أن دِعبِلًا هجاه ، فتوغده بالمكروه وشتمه ، وكان إسماعيل بن جعفر على الأهواز ، فهرب من

1 الأبيات في ديوان دعبل : 194 ، برواية أخرى مختلفة في هجاء أبي تمام .

2 ديوان دعبل : 70 .

3 إشارة إلى طاهر بن الحسين الذي قتل الأمين ، وكان ولاؤه إلى خِزَاعَةِ .

4 ديوان دعبل : 165 .

5 حسيراً : كليلًا .

زيد بن موسى بن جعفر بن محمد لما ظهر وبيض في أيام أبي السرايا ، فقال دعبل بن علي يعيرُ إسماعيلَ بذلك¹ :
[من الطويل]

لقد خَلَفَ الأهوازَ من خلف ظَهْرِهِ يريدُ وراءَ الزابِ من أرضِ كَسَكِرٍ²
يهوُلُ إسماعيلُ بالبِيضِ والقنا وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفرِ
وعاينته في يومِ خَلَى حريمه فيا قبحها منه ويا حسنَ منظرِ

[حكاية تشطره وهربه مرة أخرى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مَهْرُوبٍ قال حدثني ابنُ الأعرابي عن أبي خالدِ الأَسلمي قال : كان دِعْبِلُ بنُ علي الخُزاعي بالكوفة يتشطر وهو شاب ، وكانت له شَعْرَةٌ جَعْدَةٌ ، وكان يَدُهْنها ويُرجلها حتى تكاد تَقْطُر دهنًا ، وكان يُصَلت³ على النَّاسِ بالليل ، فقتل رجلاً صَيرفيًا ، وظنَّ أنَّ كيسه معه ، فوجد في كُمِّه رَمَانًا ، فهرب من الكوفة ، وكنتُ إذا رأيتُ دِعْبِلًا يمشي رأيت الشطارة في مشيته وتبخره .

[تطيره من فيح الوجه]

أخبرني الحسن قال : حدثنا ابن مَهْرُوبٍ قال : حدثني الحسن بنُ أبي السري قال : كان عُميرُ الكاتب أقبح النَّاسِ وجهًا ، فلقني دِعْبِلًا يومًا بكرةً وقد خرج لحاجة له ، فلما رآه دِعْبِلُ تطير من لقاؤه ، فقال فيه⁴ :

خَرَجْتُ مبكرًا من سرِّ مَنْ را أبادرُ حاجةً فإذا عُميرُ
فَلَمْ أثنِ العِنانِ وقلتُ أمضي فوجهك يا عميرُ خراً وخيرُ

[لم يرض البرذون فهجا وتوعد]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مَهْرُوبٍ قال : حدثني الحسن بنُ أبي السري قال حدثني دعبلُ قال : مدحتُ عبد الرحمن ابنَ خاقان ، وطلبتُ منه برذونًا ، فبعث إلي برذونٍ غامز ، فكتبتُ إليه⁵ :

حملتُ على قارحِ غامزٍ فلا للركوبِ ولا للثمنِ⁶

1 ديوانه : 84-85 عن الأغاني .

2 كسكر : كورة من كور العراق قصبها واسط .

3 يصلت : يرفع السيف .

4 ديوان دعبل : 83 عن الأغاني .

5 ديوانه : 138 .

6 القارح : الذي شق نابه من ذوات الحافر . والغامز : الذي يطلع في مشيه .

حَمَلَتْ عَلَى زَمَنِ ظَالِعٍ فَسُوفُ تُكَافَا بِشُكْرِ زَمْنٍ

فَبِعَثَ إِلَى بَرْدُونَ غَيْرِهِ فَارِهِ بِسَرْجِهِ وَلِجَامِهِ ، وَالْفَيِّ دَرَاهِمِ .

قال ابن مَهْرُوَيْهٍ وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْعُكْبَرِيِّ عَنْ دِعْبَلِ بْنِ أَنَّةَ مَدَحَ يَحْيَى بْنَ خَاقَانَ ، فَبِعَثَ إِلَيْهِ بِهَذَا الْبَرْدُونَ .

[يهجو خريجه لأنه عابه]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوَيْهٍ قَالَ : قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ دِعْبَلٍ : كَانَ أَبِي يَخْتَلِفُ إِلَى الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ ، وَهُوَ خَرَجَهُ وَفَهَّمَهُ وَأَدَّبَهُ ، فَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ جَفَاءٌ ، وَبَلَغَهُ أَنَّهُ يَعِيبُهُ وَيَذْكُرُهُ ، وَيُنَالُ مِنْهُ ، فَقَالَ يَهْجُوهُ¹ : [من البسيط]

يا بؤسَ للفضلِ لو لم يأتِ ما عابه	يستفرغُ السُّمَّ من صماءٍ قرضابَه ²
ما إن يزال وفيه العيبُ يجمعه	جهلاً لأعراضِ أهلِ المجدِ عيَابَه
إن عابني لم يعبُ إلا مؤدبَه	ونفسَه عابَ لما عابَ أدَابَه
فكان كالكلبِ ضَرَّاهُ مكلبُه	لِصِيدِهِ فَعَدَا فاصطادَ كَلَابَه

[يهجو أحمد بن أبي دواد]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوَيْهٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ الْعِجْلِيُّ قَالَ : كَانَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ يَطْعَنُ عَلَى دِعْبَلِ بْنِ بَحْضَرَةَ الْمَأْمُونِ وَالْمَعْتَصِمِ ، وَيَسِبُهُ تَقَرُّباً إِلَيْهِمَا لِهَجَاءِ دِعْبَلِ إِيَّاهُمَا ، وَتَزَوَّجَ ابْنُ أَبِي دُوَادٍ امْرَأَتَيْنِ مِنْ بَنِي عِجَلٍ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ دِعْبَلًا قَالَ يَهْجُوهُ :

غَصِبْتَ عِجْلًا عَلَى فَرَجَيْنِ فِي سَنَةٍ	أَفْسَدْتَهُمْ ثُمَّ مَا أَصْلَحْتَ مِنْ نَسَبِكُ
وَلَوْ حَطَبْتَ إِلَى طُوقٍ وَأَسْرَبْتَ	فَزَوَّجُوكَ لَمَّا زَادُوكَ فِي حَسَبِكُ
نِكَ مَنْ هَوَيْتَ وَنَلَّ مَا شِئْتَ مِنْ نَشَبِ	أَنْتَ ابْنُ زُرْيَابٍ مَنْسُوبًا إِلَى نَشَبِكُ
إِنْ كَانَ قَوْمٌ أَرَادَ اللَّهُ خِزْيَهُمْ	فَزَوَّجُوكَ ارْتِغَابًا مِنْكَ فِي ذَهَبِكُ
فَذَلِكَ يُوجِبُ أَنْ النَّبْعَ تَجْمَعَهُ	إِلَى خِلَافِكَ فِي الْعِيدَانِ أَوْ غَرَبِكُ ³

1 ديوانه : 15 .

2 صماء قرضابه : داهية تأكل كل شيء .

3 النبع : شجر تتخذ منه القسي . والخلاف : شجر يشبه الصفصاف . والغرب : نوع من النبت الضعيف .

ولو سكتَ ولم تخطبُ إلى عربٍ لما نبشتَ الذي تطويبه من سبيكُ
 عُدَّ البيوتَ التي ترضى بخطبتها تجد فزارة العكلي من عربكُ
 قال : فلقبه فزارة العكلي ، فقال له : يا أبا علي ، ما حملك على ذكري حتى فضحتني ،
 وأنا صديقك ؟ قال : يا أخي والله ما اعتمدتُك بمكروه ، ولكن كذا جاءني الشعر لبلاءِ صبه
 الله عزَّ وجلَّ عليك لم أعتمدك به .
 [عبث به جارية فهجاها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني هارونُ بنُ محمدٍ بن عبد الملك الزياتِ قال : حدَّثني
 أبو خالد الأسلمي الكوفي قال : اجتمعتُ مع دِعبل في منزل بعض أصحابنا ، وكانت عنده
 جارية مغنية صفراء مليحة حسنة الغناء ، فوقع لها العَبثُ بدِعبل والعنتُ والأذى له ، ونهيناها
 عنه ، فما انتهت ، فأقبل علينا فقال : اسمعوا ما قلت في هذه الفاجرة ، فقلنا : هات ، فقد
 نهيناها عنك ، فلم تنته ، فقال¹ :

تَخْضِبُ كَفًّا قُطِعَتْ مِنْ زَنْدِهَا فَتَخْضِبُ الْخِنَاءَ مِنْ مُسَوِّدِهَا
 كَانَتْهَا وَالْكَحْلُ فِي مَرُودِهَا تَكْحَلُ عَيْنِهَا بِبَعْضِ جِلْدِهَا
 أَشْبَهُ شَيْءٍ اسْتَهَا بِخَلِّهَا

قال : فجلست الجارية تبكي ، وصارت فضيحة ، واشتهرت بالأبيات ، فما انتفعت
 بنفسها بعد ذلك .

[جنى جنابة في الكوفة فضرب ثلاثمائة سوط]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدَّثني هارون قال : حدَّثني أبي وخالدُ قالا : كان
 دِعبلُ قد جنى جنابةً بالكوفة وهو غلام ، فأخذه العلاءُ بنُ منظور الأسدي ، وكان على
 شُرطة الكوفة من قِبَل موسى بن عيسى ، فحبسه ، فكلمه فيه عمُّه سليمان بن رزين ،
 فقال : أضربه أنا خيرٌ من أن يأخذه غريب فيقطع يده ، فلعله أن يتأدَّب بضربي إياه ، ثم
 ضربه ثلاثمائة سوط ، فخرج من الكوفة ، فلم يدخلها بعد ذلك إلا عزيزاً .

[الشرأة والصعاليك لا يؤذونه]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال : حدَّثني أحمد بن أبي
 كامل قال : كان دِعبل يخرج فيغيب سنين ، يدور الدنيا كلها ، ويرجع وقد أفاد وأثرى .
 وكانت الشرأة والصعاليك يلقونه فلا يؤذونه ، ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرونه . وكان إذا لقيهم

وضَع طعمَته وشرابه ، ودَعاهم إليه ، ودعا بغلاميه ثَقِيف وشعف ، وكانا مغنيين ، فأقعدهما يغنيان ، وسقاهم وشربَ معهم ، وأنشدَهم ، فكانوا قد عرفوه ، وألفوه لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . وأنشدني دعبل بنُ عليّ لنفسه في بُعد أسفاره¹ : [من الطويل]

حللتُ محلًا يقصُرُ البرقُ دونَه ويعجزُ عنه الطيفُ أن يتجشَّمَا

[البحريّ بعده أشعر من مسلم]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال حدّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنِ مَهْرُوَيْه قال : قال لي البحتريّ : دِعْبِلُ بنُ عليّ أشعر عندي من مُسلمِ بنِ الوليدِ ، فقلت له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّ كلام دعبلٍ أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصّب له .

[شيخ فان يدب على ضيفه]

أخبرني الحسنُ قال : حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثنا الفضلُ بنُ الحسنِ بنِ موسى البصريُّ قال : بات دِعْبِلُ ليلةً عند صديق له من أهل الشام ، وبات عندهم رجلٌ من أهل بيت لهياني يقال له حويّ بنُ عمرو السكسكيّ جميلُ الوجه ، فدبّ إليه صاحب البيت ، وكان شيخاً كبيراً فانياً قد أتى عليه حينٌ ، فقال فيه دِعْبِلُ² :

لولا حُويُّ لبيت لهياني ما قامَ أيرُ العزبِ الفاني

له دواةٌ في سراويله يلقها النازحُ والدّاني³

قال : وشاع هذان البيتان ، فهرب حويّ من ذلك البلد ، وكان الشيخ إذا رأى دِعْبِلًا سبه ، وقال : فضحتني أخزأك الله .

أخبرني الحسن بنُ عليّ قال : حدّثني ابن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني محمدُ بنُ الأشعث قال : سمعتُ دِعْبِلًا يقول : ما كانت لأحد قطّ عندي مِنّةٌ إلا تمنّيتُ موته .

[دعبل والتلج]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثنا محمدُ بنِ عُمَر الجُرْجانيُّ قال : دخل دِعْبِلُ بنُ عليّ الرّيّ في أيام الرّبيع ، فجاءهم تلج لم يروا مثله في الشتاء ، فجاء شاعر من شعرائهم فقال شعراً ، وكتبه في رقعة هو :

جاءنا دِعْبِلُ بتلج من الشعـر فجدات سماؤنا بالثلوج

1 ديوان دعبل : 139 .

2 ديوان دعبل : 158 .

3 يلقها : يصلح مدادها ويجعلها ليقة .

نزلَ الرِّيَّ بعدَ ما سكنَ البرَّ ذُ وقد أُبِنَعَتْ رياضُ المِروِجِ
فكسانا يبرده لا كساه اللـ هُ ثوباً من كُرُفٍ محلوج¹

قال : فألقى الرقعة في دهليز دِعْبِلِ ، فلمَّا قرأها ارتحل عن الرِّيِّ .

[فصر صالح الأضجم عن حاجته فهجاه]

أخبرني محمدُ بنُ عمران قال : حدَّثنا العَنَزِيُّ قال : حدَّثنا أبو خالد الأسلميُّ قال :
عرضتُ لدِعْبِلِ حاجةً إلى صالح بن عطية الأضجم ، فقصرَ عنها ، ولم يبلغ ما أحبه دِعْبِلِ
فيها ، فقال يهجوهُ² :

أحسنُ ما في صالحٍ وجهه فقيسُ على الغائبِ بالشاهدِ
تأمَّلتُ عيني له خِلقةً تدعو إلى تزنيةِ الوالدِ

فتحمل عليه صالحُ بي وبجماعة من إخوانه حتى كفَّ عنه ، وعرض عليه قضاء الحاجة ،

فأباها .

[يهجو بني مكلم الذئب]

أخبرني الحسن بنُ عليٍّ قال حدَّثني محمد بنُ القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبي قال :
فخرَ قوم من خزاعة علي دِعْبِلِ بن عليٍّ يقال لهم : بنو مُكَلِّمِ الذئبِ ، وكان جدُّهم جاء إلى
النبيِّ ، ﷺ ، فحدِّثه أنَّ الذئبَ أخذ من غنمه شاةً فتبعه ، فلمَّا غشيه بالسيف قال له : ما
لي ولك تمنعني رزقَ الله ؟ قال : فقلت : يا عَجَباً لِذئبٍ يتكلَّم ! فقال : أعجبُ منه أنَّ
محمدًا نبِيَّ قد بُعث بين أظهركم وأنتم لا تتبعونه ، فبنوه يفخرون بتكليمِ الذئبِ جدُّهم ،
فقال دِعْبِلِ بنُ عليٍّ يهجوهم³ :

تَهْتُمُ علينا بأنَّ الذئبَ كلَّمكم فقد لَعَمري أبوكم كلَّم الذئبا
فكيف لو كلَّم الليثَ المصورَ إذاً أفنيتم الناسَ مأكولاً ومشروباً
هذا السُّنَيْدِي لا أصلٌ ولا طُرْفُ يكلم الفيلَ تصعيداً وتصويبا

[هجاؤه ابن الزيات]

حدَّثني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثني ابن مهرويه قال حدَّثني أبي قال : كان دِعْبِلِ قد مدح
محمد بن عبد الملك الزيات ، فأنشده ما قاله فيه ، وفي يده طومار⁴ قد جعله على فيه كالمتكيء

1 كرسف : قطن .

2 ديوان دعبيل : 76 .

3 ديوانه : 168-169 .

4 طومار : صحيفة .

عليه وهو جالس ، فلمّا فرغ أمر له بشيء لم يرضه ، فقال : يهجوهُ¹ : [من البسيط]

يا مَنْ يُقَلِّبُ طُوماراً وَيَلْتَمِه
فيه مِشَابِهَ مِنْ شَيْءٍ تُسَرُّ بِهِ
لو كُنْتَ تَجْمَعُ أَمْوَالاً كَجَمْعِهَا
إِذَا جَمَعْتَ بِيوتاً مِنْ دنانيرِ

[يهجو حصين قصرا في برّه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابن مَهْرُويّه قال : حدّثني أبي قال : نزل دِعْبِلُ بِحِمصِ على قوم من أهلها ، فبرّوه ووصلوه سوى رجلين منهم يقال لأحدهما : أشعث وللآخر أبو الصنّاع ، فارتحل من وقته من حمص وقال فيهما يهجوهُما² : [من الوافر]

إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبُ بِأَرْضِ حِمصِ
سُمُو المَكْرَمَاتِ بِآلِ عيسى
رَأَيْتَ عَلَيْهِ عِزَّ الإِمْتِناعِ
هناكَ الخَزْرَ يَلْبَسُه المُعالِي
أَحْلَهُمُ على شَرَفِ التَّلَاعِ
وعيسى مِنْهُمُ سَقَطَ المَتاعِ
وَأَخَرَ في حِرِّ امِّ أَبِي الصنّاعِ
فَسَدَدِ لاسْتِ أَشْعَثَ أَيْرَ بَغْلِ
فليس بِصانِعِ مَجْداً وَلَكِنْ
رَأَيْتَ عَلَيْهِ عِزَّ الإِمْتِناعِ
هناكَ الخَزْرَ يَلْبَسُه المُعالِي
وَأَخَرَ في حِرِّ امِّ أَبِي الصنّاعِ
فَسَدَدِ لاسْتِ أَشْعَثَ أَيْرَ بَغْلِ
فليس بِصانِعِ مَجْداً وَلَكِنْ

[شعره في الفضل بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويّه عن الحسين بن دِعْبِلِ قال : قال أبي في الفضل بن مروان³ : [من الطويل]

نصحتُ فأخلصتُ النصيحةَ للفضل
ألا إنّ في الفضلِ بن سهلٍ لَعِبْرَةَ
وللفضلِ في الفضلِ بن يحيى مواعظُ
فأبقيَ جميلاً من حديثٍ تَفزُّ بِهِ
فإنك قد أصبحتَ للملِكِ قِيماً
ولم أَرِ أَيْباتاً مِنَ الشَّعْرِ قبلها
وليس لها عَيْبٌ إِذا هي أنشدتُ
فبعث إليه الفضلُ بنُ مروانِ بدنانيرٍ ، وقال له : قد قبلتُ نصحك ، فاكفني خيرك وشرك .

وقلتُ فسيرتُ المقالةَ في الفضلِ
إن اعتبر الفضلُ بنُ مروانِ بالفضلِ
إِذا فَكَّرَ الفضلُ بنُ مروانِ في الفضلِ
ولا تدعُ الإحسانَ والأخذَ بالفضلِ
وصرتُ مكانَ الفضلِ والفضلِ والفضلِ
جميعُ قوافيها على الفضلِ والفضلِ
سوى أن نصحي الفضلَ كان من الفضلِ

1 ديوانه : 86 .

2 ديوانه : 106 .

3 ديوانه : 129 .

[نقد شاعر]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ميمونُ بنُ هارونَ قال : حدَّثني أبو الطَّيِّبِ الحَرَّائِيُّ قال : أنشد رجل دِعْبِلَ بنَ عليٍّ شعراً له ، فجعل يعيبه وينبِّهه على خطئه فيه بيتاً بيتاً ، ويقول : أيُّ شيء صنعتَ بنفسك ؟ ولم تقول الشعر إذا لم تقدر إلا على مثل هذا منه ؟ إلى أن مرَّ له بيت جيد ، فقال دِعْبِلُ : أحسنتَ ، أحسنتَ ما شئت . فقال له يا أبا عليٍّ : أتقول لي هذا بعدما مضى ؟ فقال له : يا حبيبي لو أن رجلاً ضرطَ سبعين ضرطه ما كان بمنكر أن يكون فيها دَسْتَبِيويةٌ واحدة .

[المأمون لا يعجب من هجائه إياه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُويه قال حدَّثني محمدُ بنُ حاتمِ المؤدَّبُ قال : قيل للمأمون : إنَّ دِعْبِلَ بنَ عليٍّ قد هجأك ، فقال : وأيِّ عجب في ذلك ؟ هو يهجو أبا عبَّاد ولا يهجوني أنا ! ومن أقدم على جنون أبي عبَّاد أقدم على حلمي ، ثم قال للجلساء : مَنْ كان منكم يحفظ شعره في أبي عبَّاد فليُنشِدْنيهِ ، فأنشده بعضهم :

[من الكامل]

أولى الأمورِ بضيعةٍ وفسادٍ	أمرٌ يدبِّره أبو عبَّادٍ
حرقٌ على جلسائه فكأنهم	حضرُوا للمحمةِ ويومَ جلاذٍ
يسطو على كتابه بدواته	فمضَّخٌ بدمٍ ونضحٌ مدادٍ
وكأنه من دبر هزقلٍ مُغلبت	حردٌ يجرُّ سلاسلَ الأقيادِ
فاشدد أميرَ المؤمنين وثاقه	فأصحُّ منه بقيَّةُ الحدادِ

قال : وكان بقيَّةُ هذا مجنوناً في المارستان ، فضحك المأمون . وكان إذا نظر إلى أبي عبَّاد يضحك ، ويقول لمن يقرب منه : والله ما كذب دِعْبِلُ في قوله .
حدَّثني جَحْظَةُ عن ميمونِ بنِ هارونَ فذكر مثله أو قريباً منه .

[الجن تستنشه تائبه]

أخبرني أحمدُ بنُ عبِيدِ اللهِ بنِ عَمَّارِ ومحمدُ بنُ أحمدَ الحكيمِ قالوا : حدَّثنا أنسُ بنُ عبدِ اللهِ النُبْهائيُّ قال : حدَّثني عليُّ بنُ المنذرِ قال : حدَّثني عبدُ اللهِ بنُ سعيدِ الأشقرِيِّ قال : حدَّثني دِعْبِلُ بنُ عليٍّ قال : لما هربتُ من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي ، وعزمتُ على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة ، فإني لفي ذلك إذ سمعتُ والباب مردود عليّ : السلام عليكم ورحمة الله ، انج يرحمك الله ، فاقشعرَّ بدني من ذلك ، ونالني أمر عظيم . فقال لي : لا ترع عافاك الله ؛ فإني رجل من إخوانك من الجن من ساكني اليمن طراً إلينا طارياً

من أهل العراق فَأَنْشَدْنَا قَصِيدَتَكَ : [من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خَلَّتْ من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٍ مقفَرُ العرصاتِ¹

فَأُحْبِبْتُ أَنْ أَسْمَعَهَا مِنْكَ ، قال فَأَنْشَدْتُهُ إِيَّاهَا ، فَبَكَى حَتَّى خَرَّ ، ثُمَّ قَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ ! أَلَا أَحَدَثْتُكَ حَدِيثًا يُزِيدُ فِي نَيْتِكَ وَيُعِينُكَ عَلَى التَّمَسُّكِ بِمَذْهَبِكَ ؟ قُلْتُ : بَلَى . قَالَ : مَكَثْتُ حِينًا أَسْمَعُ بِذِكْرِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَصُرْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، ﷺ ، قَالَ : عَلِيُّ وَشِيعَتُهُ هُمُ الْفَائِزُونَ ، ثُمَّ وَدَّعَنِي لِيَنْصَرِفَ . فَقُلْتُ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَخْبِرَنِي بِاسْمِكَ فَافْعَلْ ، قَالَ : أَنَا ظَيِّبَانُ بْنُ عَامِرٍ .

[دعا أعرابياً وأسمعه هجاءه في كلاب]

أَخْبَرَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ الْقَاسِمِ الْكُوكَبِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّخَعِيُّ وَأَخْبَرَنِي بِهِ الْحَلِيمِيُّ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْرَائِيلَ عَنْ إِسْحَاقِ النَّخَعِيِّ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ دَعْبِلٍ بِالْبَصْرَةِ وَعَلَى رَأْسِهِ غَلَامَةٌ ثَقِيْفٌ ، فَمَرَّ بِهِ أَعْرَابِي يَرْفُلُ فِي ثِيَابِ خَزٍّ ؛ فَقَالَ لَغَلَامَةٍ : ادْعُ لِي هَذَا الْأَعْرَابِيَّ . فَأَوْمَأَ الْغَلَامُ إِلَيْهِ ، فَجَاءَ . فَقَالَ لَهُ دَعْبِلٌ : مِمَّنَ الرَّجُلُ ؟ قَالَ : مِنْ بَنِي كِلَابٍ . قَالَ : مِنْ أَيِّ وَكَلْدِ كِلَابٍ أَنْتَ ؟ قَالَ : مِنْ وَلَدِ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ دَعْبِلٌ : أَتَعْرِفُ الْقَائِلَ² : [من الطويل]

وُنِبِئْتُ كِلَابًا مِنْ كِلَابٍ يَسْتَنِي ومحض كلابٍ يقطعُ الصلواتِ³
فإن أنا لم أعلمُ كلاباً بأنّها كلابٌ وأتني بأسلِّ النَّقَمَاتِ
فكان إذاً من قيس عيلان والدي وكانت إذاً أمي من الحَبَطَاتِ⁴

قال : وهذا الشعر لِدَعْبِلٍ يَقُولُهُ فِي عَمْرٍو بْنِ عَاصِمِ الْكِلَابِيِّ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : مِمَّنَ أَنْتَ ؟ فَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ خِزَاعَةٍ فِيهِجُوهُمْ ، فَقَالَ : أَنَا أَنْتَمِي إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ يَقُولُ فِيهِمْ الشَّاعِرُ⁵ :

أناسٌ عليُّ الخَيْرِ مِنْهُمْ وَجَعْفَرُ وحمزةٌ والسَّجَّادُ ذُو الثَّنَاتِ⁶

1 انظر تائيته في مدح آل البيت في ديوانه : 35-44 .

2 ديوانه : 45 .

3 المحض : الخالص من كل شيء ، ويريد أن الكلابي الخالص النسب يقطع الصلاة بنجاسته .

4 الحبطات : أبناء الحارث بن مالك لقب بذلك لأنه أكل صمغاً كثيراً فحبط بطنه أي ورم .

5 البيتان من تائيته .

6 رواية الديوان للصدر : ديار علي والحسين وجعفر . وذو الثنات هو علي بن الحسين . لقب بالسجاد وذو

الثنات لأن مساجده كانت كنفنة البعير ، أي ركبته وما يمس الأرض من أعضائه .

إذا فخرُوا يوماً أتوا بمحمدٍ وجبريلَ والفرقانَ والسُّوراتِ
فوثب الأعرابيُّ وهو يقول : ما لي إلى محمد وجبريلَ والفرقانَ والسُّوراتِ مرتقى .

[هجاء بني بسام]

أخبرني الكوكبيُّ قال حدثني ابن عبدوسٍ قال : سألتُ دعبلاً نصرَ بنَ منصورٍ بنِ بسامٍ
حاجة ، فلم يقضها لشغلٍ عرضَ له دونها ، فقال يهجو بني بسام¹ : [من المنسرح]

حواجبُ كالحبالِ سودٌ إلى عتائين كالمخالي

وأوجهُ جهمة غلاظٌ عُطلٌ من الحسنِ والجمالِ

أخبرني الكوكبيُّ قال حدثني ميمونُ بنُ هارونَ قال : لما ولي أحمدُ بنُ أبي خالدٍ
الوزارة في أيام المأمون قال دعبلاً بنُ عليٍّ يهجو² : [من المتقارب]

وكان أبو خالد مرسرةً إذا بات متخماً عاقدا³

يضيقُ بأولادِهِ بطنه فيخراهمُ واحداً واحداً

فقد ملأ الأرضَ من سلحه خنافسَ لا تشبه الوالدا

[هرب من المعتصم وهجاه]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدثنا محمد بنُ القاسم بن مَهْرُويه قال حدثنا أبو ناجية
قال : كان المعتصمُ يُغضُّ دعبلاً لطول لسانه ، وبلغ دعبلاً أنه يريدُ اغتياله وقتله ، فهرب
إلى الجبل ، وقال يهجو⁴ : [من الطويل]

بكى لشتات الدِّينِ مكثبُ صبٍّ وفاضَ بفرطِ الدمعِ من عينه غرب⁵

وقام إمامٌ لم يكن ذا هدايةٍ فليس له دينٌ وليس له لبُّ

وما كانت الآباءُ تأتي بمثله يُملكُ يوماً أو تدينُ له العربُ

ولكن كما قال الذين تتابعوا من السلفِ الماضين إذ عظم الخطبُ

ملوك بني العباس في الكُتبِ سبعةٌ ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كُتبُ

1 ديوانه : 130 .

2 ديوانه : 58 .

3 عاقدا في الديوان : قاعدا . والعاقد : الناقة التي أقرت باللقاح فهي تعقد ذنبها . وفي رواية حاقدا : من حقد المطر إذا انحبس .

4 ديوانه : 18-19 .

5 غرب : دلو عظيمة .

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة
وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم
وفضل بن مروان يُثلم ثلثة

[معارضة ابن الزيات في رثاء المعتصم]

أخبرني عمي قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك
الزيات يرثيه³ :

قد قلت إذ غيَّوه وانصرفوا
لن يجبر الله أمةً فقدت

فقال دعبل يعارضه⁴ :

قد قلت إذ غيَّوه وانصرفوا
أذهب إلى النار والعذاب فما
ما زلت حتى عقدت بيعة من
أضرَّ بالمسلمين والدِّين

[يكرم رثاء محمد بن الزيات]

قال عمي حدثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدثني محمد بن عُمر الجرجاني قال : أنشد دعبل بن
علي يوماً قول بعض الشعراء :

قد قلت إذ غيَّوه وانصرفوا

وذكر البيتين والجواب ولم يُسمِّ قائل المرثية ولا نسبه إلى محمد بن عبد الملك الزيات ولا

غيره .

[ينكر نسبة شعر إليه فيه هجاء بني العباس]

أخبرني علي بن سليمان الأحفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال : سألت دعبلاً عن هذه
الآيات :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

1 وصيف وأشناس : من الأتراك الذين جعلهم المعتصم قواداً وحكاماً .

2 الشعب : إصلاح الصدع .

3 ديوان ابن الزيات (سعيد) : 76 ورواية البيت فيه :
أقول إذ غيَّوك وأصفتك عليك أيدي بالبن والطين

4 ديوانه : 158 .

فأنكر أن تكون له ، فقلتُ له : فَمَنْ قالها ؟ قال : من حشا الله قبره ناراً ، إبراهيمُ بن المهديّ ، أراد أن يُغريَ بي المعتصمَ فيقتلني لهجائي إياه .
[ابن المدبر يعجبه هجاؤه ابن أبي دواد]

أخبرني عمي والحسنُ بن عليّ جميعاً قالا : حدّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُوَيْه قال : حدّثني أبي قال : كنتُ عند أحمدَ بن المدبرِ ليلة من الليالي ، فأنشدته لدِعْبِلِ في أحمدَ بن أبي دُوادِ قوله¹ :

إنَّ هذا الذي دُوادُ أبوه وإياد قد أكثرَ الأنباء
ساحقتُ أمّه وواطأ أبوه ليتَ شعري عنه فَمِنْ أين جاء !
جاء من بين صخرتين صلوديّ من عقامين يُنبِتان الهباءَ
لا سيفاح ولا نكاح ولا ما يوجبُ الأمّهاتِ والآباءَ

قال : فاستعادها أربع مرّات ، فظننتُ أنه يريد أن يحفظها ، ثم قال لي : جئني بدِعْبِلِ حتى أوصله إلى المتوكّل ، فقلتُ له : دِعْبِلِ موسوم بهجاء الخلفاء والتشيع ، وإنما غايته أن يُخْمِلَ ذكره ، فأمسك عني ، ثم لقيتُ دِعْبِلًا فحدّثته بالحديث ، فقال : لو حضرتُ أنا أحمدَ بن المدبرِ لما قدرتُ أن أقولَ أكثرَ ممّا قلتُ .
[بيت في هجاء المتوكّل]

أخبرني الحسنُ قال حدّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُوَيْه قال حدّثني محمدُ بنُ جرير قال : أنشدني عُبيد الله بنُ يعقوبَ هذا البيتَ وحده لدِعْبِلِ يهجو به المتوكّل ، وما سمعتُ له غيره فيه² :

ولستُ بقائل قَدْعًا ولكن لأمرٍ ما يُعدُّ لك العبيد³
قال : يرميه في هذا البيت بالأبنة .

[هجاء المعتصم والواثق]

أخبرني الحسنُ قال : حدّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُوَيْه قال : كنتُ مع دِعْبِلِ بالصيمرة⁴ وقد جاء نعي المعتصم وقيامُ الواثق ، فقال لي دِعْبِلِ : أمعك شيء تكتب فيه ؟ فقلتُ : نعم ، وأخرجتُ قُرطاساً ، فأملى عليّ بديها⁵ :

[من البسيط]

1 ديوانه : 11 .

2 ديوانه : 62 .

3 الديوان : لأمر ما تعبّدك العبيد .

4 ل : بالبصرة . والصيمرة من ديار الجبل .

5 ديوانه : 59 .

الحمدُ لله لا صبرٌ ولا جلدٌ ولا عزاءٌ إذا أهلُ البلي رَقَدُوا
خليفةٌ مات لم يحزنْ له أحدٌ وآخرٌ قام لم يفرحْ به أحدٌ

[مرق قصيدة في الحسن بن وهب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ عميدَ الله بنِ ناصحٍ قال : قلتُ لِديعيلَ ، وقد عرضَ عليّ
قصيدةٌ له يمدحُ بها الحسنَ بنَ وهبٍ ، أولها :

أَعادِلْتي ليس الهوى من هوائيا

فقلتُ له : ويحك ، أتقول فيه هذا بعد قولك :

[من السريع]

أين مَحَلَّ الحَيِّ يا حادي خبِرْ سقاكَ الرائحُ الغادي

وبعد قولك¹ :

[من البسيط]

قالت سلامةٌ أين المألُ قلتُ لها المألُ ويحكِ لاقى الحمدَ فاصطحبا

وبعد قولك² :

[من الرمل]

فَعَلَى أيماننا يجري الندى وعلى أسيفنا تجري المَهجُ

واللهُ إنِّي أراك لو أنشدته إياها لأمر لك بصفع قفاك ، فقال : صدقتَ واللهِ ، ولقد نبهتني
وحَدَّرتني ، ثم مرَّقها .

[يهجو تلميذاً له يهجو أباه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني العَنزِيّ قال حدَّثني الحسينُ بنُ أبي السَّرِيِّ قال : غضِبَ دِعبيلُ
على أبي نصرٍ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ ، وكان دِعبيلُ مؤدبه قديماً ، لشيءٍ بلغه عنه ،
فقال يهجو أباه³ :

[من الكامل]

ما جعفرُ بنُ محمدِ بنِ الأشعثِ عندي بخيرِ أبوةٍ من عَثْثِ

عبثاً تُمارسُ بي مُمارسَ حَيَّةٍ سَوارةٍ إن هجَّتها لم تلبثْ

لم يعلِّمُ المغرورُ ماذا حازَ من خزي لوالده إذا لم يعبثْ

قال : فلقية عثث ، فقال له : عليك لعنةُ الله ، أي شيءٍ كان بيني وبينك حتى ضربتَ
بي المثل في خِسةِ الآباءِ ، فضحك ، وقال : لا شيءٌ واللهِ ، اتفاق اسمك واسم ابنِ الأشعثِ في
القافية . أولاً ترضى أن أجعلَ أباك ، وهو أسود ، خيراً من آباءِ الأشعثِ بنِ قيسٍ ؟

1 ديوان دعبيل : 13 .

2 ديوانه : 51 .

3 ديوانه : 51 .

[العيش الذي يريده]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثني إبراهيم بن سهل القاري ، وكان يلقب أرزة قال : حدّثني دعبل بن علي الخزاعي قال : كتبت إلى أبي نهشل بن حميد الطوسي قوله¹ :

[من الخفيف]

إنما العيشُ في مُنادمةِ الإخـ وان لا في الجلوسِ عند الكعابِ
وبصرفِ كأنها ألسنُ البرِ ق إذا استعرضت رقيق السحابِ
إن تكونوا تركتم لذة العيـ ش حذار العقابِ يوم العقابِ
فدعوني وما ألدّ وأهوى وادفعوا بي في صدر يوم الحسابِ

[يشبه علي بن موسى الرضا على تائيه.]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا ابن مهرويه قال : حدّثني موسى بن عيسى المروري ، وكان منزله بالكوفة في رحة طيء ، قال : سمعت دعبل بن علي وأنا صبيّ يتحدث في مسجد المرورية قال : دخلت على علي بن موسى الرضا ، عليهما السلام ، فقال لي : أنشدني شيئاً مما أحدثت ، فأنشدته :

[من الطويل]

مدارسُ آياتٍ خلّت من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٌّ مقفّر العرصاتِ

حتى انتهيت إلى قولي :

[من الطويل]

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفّاً عن الأوتارِ منقبضاتِ

قال : فبكى حتى أغمى عليه ، وأوماً إليّ خادم كان على رأسه : أن اسكت ، فسكت ساعة ؛ ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً ، فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى ، وأوماً الخادم إليّ : أن اسكت ، فسكت ؛ فمكث ساعة أخرى ثم قال لي : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها ، فقال لي : أحسنت ، ثلاث مرّات ؛ ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه ، ولم تكن دفعت² إلى أحد بعد ، ثم أمر لي من في منزله بخلي كثير أخرجته إليّ الخادم . فقدمت العراق ، فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم ، اشتراها مني الشيعة ، فحصل لي مائة ألف درهم ، فكان أول مال اعتقدته³ .

1 ديوانه : 34 .

2 ل : وقعت .

3 اعتقدته : جمعته .

[ثوب الرضا لكفنه]

قال ابن مَهْرُوتِه وَحَدَّثَنِي حُدَيْفَةُ بْنُ مُحَمَّدٍ¹ : أَنَّ دَعْبِلًا قَالَ لَهُ : إِنَّهُ اسْتَوْهَبَ مِنَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَوْبًا قَدْ لَبَسَهُ لِيَجْعَلَهُ فِي أَكْفَانِهِ فَخَلَعَ جَبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا وَبَلَغَ أَهْلَ قَمِّ خَبْرَهَا فَسَأَلُوهُ أَنْ يَبِيعَهُمْ إِيَّاهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ؛ فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ ، فَأَخَذُوهَا مِنْهُ غَضَبًا ، وَقَالُوا لَهُ : إِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْخُذَ الْمَالَ فَافْعَلْ ، وَإِلَّا فَأَنْتَ أَعْلَمٌ . فَقَالَ لَهُمْ : إِنِّي وَاللَّهِ لَأُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا طَوْعًا ، وَلَا تَنْفَعُكُمْ غَضَبًا ، وَأَشْكُوكُمْ إِلَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَصَالَحُوهُ عَلَى أَنْ أَعْطُوهُ الثَّلَاثِينَ أَلْفَ الدِّرْهَمِ وَفَرَدَ كُمْ مِنْ بَطَانَتِهَا فَرَضِي بِذَلِكَ .

[هجاء إبراهيم بن المهدي]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُزَيْدٍ قَالَ حَدَّثَنَا حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : بَوَّعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بَغْدَادَ ، وَقَدْ قَلَّ الْمَالُ عِنْدَهُ ، وَكَانَ قَدْ لَجَأَ إِلَيْهِ أَعْرَابٌ مِنْ أَعْرَابِ السَّوَادِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْغَادِ النَّاسِ ، فَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ الْعَطَاءَ ، فَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يَسُوفُهُمْ وَلَا يَرُونَ لَهُ حَقِيقَةَ إِلَى أَنْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُهُ يَوْمًا وَقَدْ اجْتَمَعُوا وَضَجُّوا فَصَرَخَ لَهُمْ بَأَنَّهُ لَا مَالَ عِنْدَهُ . فَقَالَ قَوْمٌ مِنْ غَوْغَاءِ أَهْلِ بَغْدَادَ : أَخْرَجُوا إِلَيْنَا خَلِيفَتَنَا لِيُعْطِيَ أَهْلَ هَذَا الْجَانِبِ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ ، وَأَهْلَ هَذَا الْجَانِبِ ثَلَاثَةَ أَصْوَاتٍ ، فَتَكُونَ عَطَاءً لَهُمْ ، فَأَنْشَدَنِي دَعْبِلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامِ قَوْلِهِ : [من السريع]

يا معشرَ الأجنادِ لا تقنطوا	وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوفَ تعطون حنينية	يلتذها الأمردُ والأشمتُ
والمعبديات لِقوَادِمِ	لا تدخل الكيس ولا تُربطُ
وهكذا يَرْزُقُ قوَادِهِ	خليفةٌ مُصحفُهُ البربُطُ

وزادني فيها جعفر بن قدامة² :

قد ختم الصك بأرزاكم	وصحح العزم فلا تسخطوا
بيعة إبراهيم مشثومة	يقتل فيها الخلق أو يُقحطُ

[متخلف يقول الشعر]

أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْرُوتِه قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو عَلِيٍّ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوَابَةَ الْكَاتِبُ قَالَ : حَدَّثَنِي دَعْبِلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقٌ مَتَخَلِّفٌ يَقُولُ شِعْرًا فَاسِدًا مَرْدُولًا وَأَنَا أَمَاهَا عَنْهُ إِذَا أَنْشَدَنِي ، فَأَنْشَدَنِي يَوْمًا :

[من مجزوء الرمل]

إِنَّ ذَا الْحُبِّ شَدِيدٌ لَيْسَ يُنْجِيهِ الْفِرَارُ

1 تقدم هذا الخبر في هذه الترجمة .

2 لم يرد هذان البيتان في ديوانه .

ونجا مَنْ كان لا يعيش - حق من ذلّ المخازي

فقلت له : هذا لا يجوز ، البيت الأوّل على الرء ، والبيت الثاني على الزاي . فقال : لا تَنْقُطُهُ ، فقلت له : فالأوّل مرفوع ، والثاني مخفوض . فقال : أنا أقول له لا تَنْقُطُهُ وهو يَشْكُلُهُ .
[يستشهد بالحديث]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُويّه قال : حدّثنا محمدُ بنُ زكريّا بن ميمونِ الفرغانيّ قال : سمعتُ دِعْبِلَ بنَ عليٍّ يقول في كلام جرى : لَيْسَ كَ ، فأنكرته عليه . فقال : دخل زيدُ الخيلِ على النبيّ ، ﷺ ، فقال له : يا زيدُ ما وُصِف لي رجل إلا رأيتُه دون وصفه ليسك ، يريد غيرك .
[يُحْسِدُ شاعراً على معنى]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا ابن مَهْرُويّه قال : حدّثنا عليُّ بنُ عبدِ الله بنِ سعدٍ قال : قال لي دِعْبِلُ ، وقد أنشدته قصيدة بكر بن خارجة في عيسى بن البراء النصرانيّ الحربيّ : [من الرجز]
زَنارُهُ في خصره معقودُ كأنّه من كبدي مقدودُ
فقال : والله ما أعلمني حسدتُ أحداً على شعر كما حسدتُ بَكَراً على قوله : كأنّه من كبدي مقدود .

[يقول الشعر كل يوم خلال ستين سنة]

أخبرني هاشمُ بنُ محمدِ الخُزاعيّ قال : سمعتُ الجاحظَ يقول : سمعتُ دِعْبِلَ بنَ عليٍّ يقول : مكثتُ نحو ستين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه إلا وأنا أقول فيه شعراً .
[يعجب لخفة روح مفلوج عاده]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدّثني محمدُ بنُ القاسمِ بن مَهْرُويّه قال : حدّثني أبي قال : سمعتُ دِعْبِلَ بنَ عليٍّ يقول : دخلتُ على أبي الحارثِ جُمَيْنِ ، وقد فُلج ، لأعوده ، وكان صديقي ، فقلت : ما هذا يا أبا الحارث ؟ فقال : أخذتُ من شعري ودخلت الحمام ، فغلط بي الفالجُ ، وظنّ أنّي قد احتجمتُ . فقلت له : لو تركت خيفة الرُوح والمجون في موضع لتركتهما في هذا الموضع وعلى هذه الحال .
[المأمون يستنشد شعر دعبل]

أخبرني الحسينُ بنُ القاسمِ الكوكبيّ قال : حدّثنا أحمدُ بنُ صدقة قال : حدّثني أبي قال : حدّثني عمرو بنُ مسعدة قال : حضرتُ أبا دُلف عند المأمون ، وقد قال له المأمون : أي شيء تروي لأخي خزاعة يا قاسمُ ؟ فقال : وأيُّ أخي خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أمّا من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابنُ أبي الشيص وداودُ بن أبي رزين ، وأمّا من مواليهم فظاهرُ وابنه عبدُ الله . فقال : ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن

شعره سوى دعبيل؟ هات أي شيء عندك فيه . فقال وأي شيء أقول في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم ، فقرن إحسانهم بالإساءة ، وبذلمهم بالمنع ، وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة منهم بإزاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطلب بن عبد الله بن مالك ، وهو أصدق الناس له ، وأقربهم منه ، وقد وفد إليه إلى مصر فأعطاه العطايا الجزيلة وولاه ، ولم يمنعه ذلك من أن قال فيه¹ :

اضرب ندى طلحة الطلحات متئداً بلؤمٍ مطلبٍ فينا وكن حكماً
تخرج خزاعة من لؤمٍ ومن كرمٍ فلا تحسُّ لها لؤماً ولا كرمًا

قال : فقال المأمون : قاتله الله ! ما أغوصه وأطفه وأداهه ! وجعل يضحك ، ثم دخل عبد الله بن طاهر ، فقال له : أي شيء تحفظ يا عبد الله لدعبيل ؟ فقال : أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ويحك . فأنشده عبد الله قول دعبيل² :

سقياً ورعيّاً لأيام الصبابات أيام أرفلٍ في أثواب لذاتي
أيام غصني رطيب من ليانته أصبو إلى غير جارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه واقذف برجلك عن متن الجهالات
واقصد بكلٍ مديحٍ أنت قائله نحو الهداة بنبي بيت الكرامات

فقال المأمون : إنه قد وجد والله مقالاً فقال ، ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم ، ثم قال المأمون : لقد أحسن في وصف سفرٍ سافره ، فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه³ :

ألم يأن للسفر الذين تحملوا إلى وطنٍ قبل الممات رجوعُ
فقلت ولم أملك سوابق عبرة نطقن بما ضمت عليه ضلوعُ
تبين فكم دار تفرق شملها وشملٍ شتيت عاد وهو جميع⁴
كذاك الليالي صرفهن كما ترى لكل أناس جذبة وريع⁵

ثم قال : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري ، وهجيري⁵ ومسلتي حتى أعود .

1 ديوانه : 139 .

2 ديوانه : 49 .

3 ديوانه : 104 .

4 الديوان : تأن .

5 هجيري : دأبي .

[المكاري يغنى بشعره]

أخبرني عليُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال : حدَّثني المبرِّدُ ومحمد بن الحسن بن الحرون قالا : قال دِعْبِلُ : خرجتُ إلى الجبلِ هارباً من المعتصم ، فكنتُ أسيرُ في بعضِ طريقي والمُكاري يسوقُ بي بغلاً تحتِي ، وقد أتعبني تعباً شديداً ، فتغنّى المُكاري في قولي : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكي

فقلتُ له ، وأنا أريدُ أن أتقربَ إليه وأكفَّ ما يستعمله من الحثِّ للبلعِ لئلا يتعني : تعرف لمن هذا الشعرُ يا فتى ؟ فقال : لمن ناك أمه وغريمُ درهمين . فما أدري أيُّ أمره أعجب : من هذا الجوابِ أم من قلة العُرمِ على عِظمِ الجناية !

[مغنية حاضرة الجواب]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني أحمدُ بن الطيّبِ السرخسيِّ قال : حضرتُ مجلسَ محمد بن عليِّ بنِ طاهرٍ وحضرته مغنية يقال لها : شنين مشهورة ، فغنت : [من الكامل]

لا تعجبي يا سلمَ من رجلٍ ضحكَ المشيبُ برأسِهِ فبكي

ثم غنَّت بعده :

لقد عَجِبْتُ سلمى وذاك عجيب

فقلتُ لها : ما أكثرَ تعجبِ سلمى هذه ! فعلمتُ أنني أعبثُ بها لأسمع جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة : [من الطويل]

فهلك الفتى ألا يراح إلى ندَى وألا يرى شيئاً عجيباً فيعجبا

فعجبتُ والله من جوابها وجدته وسرعته ، وقلت لمن حضر : والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً .

نسبة هذا الصوت

صوت¹

[من الطويل]

لقد عَجِبْتُ سلمى وذاك عجيبُ رأتُ بي شيئاً عجَلته خُطوبُ

وما شيبتني كبراً غيرَ أنني يدهر به رأسُ الفطيمِ يشيبُ

الغناء ليحيى المكيِّ ، ثقیل أول بالوسطى من كتاب أبيه أحمد .

[صنعة أحمد المكّي في شعره]

حدّثني جعفر بن قدامة قال : حدّثني محمد المرتجل بن أحمد بن يحيى المكّي قال : كان أبي صديقاً لدعبل ، كثير العشرة له ، حافظاً لغيبه ، وكلّ شعر يُعنى فيه لدعبل فهو من صنعة أبي ، وغناني من صنعة أبيه في شعر دعبل ، والطريقة فيه خفيف ثقيل في مجرى البصر¹ .

صوت

[من الطويل]

سرى طيف ليلي حين آن هبوب وقصّيتُ شوقاً حين كاد يذوب¹
 فلم أرَ مطروقاً يُحلّ برّحله ولا طارقاً يقري المنى ويُثيب²
 وأنشدني عمّي هذين البيتين عن أحمد بن يحيى بن أبي طاهر وابن مَهْرُوَيْه جميعاً لدعبل .
 [يتصل من أبياته في هجاء المعتصم]

حدّثني حبيب بن نصر المهلبّي قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : سألت دعبلاً من الذي يقول :

[من الطويل]

ملوك بني العباس في الكتب سبعة

فقال : من أضرم الله قبره ناراً ، إبراهيم بن المهدي . قال ابن أبي سعد : وحدّثني عبد العزيز بن سهل أنه سأله عنها فاعترف بها .
 [هجاء طاهر بن الحسين]

حدّثني عمّي قال : أنشدني ابن أخي دعبل لعمّه في طاهر بن الحسين ، وكان قد نَقَم عليه أمراً أنكره منه³ :

[من الرجز]

وذِي يَمِينِينَ وَعَيْنٍ وَاحِدَةٍ نَقْصَانُ عَيْنٍ وَيَمِينٍ زَائِدَةٍ
 نَزْرُ الْعَطِيَاتِ قَلِيلُ الْفَائِدَةِ أَعْضَهُ اللَّهُ بِبَطْرِ الْوَالِدَةِ

[لم يرض فعلهما فهجاهما]

حدّثني جحظة قال : حدّثني ميمون بن هارون قال : كان دعبل قد مدح دينار بن عبد الله وأخاه يحيى ، فلم يرضَ ما فعلاه ، فقال يهجوها⁴ :

[من البسيط]

ما زالَ عصياننا لله يُرْذِلنا حتى دُفَعنا إلى يحيى ودينارِ

1 ديوانه : 23 .

2 يحل برّحله في الديوان : يحل بطارق .

3 ديوانه : 172 .

4 ديوانه : 88 .

وَعَدَيْنِ عَلَجَيْنِ لَمْ تُقَطَّعْ ثَمَارُهَا قَدْ طَالَ مَا سَجَدَا لِلشَّمْسِ وَالنَّارِ¹

[هجاء بالجملة]

قال : وفيهما وفي الحسن بن سهل يقول أيضاً دِعْبِلٌ يهجوهم ، والحسن بن رجاء وأبيه
أيضاً² :

أَلَا فَاشْتَرَوْا مِنِّي مَلُوكَ الْمُخَزَمِ أَيْعُ حَسَنًا وَابْنِي رَجَاءَ بَدْرِهِمْ³
وَأَعْطِرْ رَجَاءَ فَوْقَ ذَاكَ زِيَادَةَ وَأَسْمَحُ بَدِينَارٍ بِغَيْرِ تَنْدُمٍ
فَإِنْ رُدَّ مِنْ عَيْبٍ عَلَيَّ جَمِيعُهُمْ فَلَيْسَ يَرُدُّ الْعَيْبَ يَحْيَىٰ بِنُ أَكْثَمِ

[هجاء الطاهريين بعد إحسانهم إليه]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال : حدثني أبو الطيب
الحراني قال : كان دِعْبِلٌ منحرفاً عن الطاهرية مع ميلهم إليه وأياديهم عنده ، فأنشدني لنفسه
فيهم⁴ :

وَأَبْقَى طَاهِرٌ فِينَا ثَلَاثًا عَجَائِبَ تُسْتَحَفَّ لَهَا الْحُلُومُ
ثَلَاثَةَ أَعْبَدَ لِأَبٍ وَأُمٍّ تُمَيِّزُ عَنْ ثَلَاثَتِهِمْ أُرُومٌ⁵
فَبَعْضٌ فِي قَرِيشٍ مَتَمَّاهُ وَلَا غَيْرٌ وَمَجْهُولٌ قَدِيمٌ⁶
وَبَعْضُهُمْ يَهْشُرُ لآلِ كَسْرَى وَيَزْعَمُ أَنَّهُ عَلَجٌ لَثِيمٌ
فَقَدْ كَثُرَتْ مَنَاسِبُهُمُ عَلَيْنَا وَكُلُّهُمْ عَلَىٰ حَالِ زَنِيمٍ⁷

[عودة إلى قبيح الوجه]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مَهْرُويَه قال : حدثني أبي قال : كان صالح بن
عطية الأضجم من أبناء الدعوة ، وكان من أقبح الناس وجهاً ، وكان ينزل واسطاً ، فقال فيه
دِعْبِلٌ :

أَحْسَنُ مَا فِي صَالِحٍ وَجْهُهُ فَقِسْ عَلَى الْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ

1 لم تقطع ثمارها : لم يختنا .

2 ديوانه : 187 .

3 الديوان : المخزم .

4 ديوانه : 141 .

5 ثلاثة أعبد في الديوان : ثلاثة إخوة . والأروم : الأصول .

6 ولا غير في الديوان : ولأء غير مجهول قديم .

7 الزنيم : الملحق بالقوم وليس منهم .

تَأَمَّلْتُ عَيْنِي لَهُ خِلْفَةً تَدْعُو إِلَى تَزْيِينَةِ الْوَالِدِ
قال : وقال فيه أيضاً ، وخاطب فيها المعتصم¹ :

[من الكامل]

قُلْ لِلْإِمَامِ إِمَامٍ آلِ مُحَمَّدٍ قَوْلَ امْرِئٍ حَدَبٍ عَلَيْكَ مُحَامٍ
أَنْكَرْتُ أَنْ تَفْتَرَّ عَنْكَ صَنِيعَةٌ فِي صَالِحِ بْنِ عَطِيَّةَ الْحَجَامِ
لَيْسَ الصَّنَائِعُ عِنْدَهُ بِصِنَائِعٍ لَكِنَّهِنَّ طَوَائِلُ الْإِسْلَامِ
أَضْرِبْ بِهِ جَيْشَ الْعَدُوِّ فَوْجَهُ جَيْشٍ مِنَ الطَّاعُونَ وَالْبِرْسَامِ²

[يعرض شعره على مسلم]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خُلْفِ بْنِ الْمَرْزُبَانَ قَالَ : أَخْبَرَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ قَالَ : حَدَّثَنِي
الْحُسَيْنُ بْنُ أَبِي السَّرِيِّ قَالَ : قَالَ لِي دِعْبِلُ : مَا زِلْتُ أَقُولُ الشَّعْرَ وَأَعْرَضُهُ عَلَى مُسْلِمٍ ، فَيَقُولُ
لِي : أَكْتُمُ هَذَا حَتَّى قُلْتُ :

[من الكامل]

أَيْنَ الشَّبَابُ وَأَيَّةَ سَلْكَ لَا ، أَيْنَ يُطَلَبُ ضَلَّ ؟ بَلْ هَلْكَ

فَلَمَّا أَنْشَدْتَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ قَالَ : أَذْهَبُ الْآنَ فَأُظْهِرُ شَعْرَكَ كَيْفَ شِئْتَ لَمَنْ شِئْتَ .

قال إبراهيم : وحدثني الفتح غلام أبي تمام الطائي ، وكان أبو سعيد الثغري اشتراه له
بثلاثمائة دينار لينشد شعره ، وكان غلاماً أديباً فصيحاً ، وكان إنشاد أبي تمام قبيحاً ، فكان
يُنشد شعره عنه ، فقال : سألت مولاي أبا تمام عن نسب دعبل فقال : هو دعبل بن علي
الذي يقول :

[من الكامل]

ضحك المشيب برأسه فبكي

[تهاجر دعبل ومسلم]

قال الفتح : وحدثني مولاي أبو تمام قال : ما زال دعبل ماثلاً إلى مسلم بن الوليد
مُقَرَّراً بأستاذيته حتى وَرَدَ عَلَيْهِ جُرْجَانُ فَجَفَاهُ مُسْلِمٌ ، وَكَانَ فِيهِ بَخْلٌ ، فَهَجَرَهُ دِعْبِلُ
وَكُتِبَ إِلَيْهِ³ :

[من الطويل]

أَبَا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدِي مَوَدَّةً هَوَانًا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا مَعًا
أَحُوطُكَ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حَائِطِي وَأَيُّجِعُ إِشْفَاقًا لِأَنَّ تَوَجُّعًا⁴

1 ديوان دعبل : 145 .

2 البرسام : التهاب يعرض للحجاب الحاجز .

3 تقدم هذا الشعر في ترجمة مسلم بن الوليد في الجزء 19 : 39 من الأغاني .

4 أيجع : أحس بالوجع .

فصيرتني بعد انتكاسك متهما
غششت الهوى حتى تداعت أصوله
وأنزلت من بين الجوانح والحشا
فلا تعدلني ليس لي فيك مطمع
فهيك يميني استأكلت فقطعتها
وأيروى : وحملت قلبي فقدها . قال ثم تهاجرا ، فما التقيا بعد ذلك .

[دعبل خزاعة كلها]

أخبرني محمد بن خلف قال : حدثني إبراهيم بن محمد قال : حدثنا الحسين بن علي قال : قلت لابن الكلبي : إن دعبلاً قُطعي¹ ، فلو أخبرت الناس أنه ليس من خزاعة ، فقال لي : يا فاعل ! مثلُ دعبلٍ تنفيه خزاعة ! والله لو كان من غيرها لرغبت فيه حتى تدعيه . دعبل والله يا أخي خزاعة كلها .

[دعبل والمطلب بن عبد الله]

أخبرني محمد بن المَرْزبان قال : حدثني إبراهيم بن محمد الوراق عن الحسين بن أبي السري عن عبد الله بن أبي الشَّيْص قال : حدثني دعبل قال : حججت أنا وأخي رزبن وأخذنا كتباً إلى المطلب بن عبد الله بن مالك وهو بمصر يتولّاها ، فصرنا من مكة إلى مصر ، فصحبنا رجل يُعرف بأحمد بن فلان السراج ، نسي عبد الله بن أبي الشَّيْص اسم أبيه ؛ فما زال يحدثنا ويؤانسنا طول طريقنا ، ويتولى خدمتنا كما يتولّاها الرِّفقاء والأتباع . ورأيناه حسن الأدب ، وكان شاعراً ، ولم نعلم ، وكنمنا أنفسه . وقد علم ما قصدنا له فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدة ننحله إياها . فقال : إن شئتم ، وأرانا بذلك سروراً وتقبلاً له ، فعملنا قصيدة ، وقلنا له : تُشدها المطلب فإنك تنتفع بها . فقال : نعم . ووردنا مصر به ، فدخلنا إلى المطلب ، وأوصلنا إليه كتباً كانت معنا ، وأنشدناه . فسرَّ بموضعنا ، ووصفنا له أحمد السراج هذا ؛ وذكرنا له أمره ، فأذن له ، فدخل عليه ونحن نظنُّ أنه سينشد القصيدة التي نحلناه إياها ، فلمّا مثل بين يديه عدل عنها وأنشده :

لم آتِ مطلياً إلا بمطلب وهمة بلغت بي غايه الرتب
أفردته برجاء أن تشاركه في الوسائل أو القاه في الكتب
قال : وأشار إلى كتبي التي أوصلتها إليه وهي بين يديه ، فكان ذلك أشد من كل شيء مرّ

بي منه عليّ ، ثم أنشده :

[من البسيط]

رحلت عنسي إلى البيت الحرام علي
ألقى بها وبوجهي كل هاجرة
حتى إذا ما قضت نسكي نثيت لها
فيممتك وقد ذابت مفاصلها
إني استجرت بإستارين مستليماً
فذاك للأجل المأمول ألمسه
هذا ثنائي وهذي مصر سانحة

ما كان من وصب فيها ومن نصب
تكاد تقدح بين الجلد والعصب
عطف الزمام فأمت سيد العرب
من طول ما تعب لاقت ومن نقب¹
رُكّنين : مطلباً والبيت ذا الحُجب
وأنت للعاجل المرجو والطلب
وأنت أنت وقد ناديت من كُتب

[ولاه المطلب أسوان]

قال : فصاح مطلب ، لبيك لبيك : ثم قام إليه فأخذ بيده ، وأجلسه معه ، وقال : يا غلمان ، البدر ، فأحضرت ، ثم قال : الخلع ، فنشرت ، ثم قال : الدواب ، فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا وحسدناه عليه ؛ وكان حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيظنا بكنمه إيانا نفسه واحتياله علينا أكثر وأعظم . فخرج بما أمر له به ، وخرجنا صيفراً ، فمكثنا أياماً ، ثم ولّى دعبل بن عليّ أسوان ، وكان دعبل قد هجا المطلب غيظاً منه ، فقال² :

[من المتقارب]

تعلق مصر بك المخزيات
وعاديت قوماً فما ضرهم
شعارك عند الحروب النجاء
فأنت إذا ما التقوا آخر

وتبصق في وجهك الموصول
وشرفت قوماً فلم ينبلوا
وصاحبك الأخور الأفضل
وأنت إذا انهزموا أول

وقال فيه :

اضرب ندى طلحة الطلحات متهداً
تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم

بلؤم مطلب فينا وكن حكماً
فلا تعد لها لؤماً ولا كرماً

قال : وكانت القصيدة التي مدح بها دعبل المطلب قصيدته المشهورة التي يقول

[من المنسرح]

فيها³ :

1 النقب : الحفا .

2 هذه الأبيات من قصيدة سترد فيما بعد برواية مختلفة ، وهي في ديوانه : 126-127 .

3 ديوانه : 33 .

أبعدَ مصرٍ وبعَدَ مطْلَبٍ ترجو الغنَى إنْ ذا من العجبِ
 إنْ كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطْلَبِ

[بلغ المطلب هجاؤه فعزله]

قال وبلغ المطلب هجاؤه إياه بعد أن ولّاه ، فعزله عن أسوان ، فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة ، وأنزله عن المنبر ، واصعد مكانه . فلما أن علا المنبر وتحنح ليخطب ناوله الكتاب ؛ فقال له دِعْبِلُ : دَعْنِي أخطب ، فإذا نزلتُ قرأته . قال : لا ، قد أمرني أن أمتنعك الخطبة حتى تقرأه ، فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً .

قال : فحدثني عبد الله بن أبي الشَّيْصِ قال : قال لي دِعْبِلُ قال لي المطلب : ما تفكرت في قولك قطّ :

إنْ كاثرونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطْلَبِ
 إلّا كنتَ أحبَّ النَّاسِ إليّ ، ولا تفكرتُ واللّهُ في قولك لي :
 وعاديتَ قوماً فما ضرَّهم وقدّمتَ قوماً فلم ينبُلوا
 إلّا كنتَ أبغضَ النَّاسِ إليّ .

[معنى إستارين]

قال ابنُ المَرْزبانِ حدّثني مَنْ سألَ الرِّياشيَّ عن قوله : إستارين ، قال : يجوز على معنى إستار كذا ، وإستار كذا . وأنشدنا الرياشي :

سعى عقلاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين¹
 لأصبحَ القومُ أوفاضاً فلم يجدوا يوم الترحلِ والهيجا جمالين²

[هجاؤه المطلب]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبيّ قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي سعدٍ قال : حدّثني عبدُ العزيز بنُ سهل قال : لما قصد دِعْبِلُ المطلب بنَ عبد الله بن مالك إلى مصر ولم يرضَ ما كان منه إليه قال فيه :

[من المتقارب]

1 سعى : باشر جمع الصدقات . والعقال : زكاة عام من الإبل والغنم . والسبّد : القليل من الشعر . يقال ماله سبّد ولا لبّد .

2 أوفاض : فقراء .

أَمَطَّلَبُ أَنْتَ مُسْتَعْدِبٌ حُمَيَّا الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْبِلُ
فَإِنْ أَشْفَ مِنْكَ تَكُنْ سَبِيَّةٌ وَإِنْ أَعْفُ عَنْكَ فَمَا تَعْقِلُ¹
سَتَأْتِيكَ إِمَّا وَرَدَتْ الْعِرَاقُ صَحَائِفُ يَأْثُرُهَا دِعْبِلُ
مِنَّمَّةٌ بَيْنَ أَثْنَانِهَا مَخَازِرُ تَحْطُ فَلَ تَرْحَلُ
وَضَعْتَ رَجَالًا فَمَا ضَرَّهْمُ وَشَرَّفْتَ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا
فَأَيْتُهُمُ الزَّيْنُ وَسَطَ الْمَلَا عَطِيَّةٌ أَمْ صَالِحُ الْأَحْوَالُ
أَمْ الْبَادِجَانِي أَمْ عَامِرٍ أَمِينُ الْحَمَامِ الَّتِي تَرْجُلُ
تُتَوِّطُ مِصْرُ بَكَ الْمَخْزِيَاتِ وَتَبْصُقُ فِي وَجْهِكَ الْمَوْصِلُ
وَيَوْمَ السَّرَاةِ تَحْسَبْتَهَا يَطِيبُ لَدَى مَثَلِهَا الْخَنْظَلُ²
تَوَلَّيْتَ رُكْضًا وَفَتِيَانَنَا صَدُورُ الْقَنَا فِيهِمْ تَعْمَلُ³
إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا فَحَظَّهُمْ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا
فَمِنْكَ الرُّوُوسُ غَدَاةَ الْلِقَاءِ وَمِمَّنْ يَحَارِيكَ الْمُنْصَلُ
شِعَارِكَ فِي الْحَرْبِ يَوْمَ الْوَعْيِ إِذَا انْهَزَمُوا : عَجَّلُوا عَجَلُوا
هَزَائِمِكَ الْغُرُ مَشْهُورَةٌ يُقْرَطِسُ فِيهِنَّ مِنْ يَنْضُلُ⁴
فَأَنْتَ لِأَوْلَاهِمُ آخِرُ وَأَنْتَ لِآخِرِهِمْ أَوَّلُ

أخبرني عمي قال أنشدنا المبردُ لدعبل يهجو المطلب بن عبد الله ويُعيره بغلامين : علي وعمرو ، وكان يتهم بهما⁵ :

فَأَيْرُ عَلِيٍّ لَهُ آلَةٌ وَفَقَّحَةٌ عَمْرُو لَهُ دَبَّةٌ⁶
فَطُورًا تَصَادِفُهُ جَعْبَةٌ وَطُورًا تَصَادِفُهُ حَرَبَةٌ

وأنشدني ابنُ عمَّارٍ عن أحمد بن سليمان بن أبي شيخٍ لدعبل يمدح المطلب بن عبد الله بن مالك ، وفيه غناء .

1 فما تعقل في الديوان : فما تفعل .

2 ويوم السَّراة في الديوان : ويوم الشراة .

3 تعمل في ل والديوان : تعمل .

4 يقراطس : يصيب الغرض . وتقراطس الرجل : هلك . ينضل : يسبق في الرمي .

5 ديوان دعبل : 17 .

6 الدبة : ظرف الزيت وغيره .

صوت¹

[من الكامل]

زَمَنِي بِمَطْلَبٍ سُقِيَتَ زَمَاناً مَا كُنْتَ إِلَّا رَوْضَةً وَجِنَاناً
كُلُّ النَّدَى إِلَّا نَدَاكَ تَكَلَّفَ لَمْ أَرْضَ بَعْدَكَ كَاتِئاً مَنْ كَانَ
أَصْلَحْتَنِي بِالْبَرِّ بَلْ أَفْسَدْتَنِي فَتَرَكْتَنِي أَتَسَخَّطَ الْإِحْسَانَا

وقد أخبرني بخبره الأول الطويل مع المطلب الحسن بن علي عن أحمد بن محمد حدان عن أحمد بن يحيى العدوي أن سبب سخطه على المطلب أن رجلاً من العلويين كان قد تحرك بطنجة ، فكان يَبُثُّ دعائه إلى مصر ، وخافه المطلب ، فوَكَّلَ بالأبواب مَنْ يمنع الغرياء دخولها .

فلَمَّا جاء دِعْبِلُ مُنِعَ فأغْلَظَ لِلَّذِي مَنَعَهُ ، ففَقَعَهُ بالسوط وحبسه . فمَضَى رَزِينُ فَأَخْبَرَ المَطْلَبَ ، فَأَمَرَ بإطلاقه ، ودعا به فخلع عليه . فقال له : لا أرضى أو تقتل الموكَّلَ بالباب فقال له : هذا لا يمكن لأتَّه قائد من قُوَادِ السلطان . فغضب ثم أنشده الرَّجُلُ الأبيات المذكورة ، فأجازته ، وحكى أن اسمه محمد بن الحجاج ، لا أحمد بن السراج . وسائر الخبر مثله .

[تهاجيه مع المخزومي]

وكان سبب مناقضته أبا سعد المخزومي وما خرج إليه الأمر بينهما قول دِعْبِلِ قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار ، فحمي لذلك أبو سعد ، فهجاهم ، فأجابه أبو سعد ، ولجَّ الهجاء بينهما .

وروي أنه نزل بقوم من بني مخزوم ، فلم يُضَيِّفُوهُ ، فهجاهم ، فأجابه أبو سعد ولجَّ الهجاء بينهما .

أخبرني عمِّي والحسن بن علي الخفافُ قالا : حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَةَ قال : حدَّثني محمد بن الأشعث قال : حدَّثني دِعْبِلُ أنه ورزينا العروضي نزلنا بقوم من بني مخزوم ، فلم يَقْرُوهما ، ولا أحسنوا ضيافتهما فقال دِعْبِلُ : فقلت فيهم² : [من البسيط]

عِصَابَةٌ مِنْ بَنِي مَخْزُومٍ بَتُّ بِهِمْ بَحِيثٌ لَا تَطْمَعُ الْمِسْحَاةُ فِي الطَّيْنِ

ثم قلت لرزين : أجز فقال :

فِي مَضْغِ أَعْرَاضِهِمْ مِنْ خَبْزِهِمْ عَوْضٌ بَنِي النِّفَاقِ وَأَبْنَاءُ الْمَلَاعِينِ

1 ديوانه : 190 .

2 ديوانه : 90 .

قال ابن الأشعث : فكان هذا أول الأسباب في مهاجته لأبي سعد .

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثني العنزي قال : حدثني علي بن عمرو الشيباني أن الذي هاج الهجاء بين أبي سعد ودعبيل قصيدته القحطانية التي هجا فيها زياراً ، فأجابه عنها أبو سعد ، ولجّ الهجاء بينهما .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم قال : حدثني أحمد بن أبي كامل قال : كان سبب وقوع الهجاء بين دعبيل وأبي سعد قول دعبيل في قصيدة يفخر فيها بخراعة ، ويهجو زياراً ، وهي التي يقول فيها : [من المزج]

أتانا طالباً وعرأ فاعقبناه بالوعر
وترناه فلم يرض فاعقبناه بالوتر

فغضب أبو سعد ، وقال قصيدته التي يقول فيها لدعبيل ، وهي مشهورة : [من المزج]

وبالكرخ هوى أبى على الدهر من الدهر
هوى والحمد لله كفاني كلفة العذر

قال : ثم التحم الهجاء بينهما بعد ذلك .

[جيد المخزومي لا يروى ويروى رديء دعبيل]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهران قال : حدثني أحمد بن هارون قال : دخلت على أبي سعد المخزومي يوماً وهو يقول : وأي شيء ينفعني ؟ أجود الشعر فلا يروى ، ويرذل فيروى ، ويفضحني برديته ، ولا أفضحه بجدي . فقلت : من تعني يا أبا سعد ؟ فقال : من تراني أعني إلا من عليه لعنة الله دعبلاً ! فقلت فيه : [من مجزوء الخفيف]

ليس لبس الطيالس من لباس الفوارس
لا ولا حومة الوغى كصدور المجالس
ضرب أوتار ننفب غير ضرب القوانس¹
وظهور الجياد غير ر ظهور الطنافس
ليس من ضارس الحرو ب كمن لم يضارس²
بأبي غرس فتية من كرام المغارس

1 ننفب : اسم غلام دعبيل وكان مغنياً له . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى الخوذة .

2 ضارس في ل : مارس . وضارس : جرب .

فَتِيَّةٌ مِنْ بَنِي الْمُغَدِّ
يُطْعَمُونَ السَّدِيفَ فِي
فِي جِفَانٍ كَأَنَّهَا
ثُمَّ يَمْشُونَ فِي السَّنُو
وَيُخَوِّضُونَ بِاللُّوَا
نَحْنُ خَيْرُ الْأَنْعَامِ عِنْدَ
سِيرَةٍ شَمِّ الْمَعَاطِسِ
كُلُّ شَهْبَاءٍ دَامِسٍ¹
مِنْ جِفَانِ الْعِرَائِسِ
رِ مَشْيِ الْعِنَابِسِ²
ءِ دِمَاءِ الْأَبَالِسِ
سَدِّ قِيَاسِ الْمُقَائِسِ

فوالله ما التفت إليها في مصرنا هذا إلا علماء الشعر: وقال هو في³: [من مجزوء الخفيف]

يَا أَبَا سَعْدٍ قَوْصَرَهُ
لَوْ تَرَاهُ مُحَبَّبًا
أَوْ تَرَى الْأَيْرَ فِي اسْتِهِ
زَانِي الْأَخْتِ وَالْمَرَّةِ⁴
خَلْتَهُ عَقَدَ قَنْطَرَةَ⁵
قَلْتِ سَاقَ بِمِقْطَرَةَ⁶

قال: فوالله لقد رواه صبيان الكتاب ومارة الطريق والسفل، فما أجتاز بموضع إلا سمعته من سيفلة يهذرون به، فمنهم من يعرفني فيعيني به، ومنهم من لا يعرفني فأسمعه منه لسهولته على لسانه.

[المخزومي يدس عليه ما لم يقفه]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي ومحمد بن يحيى الصولي وعمي قالوا: حدثنا الحسن بن عليل العزري قال: حدثني علي بن أبي عمرو الشيباني قال: جاءني إسماعيل بن إبراهيم بن ضمرة الخزاعي، فقال لي: إنني سألت دعبلاً أن أقرأ عليه قصيدته التي يناقض بها الكميته⁷:

أفيقي من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مرُّ الأربعينا

فقال لي إسماعيل: قال لي دعبيل: يا أبا الحسن فيها أخبار وغريب، فليكن معك رجل يقرأها علي وأنت معه، فيكون أهون علي منك. فقلت له: لقد اخترتُ صديقاً لي يقال له:

1 السديف: شحم السنام. والشهباء: السنة المجدية.

2 السنور: جملة السلاح. والعنابس: جمع عنبس، وهو الأسد.

3 ديوان دعبيل: 80.

4 قوصره: كناية عن المرأة، والمنبوذ في لغة أهل البصرة.

5 محب: الاحديداب في ظهر البعير ووظيفه.

6 المقطرة: خشبة مخروطية توضع في ساق المحبوس.

7 ديوان دعبيل: 148-150.

عليّ؟ فقال: أمن العرب هو؟ قلت: نعم. قال: من أيّ العرب؟ قلت: من بني شيبان. قال: شيبان كندة؟ فقلت: بل شيبان ربيعة. فقال لي: ويحك! أتأثيني برجل أسمع ما يكره في قومه؟ فقلت له: إنّه رجلٌ يَحْتَمِلُ، ويحبُّ أن يسمع ما له وعليه. فقال: في مثل هذا رغبة فأثني به، فصرنا إليه، فلما لقيه قال: قد أخبرني عنك أبو الحسن بما سررت به؛ أن كنت رجلاً من العرب تُحِبُّ أن تسمع ما لك وعليك لكيلا تُعْجِن. فقرأنا عليه الشعر حتى انتهينا في القصيدة إلى قوله: [من الوافر]

مِنْ آيِ ثَنِيَّةٍ طَلَعَتْ قَرِيشٌ وَكَانُوا مَعْشَرًا مَتَبِّطِينَا

فقال دعبل: معاذ الله أن يكون هذا البيت لي؛ ثم قال: لعنه الله وانتقم منه، يعني أبا سعد المخزومي، دسّه والله في هذا الشعر وضرب بيده إلى سكين كانت معه فجرّد البيت بعدها؛ ثم قال لنا: أحدثكم عنه بحديث طريف:

[بصطلحان ثم يعودان إلى التهاجي]

جاءني يوماً ببغداد أشدّ ما كان بيني وبينه من الهجاء، وبين يديّ صحيفة ودواة، وأنا أهجوه فيها، إذ دخل عليّ غلام لي فقال: أبو سعد المخزوميّ بالباب. فقلت له: كذبت. فقال، وهو عارف بأبي سعد: بلى والله يا مولاي. فأمرته برفع الدواة والجلد الذي كان بين يديّ، وأذنت له في الدخول، وجعلتُ أحمد الله في نفسي، فأقول: الحمد لله الذي أصلح بيني وبينه من هتّك الأعراض وذكّر القبيح، وكان الابتداء منه. فقمّت إليه وسلّمت عليه وهو ضاحك مسرور، فأبديتُ له مثل ذلك من السرور به، ثم قلت: أصبحتُ والله حاسداً لك. قال: علي ماذا يا أبا عليّ؟ فقلت: بسبّك إياي إلى الفضل.

فقال لي: أنا اليوم في دعوى عندك، فقلت: قل ما أحببت. فقال: إن كان عندك ما نأكله، وإلا ففي منزلي شيء معدّ. فسألت الغلمان فقالوا: عندنا قدر أمسيّة¹. فقال: غايةً واتفاق جيد. فهل عندك شيء نشربُه، وإلا وجهت إلى منزلي فيه شراب معدّ؟ فقلت له: عندنا ما نشرب، فطرح ثيابه وردّ دابته وقال: أحبّ ألا يكون معنا غيرنا. فتغدّينا وشربنا، فلما أن أخذ الشراب منا قال: مرّ غلاميك يغنياني. فأمرت الغلامين فغنياه؛ فطرب وفرح، واستحسن الغناء حتى سرّني وأطربني معه، ثم قال: حاجتي إليك يا أبا عليّ أن تأمرهما بأن يغنياني في هجائك لي، وكان الغلامان لكثرة ما يسمعه مني في هجائي قد حفظا منه أشياء ولحناها، فقلت له: سبحان الله يا أبا سعد قد طفّئت النائرة²، وذهبت العداوة بيننا، وانقطع

1 ل: مبيّة.

2 النائرة: الشحنة.

الشرّ. فما حاجتك إلى هذا؟ فقال لي: سألتك بالله إلا فعلتَ، فليس يشقّ ذلك عليّ، ولو كرهته لما سألته. فقلت في نفسي: أترى أبا سعد يتماجن عليّ؟ يا غلمان، غنّوه بما يريد، فقال غنّوه:

يا أبا سعد قَوْصَرَةَ زاني الأخت والمرّة

فغنّوه، وهو يحرك رأسه وكتفيه، ويطرب ويصفق، فما زلنا يومنا مسرورين. فلما ثمل ودعني وقام فانصرف، وأمرت غلماني فخرجوا معه إلى الباب، فإذا غلام منهم قد انصرف إليّ بقطعة قرطاس، وقال: دفعها إليّ أبو سعد المخزومي، وأمرني أن أدفعها إليك. قال: فقرأتها، فإذا فيها:

لِدِعْبِلٍ مِّنْةٍ يَمْنُ بِهَا فَلَسْتُ حَتَّى الْمَمَاتِ أَنْسَاهَا
أَدْخَلْنَا بَيْتَهُ فَأَكْرَمْنَا وَدَسَّ بِأَمْرَاتِهِ فَنَكَنَاهَا

فقال: وثلي على ابن الفاعلة، هاتوا جليداً ودواةً. قال: فردّوهما عليّ، فعدتُ إلى هجائه، ولقيته بعد يومين أو ثلاثة، فما سلّم عليّ، ولا سلّمتُ عليه.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا ابن مَهْرُوبٍ قال: حدّثنا عليّ بن عبد الله بن سعد، أنّه سمع دِعْبِلًا يحدّث بخبره هذا مع أبي سعد، فذكر نحو ما ذكره العنزيّ.

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم قال: حدّثني أحمد بن أبي كامل قال: رأيت دِعْبِلًا قد لقي أبا سعد في الرّصافة، وعليهما السّواد وسيفاهما على أكتافهما، فشدّ دِعْبِلٌ على أبي سعد فقتعه، فركض أبو سعد بين يديه هارباً، وركض دِعْبِلٌ في أثره وهو يهربُ منه حتى غاب. قال: وكنت أرى أبا سعد يجلس مع بني مخزوم في دار المأمون، فتظلموا منه إلى المأمون، وذكروا أنّهم لا يعرفون له فيهم نسباً، فأمرهم المأمون بنفيه، فانتفوا منه، وكتبوا بذلك كتاباً. فقال دِعْبِلٌ فيه يذكر ذلك من قصيدة طويلة¹:

غَيْرَ أَنْ الصَّيْدَ مِنْهُمْ قَنَعُوهُ بِخَزَائِهِ
كَتَبُوا الصَّكَّ عَلَيْهِ فَهَوَّ بَيْنَ النَّاسِ آيَهُ
فَإِذَا أَقْبَلَ يَوْمًا قِيلَ قَدْ جَاءَ النُّفَايَهُ

وقال فيه أيضاً²:

[من الطويل]

1 ديوان دعبيل: 163 عن الأغاني.

2 ديوانه: 78 وفيه «الفرا» بدل «القفدا».

هم كتبوا الصِّكَّ الذي قد علمته عليك وشنّوا فوق هامتك القفدا¹

قال : وكان إذا قيل له بعد ذلك شيء في نسبه قال : أنا عبدُ ابنِ عبد . قال : ونظر دعبل فرأى على أبي سعد قباءً مَرَوِيًّا مَصْبُوعًا بسواد ، فقال : هذا دعبي على دعبي .
[هجاؤه عندما اطلع على دفتر المخزومي]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثني أحمد بن مروان مولى الهادي قال : لقيني أبو سعد المخزومي على ظهر الطريق فقال لي : يا أحمد أنا أدرس شكايتك إلى أبيك ، قال فقلت : ولم أبكك الله ؟ قال : فما فعل دفتر البزاريات ؟ قلتُ : هوذا أجيئك به . فلما صلّيتُ الظهر جئت بالدفتري أريده ، فمررتُ بدعبل فدققتُ بابهُ ، فسمعتهُ يقول لجارية له : يا دراهم ، انظري من الباب . فقالت له : أحمد بن مروان . فقال : افتحي له . فلما دخلتُ قلتُ له : أيش هو دراهم من الأسماء ؟ قال : سمّيتم جواريكم دنانير ، فسمّينا جوارينا بدراهم . ثم قال : ما هذا معك ؟ قلت : دفترٌ فيه شعر أبي سعد في البزاريات ، فأخذهُ فنظر فيه وابنه علي بن دعبل بن علي معه ، فلما بلغ من نظره إلى شعره الذي يقول فيه :

مالتُ إلى قلبك أحزانه فهو مُجِمُّهم خزانه

قال له ابنه علي : فما كان عليه يا أبت لو قال في شعره :

عادتُ إلى قلبك أحزانه ؟

فقال دعبل : صدقت والله يا بني ، أنت والله أشعر منه . قال : ثم إنّه أملى علي دعبل إملاء² :

ما كنت أحسب أنّ الدهر يُمهلني حتى أرى أحداً يهجوهُ لا أحداً

إنّي لأعجبُ ممّن في حقيقته من المنيّ بحورٍ كيف لا يلدُ

فإن سمّعت به بعثُ القنا عبثاً فقد أراد قنّاً ليست له عقْدُ

ثم صرّت إلى أبي سعد ، فلما رأني من بعيد قال : يا أحمد ، من أين أقبلت ؟ قلت : من عند دعبل . قال : وما دعبتك عنده ؟ فأنشدته شعر دعبل فيه ، وأخبرته بما قال ابنه في شعره ، فقال : صدق والله ، في أي سنّ هو ؟ قلت : قد بلغ . فدعا بدواة وقرطاس وقال : اكتب فكتبت :

1 القفد : الصّفح .

2 ديوان دعبل : 60 .

4 . كتاب الأغاني - ج 20

لا والذي خلق الصهباء من ذهبٍ
يقول لي دِعْبِلُ في بطنه حَبْلٌ
ودِعْبِلُ رجلٌ ما شئتَ من رجلٍ
قال : ثم هجاني أبو سعد ، فقال :

عدوُّ راحٍ في ثوبِي صديق
له وجهانِ ظاهرُهُ ابنُ عمِّ
يسرُّكَ معلناً ويسوءُ سرّاً
شريك في الصَّبوحِ وفي الغبوقِ
وباطنه ابنُ زانيةٍ عتيقِ
كذاك يكونُ أبناءُ الطريقِ

[بنو مخزوم ينفون المخزومي عنهم]

أخبرني عمِّي والحسنُ بنُ عليٍّ قالا : حدَّثنا محمدُ بنُ القاسمِ بنُ مَهْرُويِّه قال : حدَّثنا أبو ناجية ، شيخٌ من ولد زُهَيْرِ بنِ أَبِي سُلْمَى ، قال : حضرتُ بني مخزوم وهم ببغداد ، وقد اجتمعوا على أبي سعد لما لَجَّ الهجاءُ بينه وبين دِعْبِلِ ، وقد خافوا لسان دِعْبِلِ ، وأن يقطعهم ويهجوهم هجاء يعمهم جميعاً ، فكتبوا عليه كتاباً ؛ وأشهدوا أنه ليس منهم . فحدَّثني غيرُ واحد أنه حينئذٍ أتى بخاتمه النقاش ، فنقش عليه : أبو سعدِ العبدُ ابنُ العبدِ بَرِيء من بني مخزوم تهاوناً بما فعلوه .

[المأمون لا يستار على دِعْبِلِ]

أخبرني علي بنُ سليمانَ الأَحْفَشُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ يزيدَ قال : كان أبو سعد المخزوميُّ يستعلي على دِعْبِلِ في أوَّلِ أمره ، وكان يدخلُ إلى المأمون فيُنشده هجاء دِعْبِلِ له وللخلفاء ، ويحرِّضه عليه وينشده جوابه ، فلم يجد عند المأمون ما أرادَه فيه . وكان يقول : الحقُّ في يدِكَ والباطلُ في يدِ غيرِكَ ، والقولُ لك ممكن ، فقل ما يكذبه ، فأما القتلُ فإنِّي لستُ أستعمله فيمن عَظُمَ ذنبه ، أفأستعمله في شاعرٍ ؟

[ابن أبي الشيص يهجو المخزومي]

فاعترض بينهما ابنُ أبي الشيص ، فقال يهجو أبا سعد :

أنا بشرتُ أبا سعد
بأبٍ صيدَ له بال
فَهُوَ يوماً من تميم
كلُّ يومٍ لأبي سعد
حزمتُ مخزومُ فاه
فادعاهَا بالإشارة

قال : وقال فيه ابنُ أبي الشيص أيضاً :

[من الهزج]

أبا سعد بحق الخمر س والمفروض من صومك
أقلت الحق في النسب ة أم تحلم في نومك
أبن لي أيها المعرو ر ممن أنت في قومك¹
فولّي قائلاً لو شئت ت قد أقصرت من لومك
ودعني أك من شئت إذا لم أك من قومك

[دعبل بهجوه]

وقال فيه دعبل² :

[من السريع]

إنّ أبا سعد فتى شاعرٌ يُعرف بالكنية لا الوالد
ينشد في حيّ معدّ أبا ضلّ عن المنشود والناشد
فرحمة الله على مسلم أرشد مفقوداً إلى فاقد

[الصبيان يصيحون بهجائه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا ابنُ مَهْرُوبٍ قال : حدّثني أحمدُ بن عثمان الطبريُّ قال : سمعتُ دعبِلَ بنَ عليّ يقول : لما هاجيت أبا سعد أخذت معي جَوْزاً ودعوت الصبيان فأعطيتهم منه ، وقلت لهم : صيحووا به قائلين :

يا أبا سعد قوصرة زاني الأخت والمسرة

فصاحوا به ، فغلّبته .

[أبو سعد يحرض عليه المأمون مرة أخرى]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال حدّثني ابن مَهْرُوبٍ ، قال : حدّثني أحمدُ بن مروان قال : حدّثني أبو سعد المخزوميّ واسمه عيسى بن خالد بن الوليد قال : أنشدت المأمون قصيدتي الدالية التي رددت فيها على دعبِلِ قوله³ :

ويسومني المأمون خطة عاجز أو ما رأى بالأمس رأس محمد
وأول قصيدتي :

[من الكامل]

أخذ المشيب من الشباب الأغيذ والنائبات من الأنام بمرصد⁴

1 المعرور : المصاب بالعر ، وهو الجرب ، أو هو الملطخ بالشر .

2 ديوانه : 76 عن الأغاني .

3 ديوانه : 69 .

4 الأنام في ل : الرجال .

ثم قلت له : يا أمير المؤمنين ، ائذن لي أن أجيئك برأسه . قال : لا ، هذا رجل فخر علينا فافخر عليه كما فخر علينا ، فأما قتله بلا حجة فلا .

[يرى وجهه في المرآة فيذكر هجاء أبي سعد له]

أخبرني عمي والحسن بن علي عن أحمد بن أبي طاهر قال : حدثني أبو السري عمرو الشيباني قال : نظر دِعْبِلُ يوماً في المرآة ، فجعل يضحك ، وكانت في عنفقتة¹ سلعة² ، فقلت له : من أي شيء تضحك ؟ قال : نظرتُ إلى وجهي في المرآة ، ورأيت هذه السلعة التي في عنفقتي ، فذكرتُ قول الفاجر أبي سعد :

وسلعة سوء به سلعة ظلمتُ أباه فلم ينتصر

[ينشده أحدهم هجاء المخزومي له]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال : قال عبد الله بن الحسن بن أحمد مولى عمر بن عبد العزيز قال : حدثنا محمد بن علي الطالبي قال : لقيت دِعْبِلَ بن علي ، فحدثني أن أبا عمرو الشيباني سأله : ما هو دِعْبِلُ ؟ فقلت له : لا أدري ، فقال : إنها الناقة المسنة . قال محمد بن علي الطالبي : ثم تحدثنا ساعة ، فقلت : أما ترى لأبي سعد يا أبا علي وانهماك في هجائك ؟ فقال دِعْبِلُ : لكني لم أقُل فيه إلا آياتاً سخيفة يلعب بها الصبيان والإماء ، وأنشدني قوله فيه : [من مجزوء الخفيف]

يا أبا سعد قوصره زاني الأخت والمره
لو تراه مُحَبَّباً خلته عقداً قنطرة
أو ترى الأير في استه قلت ساق بمقطره

قال محمد ، فقلت لدِعْبِلُ : دَعَّ عنك ذا ، فقد والله أوجعك الرجلُ ، فإن أجبته بجواب مثله انتصفت ، وإلا فإن هذا اللغو الذي فخرت به يسقط وتفضح آخر الدهر ، قال : ثم أنشدته قول أبي سعد فيه :

لم يبق لي لذة من طيبة بدد ولا المنازل من خيف ولا سند³
أبعد خمسين عادت جاهليته يا ليت ما عاد منها اليوم لم يعد

1 ل : شعره .

2 السلعة : غدة في البدن تصغر وتكبر .

3 الطية : الحاجة والوطر . بدر : متفرقة . الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء . السند : ما قابلك من الجبل .

وما تُريدُ عيونُ العينِ من رجلٍ
أبدى سرائرهَ وجسداً بغانيةِ
واستمطرتُ عبراتِ العينِ منزلةً
وما بكاؤك داراً لا أنيسَ بها
لِدَعْبِلِ وطَّرٍ في كلِّ فاحشةِ
ولي قوافٍ إذا أنزلتها بلداً
لم ينبجُ من خيرها أو شرِّها أحدٌ
إنَّ الطَّرِمَّاحَ نالتَه صواعقُها
وأنتَ أولى بها إذ كنتَ وارثه
تهجو زياراً وترعى في أروميتها
إنِّي إذا رجلٌ دبَّت عقاربه
زدني أزدك هواناً أنتَ موضعه
لو كنتَ متهدداً فيما تُلقفه
أو كنتَ معتمداً منه على ثقةٍ
لقد تقلدتَ أمراً لست نائله
وقد رميتَ بياضَ الشمسِ تحسبه
لا تُوعدني بقوم أنتَ ناصرهم
لله معتمصم بالله ، طاعته
قال ، فلما أنشدتها دعبلاً قال : أنا أشتمه وهو يشتمني ، فما إدخال المعتصم بيننا ؟ وشقَّ
ذلك عليه وخافه ، ثم قال نقيض هذه القصيدة :

منازلُ الحيِّ من عُمدانَ فالنَّضيدِ

وهي طويلة مشهورة في شعره ، هكذا قال العنزيُّ في الخبر ، ولم يأت بها .

1 الآري : عود في حائط أو حبل بملقمة تربط بها الدابة .

2 الخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم . الخيطان : جماعات النعام ، واحدها خيط . الربد : الغبر .

3 الهام : نوع من البوم . والصرد : طائر ضخم الرأس يصيد العصافير .

4 النومان : الكثير النوم . والقعد : جمع قاعد .

[دعي على دعي]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا الْعَنْزِيَّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الطَّالِبِيِّ قَالَ : عَبَّرَ دِعْبِلَ الْجَسْرَ بِيَعْدَادٍ ، وَأَبُو سَعْدٍ وَقَفَّ عَلَى دَابْتِهِ عِنْدَ الْجَسْرِ ، وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ صُوفٍ مَشْبَهُ بِالْحَزْرِ مَصْبُوغٌ ، فَضْرَبَ دِعْبِلَ بِيَدِهِ عَلَى فِخْذِهِ ، وَقَالَ : دَعِيٌّ عَلَى دَعِيٍّ .

[دعبل مدخول النسب]

أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الصَّيْدَلَانِيِّ صَهْرَ الْمُبَرَّدِ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى الضَّبِّيُّ رَاوِيَةَ الْعَتَّابِيِّ ، وَكَانَ نَدِيمًا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَالَ : بَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ يَذَاكِرُنَا بِالْأَدَبِ وَأَهْلِيهِ وَشِعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ إِذْ بَلَغَ إِلَى ذِكْرِ الْمُحَدَّثِينَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذِكْرِ دِعْبِلَ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا ضَبِّيَّ ! ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكَ بِشَيْءٍ عَلَى أَنْ تَسْتَرَهُ طَوْلَ حَيَاتِي ، فَقُلْتَ لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ أَنَا عِنْدَكَ فِي مَوْضِعٍ ظَنَنْتُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ أَطِيبُ لِنَفْسِي أَنْ تَوْتِقَ لِي بِالْأَيْمَانِ لِأَرْكُنَ إِلَيْهَا ، وَيَسْكُنَ قَلْبِي عِنْدَهَا ، فَأَحَدِّثْكَ حِينْتِذِ .

قَالَ : قُلْتَ : إِنْ كُنْتُ عِنْدَ الْأَمِيرِ فِي هَذِهِ الْحَالِ فَلَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى إِفْشَاءِ سِرِّهِ إِلَيَّ ، وَاسْتَعْفِيَتِهِ مَرَارًا فَلَمْ يُعْفِنِي . فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْ مَرَاجَعَتِهِ ، وَقُلْتَ : فَلْيَرِ الْأَمِيرَ رَأْيَهُ . فَقَالَ لِي : يَا ضَبِّيَّ ، قُلْ : وَاللَّهِ . قُلْتَ : وَاللَّهِ ، فَأَمَرَهَا عَلِيٌّ غَمُوسًا مُؤَكَّدَةً بِالْبَيْعَةِ وَالطَّلَاقِ وَكُلُّ مَا يَخْلَفُ بِهِ مُسْلِمٌ . ثُمَّ قَالَ : أَشَعْرَتْ أَنْ دِعْبِلًا مَدْخُولَ النَّسَبِ ؟ وَأَمْسَكَ ، فَقُلْتَ : أَعَزَّ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَفِي هَذَا أَخَذْتَ الْعَهْدَ وَالْمَوَاطِيقَ وَمَغْلَظَ الْأَيْمَانِ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، فَقُلْتَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنِّي رَجُلٌ لِي فِي نَفْسِي حَاجَةٌ ، وَدِعْبِلَ رَجُلٌ قَدْ حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى الْمَهَالِكِ ، وَحَمَلَ جِدْعَهُ عَلَى عُنُقِهِ ، فَلَيْسَ يَجِدُ مَنْ يَصْلِبُهُ عَلَيْهِ ، وَأَخَافُ إِنْ بَلَغَهُ أَنْ يَقُولَ فِيَّ مَا يَبْقَى عَلَيَّ عَارَهُ عَلَى الدَّهْرِ ، وَقَصَارَايَ إِنْ ظَفَرَتْ بِهِ وَأَسْلَمَتَهُ الْيَمَنُ ، وَمَا أَرَاهَا تَفْعَلُ ؛ لِأَنَّهُ الْيَوْمَ لِسَانُهَا وَشَاعِرُهَا وَالذَّابُّ عَنْهَا وَالْمَحَامِي لَهَا وَالْمَرَامِي دُونَهَا ، فَأَضْرِبُهُ مِائَةَ سَوْطٍ ، وَأَتَقْلَهُ حَدِيدًا ، وَأُصَيِّرُهُ فِي مُطْبِقٍ¹ بِبَابِ الشَّامِ .

وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ عَوْضٌ مِمَّا سَارَ فِيَّ مِنَ الْهَجَاءِ وَفِي عَقْبِي مِنْ بَعْدِي . فَقُلْتَ : مَا أَرَاهُ يَفْعَلُ وَيُقَدِّمُ عَلَيْكَ . فَقَالَ لِي : يَا عَاجِزُ ، أَهَوْنُ عَلَيْهِ مِمَّا لَمْ يَكُنْ . أَتَرَاهُ أَقْدَمَ عَلَى الرَّشِيدِ وَالْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ وَعَلَى أَبِي وَلَا يَقْدَمُ عَلَيَّ ؟ فَقُلْتَ : فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَا فَقَدْ وَفَّقَ الْأَمِيرُ فِيمَا أَخَذَهُ عَلَيَّ .

قَالَ : وَكَانَ دِعْبِلُ صَدِيقًا لِي ، فَقُلْتَ : هَذَا شَيْءٌ قَدْ عَرَفْتَهُ ، فَمَنْ أَيْنَ ؟ قَالَ الْأَمِيرُ : إِنَّهُ مَدْخُولُ النَّسَبِ وَهُوَ فِي الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مِنْ خِزَاعَةِ ، لَا يَتَقَدَّمُهُمْ غَيْرُ بَنِي أَهْبَانَ مَكْتَلَمِ الذُّنْبِ . فَقَالَ : أَسْمَعُ أَنَّهُ كَانَ أَيَّامَ تَرَعْرَعِ خَامِلًا لَا يُؤْبَهُ لَهُ ، وَكَانَ يَنَامُ هُوَ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي إِزَارٍ وَاحِدٍ ، لَا يَمْلِكَانِ غَيْرَهُ . وَمُسْلِمٌ أَسْتَازُهُ وَهُوَ غَلَامٌ أَمْرُدٌ يَخْدُمُهُ ، وَدِعْبِلُ حِينْتِذِ لَا يَقُولُ

1 المطبق : سجن تحت الأرض .

شعراً يفكر فيه حتى قال :
لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ضحك المشيبُ برأسِهِ فبكي
[بداية شهرته]

وغنّي فيه بعض المغنّين وشاع ، فغنّي به بين يدي الرشيد ، إما ابنُ جامع أو ابنُ المكيّ ، فطرب الرشيد ، وسأل على قائل الشعر ، فقيل له : دِعْبِلُ بن عليّ ، وهو غلام نشأ من خُزاعة . فأمر بإحضار عشرة آلاف درهم وخِلعة من ثيابه ، فأحضر ذلك ، فدفعه مع مركب من مراكبه إلى خادم من خاصته ، وقال له : اذهب بهذا إلى خُزاعة فاسأل عن دِعْبِلِ بن عليّ ، فإذا دُلّت عليه فأعطه هذا ، وقُل له : ليحضر إن شاء ، وإن لم يُجبْ ذلك فدعه . وأمر للمغنيّ بجائزة . فسار الغلام إلى دِعْبِلِ ، وأعطاه الجائزة ، وأشار عليه بالمسير إليه .
فلما دخل عليه وسلّم ، أمره بالجلوس فجلس ، واستنشد الشعر فأنشده إياه ، فاستحسنه وأمره بملازمته وأجرى عليه رزقاً سنياً ، فكان أولَ مَنْ حرّضه على قول الشعر . فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على ما فعله من العطاء السنّي ، والغني بعد الفقر ، والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة . وقال فيه من قصيدة مدح بها أهل البيت عليهم السلام ، وهجا الرشيد¹ :

ليس حيٌّ من الأحياء نعلمه	من ذي يمانٍ ومن بكرٍ ومن مُضِرٍ
إلا وهم شركاء في دمائهم	كما تشارك أيسار على جُزْرِ ²
قتلٌ وأسرٌ وتحريقٌ ومنهبةٌ	فعل الغزاة بأرض الروم والخزير
أرى أميةً معذورين إن قتلوا	ولا أرى ليني العباس من عذرٍ
أربع بطوس على القبر الزكيّ إذا	ما كنت ترعب من دين عليّ وطيرٍ
قبران في طوس خير الناس كلهم	وقبر شرهم هذا من العبير
ما ينفع الرجس من قرب الزكيّ ولا	على الزكيّ بقرب الرجس من ضررٍ
هيهات كل امرئ رهن بما كسبت	له يداه فخذ ما شئت أو فذرٍ

[المؤمن يصفح عنه]

يعني قبر الرشيد وقبر الرضا عليه السلام ، فهذه واحدة . وأمّا الثانية فإنّ المأمون لم يزل يطلبه وهو طائر على وجهه حتى دُسَّ إليه قوله³ :

[من الكامل]

1 ديوانه : 178-179 .

2 أيسار : جمع يسر ، وهم المجتمعون على اليسر .

3 ديوانه : 115-116 .

عِلْمٌ وَتَحْكِيمٌ وَشَيْبُ مَفَارِقِ طَمَّسَنَ رَيْعَانَ الشَّبَابِ الرَّائِقِ
 وَإِمَارَةً فِي دَوْلَةِ مَيْمُونَةٍ كَانَتْ عَلَى اللَّذَاتِ أَشْغَبَ عَائِقِ
 أَنْتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَاكَ بِكَائِنٍ يَرِثُ الْخِلَافَةَ فَاسِقٌ عَنِ فَاسِقِ
 إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ مُضْطَلَعًا بِهَا فَلْتَصْلُحَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِمُخَارِقِ¹

فلما قرأها المأمون ضحك ، وقال : قد صَفَحْتُ عن كلِّ ما هجنا به إذ قرن إبراهيمَ بمُخَارِقِ في الخلافة ، وولاه عهدَه .

وكتب إلى أبي أن يكتبه بالأمان ، ويحمل إليه مالا ، وإن شاء أن يُقيمَ عنده أو يصيرَ إلى حيث شاء فليفعل . فكتب إليه أبي بذلك ، وكان واثقا به ، فصار إليه ، فحملة وخلع عليه ، وأجازه وأعطاه المال ، وأشار عليه بقصد المأمون ففعل . فلما دخل وسلّم عليه تبسّم في وجهه ، ثم قال أنشدني :

مدارسُ آياتٍ خلَّتْ من تلاوةٍ ومنزلٌ وحيٍّ مقفّرُ العرصاتِ

فجزع ، فقال له : لك الأمان فلا تخف ، وقد رويتها ولكني أحبّ سماعها من فيك . فأنشده إيّاها إلى آخرها والمأمون يبكي حتى أخضَلَ لِحِيته بدمعِهِ ، فوالله ما شعرنا به إلا وقد شاعت له أبيات يهجو بها المأمون بعد إحسانه إليه وأنسه به حتى كان أوّلَ داخلٍ ، وآخر خارجٍ من عنده .

[هاشمي لا يرضيه فيجوه]

أخبرني محمد بنُ خفافِ بنِ المرزبان قال : حدّثني أبو بكرٍ العامريُّ ، قال : استدعى بعضُ بني هاشمٍ دِعْبِلًا وهو يتولّى للمعتصم ناحية من نواحي الشام ، فقصدته إليها ، فلم يقع منه بحيث ظنَّ وجفاه ، فكتب إليه دِعْبِلٌ² :

دَلَيْتَنِي بَغُرُورٍ وَعَدِكَ فِي مِتْلَاطِمٍ مِنْ حَوْمَةِ الْغُرُقِ
 حَتَّى إِذَا شِمْتَ الْعَدُوَّ وَقَدْ شُهُرَ اتِّقَاصُكَ شَهْرَةَ الْبَلْقِ
 أَنْشَأْتَ تَحْلَفُ أَنْ وَدَّكَ لِي صَافٍ وَجِبْلِكَ غَيْرُ مَنْحَذِقِ³
 وَحَسْبَتَنِي فَقَعًا بِقَرَقَرَةٍ فَوْطَقْتَنِي وَطَقًا عَلَى حَقِّ⁴

1 مخارق : المعنى المشهور .

2 ديوانه : 113-114 .

3 منحذق : منقطع .

4 تقدم المثل «فقع بقرقرة» أو «أذل من فقع بقرقرة» .

ونصبتني علماً على غرضٍ
وظننت أرض الله ضيقةً
من غير ما جرمٍ سوى ثقة
ومودةٍ تحنو عليك بها
فمتى سألتك حاجةً أبداً
وقف الإخاء على شفا جُرف
وأعد لي قفلاً وجامعة
أغفيك مما لا تحبُّ بها
ما أطول الدنيا وأعرضها

ترميني الأعداء بالحدق
عني وأرض الله لم تضق
مني بوعدكم حين قلت: ثقي
نفسى بلا من ولا ملق
فاشدد بها قفلاً على غلق
هار فبعه بيعة الخلق
فاشدد يدي بها إلى عنقي
واسدد علي مذهب الأفق
وأدلني بمسالك الطرق

[أتهامه بشتم صفية بنت عبد المطلب]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مَهْرُوبٍ قال: حدثني أبي قال: قدِمَ دِعْبِلُ الدِّينُورُ¹، فجرى بينه وبين رجل من ولد الزبير بن العوامِ كلامٍ وعَرَبِدَةٌ عَلَى النَّبِيدِ، فاستعدى عليه عمرو بن حميد القاضي، وقال: هذا شتم صفيّة بنت عبد المطلب، واجتمع عليه الغوغاء، فهرب دِعْبِلُ، وبعث القاضي إلى دار دِعْبِلِ فوكل بها وختم بابها. فوجه إليه برُقعة فيها: ما رأيت قطُّ أجهلَ منك إلا من ولأك، فإنه أجهل، يقضي في العَرَبِدَةِ على النبيذ، ويحكم على خصم غائب، ويقبل عقلك أني رافضيُّ أشتم صفيّة بنت عبد المطلب؛ سخنت عينك، أفمن دين الرافضة شتم صفيّة؟ قال أبي: فسألني الزبيرُ القاضي عن هذا الحديث فحدثته، فقال: صدق والله دِعْبِلُ في قوله، لو كنت مكانه لوصلته وبررته.

[متنك يعود إلى الندماء]

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مَهْرُوبٍ قال: حدثني إبراهيم بن سهل القاري قال: حدثني دِعْبِلُ قال: كتبتُ إلى أبي نَهْشَلِ بن حميد، وقد كان نسك وترك شرب النبيذ، ولزم دار الحرم:

[من الخفيف]

إنما العيشُ في منادمة الإخ
وبصرفٍ كأنها السُنُّ البر
إن تكونوا تركتم لذة العي
وإن لا في الجلوس عند الكعاب
ق إذا استعرضت رقيق السحاب
شر حذار العقاب يوم العقاب

فدعوني وما ألدُّ وأهوى وادفعوا بي في نحر يوم الحساب
قال : فكان بعد ذلك يدعوني وسائر ندمائي ، فنشرب بين يديه ، ويستمتع الغناء ،
ويقتصر على الأنس والحديث .
[قصيدة بالمشاركة]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثنا ابنُ مَهْرُويَه قال : حدَّثنا إبراهيمُ بنُ المدبِّر قال : كنتُ أنا
وإبراهيمُ بنُ العباسِ رقيقين نتكسَّبُ بالشعر قال : وأنشدني قصيدة دِعْبِل في المطلبِ بنِ
عبدِ الله :

أَمَطَّلِبُ أَنْتَ مُسْتَعْدِبُ سَمَامِ الْأَفَاعِي وَمُسْتَقْبِلُ
قال ، وقال لي دِعْبِل : نصفها لإبراهيمَ بنِ العباسِ ، كنتُ أقولُ مصراعاً فيجيزه ، ويقول
هو مصراعاً فأجيزه .

[هجاء مالك بن طوق]

قال ابنُ مَهْرُويَه : وحدَّثني إبراهيمُ بنُ المدبِّر أنَّ دِعْبِلًا قصدَ مالكَ بنَ طَوْقٍ ومدحه ، فلم
يرضَ ثوابه ، فخرج عنه وقال فيه ¹ :

[من السريع]

إِنْ ابْنَ طَوْقٍ وَبَنِي تَغْلِبِ لَوْ قَتَلُوا أَوْ جَرَحُوا قُصْرَةَ²
لَمْ يَأْخُذُوا مِنْ دِيَةِ دَرَهْمًا يَوْمًا وَلَا مِنْ أَرْضِهِمْ بَعْرَةَ³
دِمَاؤُهُمْ لَيْسَ لَهَا طَالِبٌ مَطْلُولَةٌ مِثْلُ دَمِ الْعُذْرَةِ
وَجَوْهُهُمْ بِيضٌ وَأَحْسَابُهُمْ سَوْدٌ وَفِي آذَانِهِمْ صُفْرَةَ

[شعره في عبد الله بن طاهر]

حدَّثنا محمدُ بنُ عِمْرانِ الصيرفيُّ قال : حدَّثني العنزيُّ قال : حدَّثنا عبدُ الله بنُ الحسنِ
قال : حدَّثني عمرُ بنُ عبدِ الله أبو حفصِ النحويُّ مؤدَّبُ آلِ طاهرٍ قال : دخل دِعْبِلُ بنُ
عليٍّ على عبدِ الله بنِ طاهرٍ ، فأنشده وهو ببغداد ⁴ :

[من السريع]

جئتُ بلا حُرْمَةٍ وَلَا سَبَبِ إِلَيْكَ إِلَّا بِجُرْمَةِ الْأَدَبِ⁵
فأقضِ ذِمَّامِي فَإِنِّي رَجُلٌ غَيْرُ مَلَحٍّ عَلَيْكَ فِي الطَّلَبِ

1 ديوانه : 79 .

2 قصره : يقصرون عن إدراك النار .

3 الأرش : دية الجراحات .

4 ديوانه : 33 .

5 الديوان : أتيت مستشفعاً بلا سبب .

قال فانتعل عبد الله ، ودخل إلى الحُرَم ، ووجَّه إليه بَصْرَة فيها ألفُ درهم ، وكتب إليه :

أُعجلتَنَّا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرْنَا ولو انتظرتَ كثيره لم يَقْلِلْ
فخذُ القليلِ وكن كأنك لم تَسَلْ ونكونُ نحنُ كأننا لم نَفعَلْ

[هجا مالك بن طوق وهرب]

أخبرني أحمدُ بن عاصمِ الحُلُوَانِيُّ قال : حدَّثنا أبو بكر المدائنيُّ قال : حدَّثنا أبو طالب الجعفريُّ ومحمدُ بنُ أُمَيَّةَ الشاعِرُ جميعاً قالوا : هجا دَعْبِل بنُ عليِّ مالِك بنِ طوق فقال¹ :

سَأَلْتُ عَنْكُمْ يَا بَنِي مَالِكِ فِي نَازِحِ الْأَرْضِينَ وَالذَّائِيَةِ
طُرّاً فَلَمْ تُعْرِفْ لَكُمْ نِسْبَةَ حَتَّى إِذَا قَلْتُ بَنِي الزَّائِيَةِ
قَالُوا فَذَعْ دَاراً عَلَى يَمْنَةٍ وَتِلْكَ هَا دَارُهُمْ ثَانِيَةً²
لَا حَدَّ أَحْشَاهُ عَلَى مَنْ قَالَ أُمَّكَ زَائِيَةَ

وقال أيضاً فيه :

يَا زَائِيَّ ابْنَ الزَّانِ ابِ نِ الزَّانِ ابْنَ الزَّائِيَةِ
أَنْتَ الْمَرْدَّدُ فِي الزَّنَا ء عَلَى السَّنِينِ الْخَالِيَةِ
وَمَرْدَّدٌ فِيهِ عَلَى كَرِّ السَّنِينِ الْبَاقِيَةِ

[يبلعه الوالي سلحه]

وبلغت الأبيات مالكا ، فطلبه ، فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العباس بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان بلغه هجاء دَعْبِل وابن أبي عيينة نزاراً . فأما ابن أبي عيينة فإنه هرب منه فلم يظهر بالبصرة طول أيامه . وأما دَعْبِل فإنه حين دخل البصرة بعث فقبض عليه ، ودعا بالنطح والسيف ليضرب عنقه ، فجحده القصيدة وحلف بالطلاق على جحدها ، وبكل يمين تبرئ من الدم أنه لم يقلها وأن عدواً له قالها ، أما أبو سعد المخزومي أو غيره ونسبها إليه ليغري بدمه ، وجعل يتضرع إليه ويقبل الأرض ويكي بين يديه . فرق له ، فقال : أما إذا أعفيتك من القتل فلا بد من أن أشهرك ، ثم دعا بالعصا فضربه حتى سلخ ، وأمر به فألقى على قفاه ، وفتح فمه فردّ سلحه فيه والمقارع تأخذ رجله ، وهو

1 ديوان دَعْبِل : 164 وقد جعل البيت الرابع أول المقطوعة التالية .

2 ثانيه في الديوان : فانية .

يُحلفُ ألاَّ يكفَّ عنه حتى يستوفيه ويبلعه أو يقتله . فما رُفعت عنه حتى يبلعُ سلحه كله ، ثم خلَّاه ، فهرب إلى الأهواز .

[اغتياله]

وبعث مالكُ بنُ طوقٍ رجلاً حَصيفاً مقداماً ، وأعطاه سماً وأمره أن يغتاله كيف شاء ، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم ، لم يزلُ يطلبه حتى وجده في قرية من نواحي السُّوس ، فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة ، فضرب ظهره قدمه بـُعكازٍ لها زجٌ مسموم فمات من غد ، ودُفِنَ بتلك القرية .

وقيل بل حُمِلَ إلى السُّوس ، فدُفِنَ فيها ، وأمر إسحاقُ بنُ العباسِ شاعراً يقال له : الحسنُ بنُ زيدٍ ويكنى أبا الذَّلْفَاءِ ، فنَقَضَ قصيدتي دِعْبِلَ وابن أبي عيينة بقصيدة أولها : [من الوافر]

أما تنفك متبولاً حزيناً تحبُّ البيضَ تعصي العاذلينا
يهجو بها قبائل اليمن ، ويذكر مثالبهم ، وأمره بتفسير ما نظمه ، وذكر الأيام والأحوال ، ففعل ذلك وسأهاها الدامغة ، وهي إلى اليوم موجودة .

صوت¹

[من الوافر]

أتهجرَ مَنْ تُحِبُّ بغيرِ جُرمٍ أسأتَ إذا وَّانتَ له ظلومُ
تورقني الهمومُ وأنتَ خِلْوٌ لعمركَ ما تورقك الهمومُ

الشعر لجعيفران الموسوس ، أنشدنيه عمِّي عن عبدِ الله عثمان الكاتبِ عن أبيه عن جدِّه ، وأنشد فيه جَحْظَةً عن خالدِ الكاتبِ له ، وأنشدنيه ابن الوشاء عن بعض شيوخه عن سلمة النحويِّ له . ووجدته في بعض الكتب منسوبةً إلى أم الضحاك المحاربيَّة ، والقول الأوَّل أصح . والغناء لابن أبي قباحة ، ثاني ثقليل بالوسطى في مجرى البنصر . وفي أبيات آخر من شعر جعيفران غناء ، فإن لم يصح هذا له فالغناء له في أشعاره الأخر صحيح ، منها : [من السريع]

ما يفعلُ المرءُ فهو أهله كلُّ امرئٍ يشبهه فعله
ولا ترى أعجز من عاجزٍ سكنتنا عن ذمِّه بذله

الشعر لجعيفران ، والغناء لنتيم ، وممَّا وجدته من الشعر المنسوب إليه في جامعه وفيه له غناء :

[من الكامل]

قلبي بصاحبةِ الشُّوفِ مُعلَقُ وتفرُّ صاحبةُ الشُّوفِ وألحَقُ

[417] - أخبار جعيفران ونسبه¹

[نشأته]

هو جعيفران بن علي بن أصفر بن السري بن عبد الرحمن الأبنوي² ، من ساكني سرّ من رأى ، ومولده ومنشؤه ببغداد . وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانية ، وكان يتشيع ، ويكثر لقاء أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر .

أخبرني بذلك أبو الحسن علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب عن أبيه وأهله .

[شاعر مطبوع اختلط]

وكان جعيفران أديباً شاعراً مطبوعاً ، وغلبت عليه الميرة السوداء ، فاختلط وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله ، ثم كان إذا أفاق ثاب إليه عقله وطبعه ، فقال الشعر الجيد . وكان أهله يزعمون أنه من العجم من ولد أذين .

[أبوه بطرده ويخرمه من الميراث]

فأخبرني الحسن بن علي الخفاف قال : حدثني محمد بن مَهْرُويه قال : حدثني علي بن سليمان النوفلي قال : حدثني صالح بن عطية قال : كان لجعيفران الموسوس قبل أن يختلط عقله أب يُقال له : علي بن أصفر ، وكان دهقان الكرخ ببغداد ، وكان يتشيع ، فظهر على ابنه جعيفران أنه خالفه إلى جارية له سرّية ، فطرده عن داره .

وحجّ فشكا ذلك إلى موسى بن جعفر ، فقال له موسى : إن كنت صادقاً عليه فليس يموت حتى يفقد عقله ، وإن كنت قد تحققت ذلك عليه فلا تساكنه في منزلك ، ولا تطعمه شيئاً من مالِك في حياتك ، وأخرجه عن ميراثك بعد وفاتك .

فقدم فطرده ، وأخرجه من منزله . وسأل الفقهاء عن حيلة يُشهد بها في ماله حتى يخرجَه عن ميراثه ، فدلّوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد به ، وأوصى إلى رجل . فلما مات الرجل حاز ميراثه ومنع منه جعيفران ، فاستعدى عليه أبا يوسف القاضي ، فأحضر الوصي ، وسأل جعيفران البينة على نسبه وتركه أبيه ، فأقام على ذلك بينة عدّة ، وأحضر الوصي بينة

1 ترجمة جعيفران الموسوس في الوافي 11 : 168-171 وفوات الوفيات 1 : 297-299 وطبقات ابن المعتز :

281-282 وتاريخ بغداد 7 : 163 ، وعقلاء المجانين : 101-105 . وقد ترجم له وجمع أشعاره د .

إبراهيم النجار في شعراء عباسيون منسيون (النجار) 4 : 353-372 .

2 الوافي والفوات : الأنباري ، والنجار : الأبنوي .

عُدولاً على الوصيِّ يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه . فلم يرَ أبو يوسف ذلك شيئاً ، وعزم على أن يورثه ، فدفعه الوصيُّ عن ذلك مرَّاتٍ بعِللٍ . ثم عزم أبو يوسف على أن يُسجِّلَ لجعيفران بالمال ، فقال له الوصيُّ : أيُّها القاضي ، أنا أدفع هذا بحجَّةٍ واحدةٍ بقيتُ عندي ، فأبى أبو يوسف أن يقبلَ منه ، وجعل جعيفران يُحرِّجُ عليه ، ويقول له : قد ثبت عندك أمرِي ، فبأيِّ شيءٍ تدافعني ؟ وجعل الوصيُّ يسأله أن يسمع منه منفرداً ، فيأبى ، ويقول : لا أسمع منك إلاَّ بحضرةِ خصمك . فقال له : أجنلي إلى غد ، فأجَّله ، فجاء إلى منزله وكتب رقعةً خبره فيها بحقيقة ما أفتى به موسى بنُ جعفر ، ودفعها إلى صديق لأبي يوسف ، فدفعها إليه ، فلمَّا قرأها دعا الوصيِّ واستحلفه أنَّه قد صدق في ذلك ، فخلفَ باليمين الغموس . فقال له : اغدُ عليَّ غداً مع صاحبك . فحضر وحضر جعيفران معه ، فحكم عليه أبو يوسف للوصيِّ . فلمَّا أمضى الحكم عليه وسوس جعيفران واختلط منذ يومئذٍ .

وأخبرني بجمل أخباره المذكورة في هذا الكتاب عليُّ بن العباس بن أبي طلحة الكاتبُ ، عن شيوخ له أخذها عنهم وإجازات وجدتها في الكتب ، ولم أرَ أخباره عند أحدٍ أكثر ممَّا وجدتها عنده إلاَّ ما أذكره عن غيره فأنسبه إليه .

[يقف بالرصافة على رجل وينشده شعراً]

قال عليُّ بنُ العباس : وذكر عبد الله بنُ عثمان الكاتبُ أنَّ أباه عثمان بنَ محمد حدَّته قال : كنتُ يوماً برُصافة مدينة السلام جالساً إذ جاءني جعيفران وهو مغضَّبٌ ، فوقف عليَّ وقال :

استوجِبَ العالمُ منِّي القتلا

فقلت : ولم يا أبا الفضل ؟ فنظر إليَّ نظرة منكرة خِفتُ منها ، وقال :

لَمَّا شعرتُ فرأوني فحلا

ثم سكتَ هنيهةً ، وقال¹ :

قالوا عليَّ كذبا وبُطلا إني مجنون فقَدْتُ العقلا

قالوا المحال كذبا وجهلا أقبحُ بهذا الفعل منهم فعلا

ثم ذهب لينصرف ، فخِفتُ أن يؤذيه الصبيان ، فقلت : اصبرْ فدَيْتِكَ حتى أقومَ معك ؛ فإنَّك مغضَّبٌ ، وأكره أن تخرج على هذه الحال . فرجع إليَّ ، وقال : سيحان الله ، أتراني أنسبهم إلى الكذب والجهل ، وأستقبح فعلهم ، وتتخوَّف منِّي مكافأتهم ؟ ثم

إِنَّهُ وَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ : [من الرجز]

لَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ جَهْلٍ جَهْلًا وَلَا مَجَازِيهِ بِفِعْلٍ فِعْلًا
لَكِنْ أَرَى الصَّفْحَ لِنَفْسِي فَضْلًا مَنْ يُرِدُ الْخَيْرَ يَجِدْهُ سَهْلًا

ثم مضى .

[يدور في الدار وحده وينشد رجزاً]

وقال عليُّ بنُ العباسِ ، وقال عثمانُ بنُ محمدٍ : قال أبي : كنتُ أشرفُ مرّةً من سطحٍ لي على جعيفرانَ وهو في دارٍ وحده وقد اعتلّ ، وتحركتُ عليه السوداء ، فهو يدور في الدار طولَ ليلته ، ويقول¹ :

[من الرجز]

طَافَ بِهِ طَيْفٌ مِنَ الْوَسْوَاسِ نَفَرَ عَنْهُ لَذَّةُ النَّعَاسِ
فَمَا يُرَى يَأْنَسُ بِالْأَنْاسِ وَلَا يَلْدُ عِشْرَةَ الْجُلَاسِ
فَهُوَ غَرِيبٌ بَيْنَ هَذَا النَّاسِ

حتى أصبح وهو يرددها ، ثم سقط كأنه بقلة ذابله .

[بيت بنصف درهم]

قال عليٌّ : وحدثني عليُّ بن رستمِ النحويّ ، قال : حدثني سلمة بن محارب قال : مررت ببغداد ، فرأيتُ قومًا مجتمعين على رجلٍ ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : جعيفران المجنون ، فقلت : قل بيتاً بنصف درهم . قال : هاته ، فأعطيته ، فقال : [من مجزوء الخفيف]

لَجَّ ذَا الْهَمِّ وَاعْتَلَجَ كُلُّ هَمٍّ إِلَى فَرْجٍ

[يصيح الصبيان خلفه وهو عريان]

ثم قال : زد إن شئت حتى أزيدك .

قال عليٌّ : وحدثني عبد الله بن عثمان ، عن أبيه قال : غاب عنا جعيفران أياماً ثم جاءنا والصبيان يشدون خلفه وهو عريان وهم يصيحون به : يا جعيفران يا خرا في الدار . فلمّا بلغ إليّ وقف ، وتفرّقوا عنه فقال : يا أبا عبد الله² :

[من الهزج]

رَأَيْتُ النَّاسَ يَدْعُونِي بِمَجْنُونٍ عَلَى حَالِي
وَمَا بَسِيَ الْيَوْمَ مِنْ جِنٍّ وَلَا وَسْوَاسٍ بَلْبَالِ

1 النجار : 362 .

2 النجار : 365 .

ولكن قولهم هذا
ولو كنتُ أخوا وفراً
إفلاسي وإقاللي
رأوني حسن العقل
وما ذاك على خبيرٍ
ولكن هيبة المال

قال : فأدخلته منزلي ، فأكل ، وسقيته أقداحاً ، ثم قلتُ له : تقدير علي أن تغيّر تلك القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال بديهة غير مفكر ولا متوقف¹ :

[من الهزج]

رأيتُ الناسَ يرمونـ
ومَن يَضِبُّ يا صاحـ
سيَ أحياناً بوسواسـ
مقالَ الناسِ في الناسـ
ونازع صفوة الكاسـ
ذا بِرٍّ وإيناسـ
بأمشالي وأجناسي
أتوني بين جلاسي
على العينين والراس
رأ أن الذلَّ إفلاسي
ويدعوني عزيزاً غيـ

ثم قام يبول ، فقال بعض من حضر : أي شيء معنى عشرتنا هذا المجنون العريان ؟ والله ما نأمنه وهو صاح ، فكيف إذا سكر ؟ وفطن جعيفران للمعنى ، فخرج إلينا وهو يقول² :

[من مجزوء الرمل]

وندامى أكلوني
زعموا أنني مجنو
إذ تغيّبتُ قليلا
نأرى العُري جميلا
كيف لا أعري وما أبـ
صرُ في الناسِ مثيلا
بي فخلّوا لي سبيلا
وأتمّوا يومكم سـ
رّمكم الله طويلا

قال : فرققنا له ، واعتذرنا إليه ، وقلنا له : والله ما نلتذ إلا بقربك ، وأتيناه بثوب ، فلبسه ، وأتمنا يومنا ذلك معه .

1 النجار : 361 .

2 النجار : 364 .

[يدعو على القاضي]

أخبرني جَحْظَةُ قال : حَدَّثَنِي ميمونُ بنُ هارونَ قال : تقدّم جُعيفرانُ إلى أبي يوسفَ الأَعورِ القاضي بِسْرٍ مَنْ رأى في حكومة في شيء كان في يده من وَقْفٍ له ، فدفعه عنه ، وقضى عليه . فقال له : أَرَأَيْتَ اللهُ أَيُّهَا القاضي عَيْنِكَ سواء ، فأمسَكَ عنه ، وأمر برَدّه إلى داره .

فلما رجع أَطعمه ووهب له دراهم ، ثم دعا به فقال له : ماذا أردتَ بدعائك ؟ أردتَ أن يَرُدَّ اللهُ على بصري ما ذهب ؟ فقال له : والله لئن كُنْتُ وَهَبْتُ لي هذه الدراهم لأَسْحَرَ منك لَأَنْتَ المَجْنونُ لا أنا . أَخْبِرْنِي كم من أَعورَ رأيتَه عَمِي ؟ قال : كثيراً ، قال : فهل رأيتَ أَعورَ صحَّ قَطُّ ؟ قال : لا . قال : فكيف توهمتَ عليَّ الغلط ؟ فضحك وصرفه .

[مدحه بأدْلَف]

أخبرني محمدُ بنُ جعفرِ النحويِّ صِهْرُ المبرِّدِ قال : حَدَّثَنِي أحمدُ بنُ القاسمِ البرتيِّ قال : حَدَّثَنِي علي بن يوسف قال : كنتُ عند أبي دُلْفِ القاسمِ بنِ عيسى العِجَلِيِّ فاستأذن عليه حاجبه لجُعيفرانَ الموسوسِ ، فقال له : أَيُّ شيء أصنع بموسوس ؟ قد قضينا حقوق العقلاء ، وبقي علينا حقوق المجانين ! فقلت له : جعلت فداء الأمير ! موسوسٌ أفضلُ من كثيرٍ من العقلاء ، وإن له لساناً يُتَقَى وقولاً ماثوراً يبقَى ، فالله اللهُ أن تحجبه ، فليس عليك منه أذى ولا ثقل ، فأذن له ، فلما مثل بين يديه قال ¹ :

يا أكرمَ العالمِ موجوداً	ويا أعزَّ الناسِ مفقوداً
لما سألتُ الناسَ عن واحدٍ	أصبح في الأُمَّة محموداً
قالوا جميعاً إنه قاسمٌ	أشبهَ آباءَ له صيدا
لو عبدوا شيئاً سوى ربِّهم	أصبحت في الأُمَّة معبوداً
لا زِلتَ في نِعْمى وفي غِبْطَةٍ	مكرماً في الناسِ معدوداً

قال ، فأمر له بِكُسوة وبألف درهم ، فلما جاء بالدراهم أخذ منها عشرة ، وقال : تأمر القَهْرمان أن يُعطيني الباقي مفرقاً كلِّما جئت لثلاً يضيع مني ؛ فقال للقهرمان : أعطه المال ، وكلِّما جاءك فأعطه ما شاء حتى يفرِّق الموت بيننا . فبكى عند ذلك جُعيفران ، وتنفس الصعداء ، وقال ² :

[من المنسرح]

1 النجار : 370 .

2 لم يرد البيتان عند النجار .

يموتُ هذا الذي أراه وكلُّ شيء له نفاذُ
لو غيرَ ذي العرشِ دام شيءٌ لدامَ ذا المُفضِّلُ الجوادُ
ثم خرج . فقال أبو دُلفٍ : أنتَ أعلمُ به مني . قال : وعَبَّرَ عَنِّي مدَّة ، ثم لقيني وقال : يا
أبا الحسن ، ما فعل أميرُنَا وسيدُنَا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير وعلى غاية الشوق إليك .
فقال : أنا والله يا أخي أشوقُ ، ولكنني أعرف أهلَ العسكرِ وشَرَّهم وإلحاحهم ، والله ما
أراهم يتركونه من المسألة ولا يتركهم ، ولا يتركه كرمُه أن يُخْلِيهُم من العطيَّة حتى يخرجَ
فقيراً . فقلت : دَع هذا عنك وزرُه ، فإن كثرةَ السؤال لا تضرُّ بماله . فقال : وكيف ؟ أهو
أيسرُ من الخليفة ؟ قلت : لا . قال : والله لو يبذل لهم الخليفة كما يبذل أبو دُلفٍ وأطمعهم في
ماله كما يُطمعهم لأفقروه في يومين ، ولكن اسمع ما قلته في وقتي هذا . فقلت : هاته يا أبا
الفضل ، فأنشأ يقول¹ :

أبا حسنٍ بلَّغَنُ قاسماً بأنِّي لم أُجفُه عن قلى
ولا عن مَلالٍ لإتيانه ولا عن صُدودٍ ولا عن غنى
ولكن تعففتُ عن ماله وأصفيته مدحتي والثنا
أبو دُلفٍ سيِّدٌ ماجد سنيَّ العطيَّة رَحِب الفِنا
كريمٌ إذا اتباه المعتصو نَ عمَّهمُ بجزيل الحبا
قال : فأبلغتها أبا دُلفٍ ، وحدَّثته بالحديث الذي جرى ، فقال لي : قد لقيته منذ أيام ؛
فلما رأيته وقفْتُ له ، وسلِّمت عليه ، وتحفَّيت به ، فقال لي : سِرَّ أيُّها الأمير على بركة
الله ، ثم قال لي² :

يا مُعديَّ الجود على الأموالِ ويا كريمَ النفس في الفعالِ
قد صُنَّتي عن ذلَّة السؤالِ بجُودك الموفى على الآمالِ
صانك ذو العزَّة والجلالِ مِن غيرِ الأيامِ والليالي
قال : ولم يَزَلْ يختلف إلى أبي دُلفٍ ويبرِّه حتى افترقا .

[يهجو نفسه]

سمعتُ عبدَ الله بنَ أحمدَ ، عمَّ أبي رحمه الله يحدثُ فحفظت الخير ، ولا أدري أذكر له إسناداً
فلم أحفظه أم ذكره بغير إسناد ، قال : كان جعيفرانُ حبيثَ اللسان هَجَاء ، لا يسلم عليه أحد ،

1 النجار : 368 عن الأغاني .

2 ليست مما جمعه النجار .

فاطَلَع يوماً في الحُبِّ ، فرأى وجهه قد تغيَّر ، وعفا شعره فقال¹ :

[من المجتث]

ما جَعَفَرُ لأبيه ولا له بشييه
أضحى لقوم كثيرٍ فكلَّهم يدعيه
هذا يقولُ بُني وذا يخاصمُ فيه
والأمُّ تضحكُ منهم لعلمها بأبيه

[صحة حدسه في الجارية]

حدَّثني محمد بنُ الحسنِ الكِنديّ خطيب القادسيّة قال : حدَّثني رجل من كتاب الكوفة قال : اجتاز بي جعيفرانُ مرّةً فقال : أنا جائع ، فأبيّ شيء عندك تُطعمني ؟ فقلت : سلِّق بِخَرْدَل . فقال : اشتر لي معه بطيخاً ، فقلت : أفعل ، فادخل ، وبعثت بالجارية تجيئه به ، وقدّمتُ إليه الخبز والخردل والسلق ، فأكل منه حتى ضجّر ، وأبطأت الجارية ، فأقبل عليّ وقد غضب فقال² :

[من مجزوء الخفيف]

[يهجو جارية مضيئه لتأخرها في شراء بطيخ له]

سَلَقْتُنَا وَخَرَدَلْتْ ثم وُلّت فَأَدْبَرَتْ
وأراها بواحدٍ وافر الأيرِ قد خَلَتْ

قال فخرجّت ، يشهد الله ، أطلبها ، فوجدتها خالية في الدّهليز بسائس لي على ما وصف .

صوت

[من الخفيف]

ولها مَرَبَعٌ بِرَقَّةٍ خاخٍ ومَصِيفٍ بالقصرِ قصرِ قُبَاء³
كفّنوني إن ميتٌ في درعٍ أروى واجعلوا لي من بئرِ عُروةٍ مائي⁴
سُخنةً في الشتاء باردة الصيْفِ سراجٍ في الليلة الظلماء

الشعر للسريّ بن عبد الرحمن ، والغناء لمعبّد ، ثقیل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ : قال : وفيهما ، يعني الثالث والأوّل ، رمل مطلق في مجرى الوسطى .

1 النجار : 367 .

2 النجار : 369 عن الأغاني .

3 برقة خاخ : موضع بين الحرمين . وقصر قباء : موضع قرب المدينة .

4 بئر عروة : بالعقيق ، نسبة إلى عروة بن الزبير .

[418] - أخبار السري ونسبه¹

السريُّ بن عبد الرحمن بن عتبة بن عُويم بن ساعدة الأنصاريّ ، ولجده عويم بن ساعدة صحبة بالنبيّ ، ﷺ .

[شعره وشخصه]

والسريّ شاعر من شعراء أهل المدينة ، وليس بمكثّر ولا فحلّ ، إلاّ أنّه كان أحد الغزليّن والفتيان والمنادين على الشراب . كان هو وعُتير بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف ، وجبّير بن أيمن ، وخالد بن أبي أيوب الأنصاريّ يتنادمون . قال : وفيهم يقول : [من الطويل]

إذا أنت نادمت العتيرَ وذا الندى جبّيراً ونازعت الرّجاجة خالداً
أمنتَ بإذنِ الله أن تُقرعَ العصا وأن يُنبهوا من نومةِ السُّكرِ راقداً²
غناه الغريض ثقيلاً .

[هجا النصب والأحوص فلم يجياه]

وكان السريّ هذا هجا الأحوص ، وهجا نصيباً ؛ فلم يجياه .

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال : حدّثني الزبير بن بكّار قال : حدّثني عمّي ، وأخبرني الحسين بن يحيى المرّداسيّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : جلس النّصيب في مسجد النبيّ ، ﷺ ، فأنشد ، وكان إذا أنشد لوى حاجبيه ، وأشار بيده ، فرآه السريّ بن عبد الرحمن الأنصاريّ ، فجاءه حتى وقف بإزائه ثم قال : [من الوافر]

فقدتُ الشعرَ حين أتى نصيباً ألم تستحي من مقّت الكرام

إذا رفع ابنُ ثوبة حاجبيه حسبتُ الكلبَ يُضربُ في الكعام³

قال : فقال نصيبُ : من هذا ؟ فقالوا : هذا ابنُ عُويم الأنصاريّ ، قال : قد وهبته الله عزّ وجلّ ولرسوله ، ﷺ ، ولعُويم بن ساعدة . قال : وكان لعُويم صحبةٌ ونصرةٌ .

[تشبيهه بزيب]

أخبرني الحرّميّ قال : حدّثنا الزبيرُ قال : حدّثني عمّي عن عبد الرحمن بن عبد الله العمريّ

1 للسري بن عبد الرحمن ترجمة في الوافي 15 : 141-142 .

2 قرع العصا لتثنيه الغافل كما في المثل «الذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا» . ويروى من «سكرة النوم» .

3 الكعام : الكمامة .

قال : كان السريُّ قصيراً دميماً أزرق ، وكان يهوى امرأة يقال لها زينب ويُشَبَّب بها . فخرج إلى البادية فرآها في نسوة ، فصار إلى راعٍ هناك وأعطاه ثيابه ، وأخذ منه جُبته وعصاه ، وأقبل يسوق الغنم حتى صار إلى النسوة فلم يحفلن به ، وظننَّ أنه أعرابيٌّ ، فأقبل يُقَلِّب بعصاه الأرضَ وينظر إليهنَّ ، فقلن له : أذهب منك يا راعي الغنم شيء فأنت تطلُّبه ؟ فقال : نعم . قال : فضربتُ زينب بكمِّها على وجهها وقالت : السريُّ والله ، أخزاه الله ! فأنشأ يقول : [من البسيط]

صوت

ما زال فينا سقيمٌ يُستطبُّ له من ریح زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ
حزتِ الجمالَ ونشراً طيباً أرجأ فما تُسمينَ إلاَّ مسكَةَ البلدِ
أما فوادي فشيءٌ قد ذهبَ به فما يضرُّكُ إلاَّ تحرُّبي جسدي¹

[المهدي يعجب بغزله]

أخبرني الحسنُ بنُ عليٍّ قال : حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي خَيْثَمَةَ قال : حدَّثنا مُصعبُ الرُّبَيْرِيُّ قال ، قال أبي : قال لي المهديُّ : أنشدني شعراً غزلاً ، فأنشدته قولَ السريِّ بن عبد الرحمن :

ما زال فينا سقيمٌ يُستطبُّ له من ریح زينبَ فينا ليلةَ الأحدِ
فأعجبته ، وما زال يستعيدها مراراً حتى حفظها .

[يشربون النبيذ وتقبل شهادتهم]

أخبرني الحسنُ قال : حدَّثني أحمدُ قال : حدَّثني محمدُ بنُ سلامَ الجُمحيُّ قال : كان السريُّ بن عبد الرحمن ينادم عُتيرَ بن سَهْل بن عبد الرحمن بن عَوْفٍ وجُبَيْرَ بنَ أيمنَ بن أمِّ أيمن مولى النبيِّ ، عليه السلام ، وخالدَ بنَ أبي أيوب الأنصاريِّ ، وكانوا يشربون النبيذَ ، وكلَّهم كان على ذلك مقبولَ الشهادةِ ، جليلَ القدرِ مستوراً ، فقال السريُّ : [من الطويل]

إذا أنتَ نادمتَ العُتيرَ وذا الندى جبيراً ونازعتَ الزجاجةَ خالدًا
أمنتَ بإذنِ الله أن تُقرَعَ العصا وأن يُنبهوا من نومةِ السُّكرِ راقداً

فقالوا : قبحك الله ! ماذا أردت إلى التنبيه علينا والإذاعة لسرنا ؟ إنك لحقيقٌ الآن نادمتك . قال : والله ما أردتُ بكم سوءاً ، ولكنَّه شعرٌ طفتح فنفتته عن صدري ، قال : وخالدُ بن أبي أيوب الأنصاريُّ الذي يقول :

[من الطويل]

صوت

أَلَا سَقْنِي كَأْسِي وَدَعْ قَوْلَ مَنْ لَحَى وَرَوْ عِظَامًا قَصْرُهُنَّ إِلَى بِلَى¹
فَإِنْ بَطُوءَ الكَأْسِ مَوْتُ وَحِسَبَهَا وَإِنَّ دِرَاكَ الكَأْسِ عِنْدِي هُوَ الحَيَا²

الغناء في هذين البيتين هو لعبد الله بن العباس الربيعي ، خفيف رمل بالينصر عن عمرو بن

بانة .

[التمثل بشعره في طلب الشراب]

أخبرني أبو الحسن الأُسديُّ قال : حدّثني سليمان بن أبي شيخٍ قال : حدّثني مصعبُ بنُ عبد الله الزُّبيريُّ قال : حدّثني مصعبُ بنُ عثمانَ قال : حدّثني عبِيدُ الله بن عروة بن الزُّبيرِ قال : خرجتُ وأنا غلامٌ أدور في السككِ بالمدينة فاتّهيتُ إلى فناءٍ مرشوش وشابٌ جميلٌ الوجهِ جالسٍ ، فلَمَّا رآني دعاني ، ثم قال لي : مَنْ أنتَ يا غلامُ ؟ فقلتُ عبِيدُ الله بنُ عروة بن الزُّبيرِ . فقال : اجلس ، فجلستُ ، فدعَا بالعَدَاءِ فتغدَّينا جميعاً ، ثم قال : يا جاريةُ ؛ فأقبلتُ جاريةً تنهادي كأنّها مَهَاءٌ ، وفي يدها قِنِينَةٌ فيها شرابٌ صافٍ وقلةٌ ماءٍ وكأسٌ ؛ فقال لها : اسقيني ؛ فصبّت في الكأسِ وسكّبت عليه ماءً وناولته ، فشرب ثم قال : سقّيه ؛ فصبّت في الكأسِ وسكّبت عليه ماءً وناولتني . فلَمَّا وجدتُ رائحته بكيّتُ ؛ فقال : ما بيكيك يا ابن أخي ؟ فقلت : إنّ أهلي إن وجدوا رائحةَ هذا منّي ضربوني ، فأقبل على الجارية بوجهه ، وقال لها يخاطبها : [من الطويل]

أَلَا سَقْنِي كَأْسِي وَدَعْ عِنكَ مَنْ أَبِي وَرَوْ عِظَامًا قَصْرُهُنَّ إِلَى بِلَى

فأخذته من يدي وأعطته ؛ فشربه ، وقمتُ فلَمَّا جاوزته سألت عنه فقيل لي : هذا

خالد بن أبي أيّوب الأنصاريّ الذي يقول فيه الشاعر :

إِذَا أَنْتَ نَادَمْتَ العُتْبَيْرَ وَذَا النَّدَى جُبَيْرًا وَنَازَعْتَ الزَّجَاجَةَ خَالِدَا
أَمِنْتَ بِإِذْنِ اللهِ أَنْ تُقْرَعَ العِصَا وَأَنْ يَوْقُظُوا مِنْ سَكْرَةِ النُّومِ رَاقِدَا
وَصَرْتَ بِحَمْدِ اللهِ فِي خَيْرِ عُصْبَةٍ حَسَانِ النَّدَامَى لَا تَخَافُ العَرَايِدَا

[ابن الماجشون يصرّ على إخراجها]

أخبرنا وكيعٌ قال : حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال : حدّثني أبو غسان عن محمد بن

يحيى بن عبد الحميد قال : كان السريُّ بن عبد الرحمن يختلف إلى قينة ، فجاء ابن الماجشون

1 قصرهن : غابتهن .

2 البطوء : ضد السرعة .

فقال : لا أدخل حتى يخرج السريّ ؛ فأخرجته فقال السريّ :

[من الخفيف]

قَبَّحَ اللهُ أَهْلَ بَيْتِ بَسْلَعٍ أَخْرَجُونِي وَأَدْخَلُوا الْمَاجْشُونَا
أَدْخَلُوا هِرَّةً تُلَاعِبُ قِرْدًا مَا نَرَاهُمْ يَرُونَ مَا يَصْنَعُونَا

[شعره في الأمتين]

أخبرني الحسن قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب قال : أنشدني أبي للسريّ بن عبد الرحمن في أمة الحميد بنت عبد الله بن عباس وفي ابنتها أمة الواحد : [من مجزوء الكامل]

أُمَّةُ الْحَمِيدِ وَبِتُّهَا ظِيَانِ فِي ظِلِّ الْأَرَاكِ
يَتَّبَعَانِ بَرِيرَهُ وَظِلَالَهُ فَهَمَا كَذَاكَ¹
حُذِيَ الْجَمَالُ عَلَيْهِمَا حَذَوُ الشَّرَاكِ عَلَى الشَّرَاكِ

[بيني أن يكون مؤذناً]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الرُّقَيّ قال : حدّثني يحيى بن عثمان بن أبي قباحة الزُّهريّ قال : أنشدني أبو غسان صالح بن العباس بن محمد ، وهو إذ ذاك على المدينة ، للسريّ بن عبد الرحمن :

[من الخفيف]

لَيْتَنِي فِي الْمُؤَذِّنِينَ نَهَارًا إِنَّهُمْ يَبْصُرُونَ مَنْ فِي السُّطُوحِ
فَيْشِيرُونَ أَوْ يُشَارُ إِلَيْهِمْ حَبَّذَا كُلِّ ذَاتِ جَيْدٍ مَلِيحِ

قال : فأمر صالح بسد المنار ، فلم يقدر أحدٌ على أن يطّلع رأسه حتى عُزل صالح . أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ ، قال : حدّثنا عبد الله بن شبيب قال : حدّثني زبير بن بكّار عن عمّه : أن السريّ بن عبد الرحمن وقف على عمر بن عمرو بن عثمان ، وهو جالسٌ على بابهِ والنّاس حوله ، فأنشأ يقول :

[من الخفيف]

يَا ابْنَ عَثْمَانَ يَا ابْنَ خَيْرِ قَرِيشٍ أَبْغَنِي مَا يَكْفُنِي بَقْبَاءَ
رَبِّمَا بَلَّنِي نَدَاكَ وَجَلَّى عَنِ جَبِينِي عِجَاجَةَ الْعُرْمَاءِ
فَاعْمَرَهُ أَرْضًا بَقْبَاءَ ، وَجَعَلَهَا طُعْمَةً لَهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ ، فَلَمْ تَزَلْ فِي يَدِهِ حَتَّى مَاتَ .

[معد يعني بشعره]

أخبرني وسوسة بن الموصليّ ، قال : حدّثني حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن عزيز بن طلحة ، قال : قال معبد : خرجت من مكّة أريد المدينة ، فلما كنت قريباً من المنزل أريت

بيتاً فعدلت إليه ، فإذا فيه أسود عنده حَبَان من ماء وقد جَهدني العطش ، فسَلِّمت عليه واستسقيت ، فقال : تأخَّر عافاك اللهُ ؛ فقلت : يا هذا ، اسقني جرعة من الماء فقد كدت أموت عطشاً ، فقال : والله لا تذوق منه جرعة ولو مِتَّ ، فرجعتُ القهقري ، وأنخْتُ راحتي واستظللت بظلها من الشمس ، ثم اندفعتُ أغني ليبتل لساني : [من الخفيف]

كفَّوني إن مِتُّ في درعٍ أروى واستقوا لي من بئرِ عروةٍ مائي

فإذا أنا بالأسودِ قد خرج إليّ ومعه قدح جيشاني¹ فيه سويق ملت بماء بارد ، فقال : هل لك في هذا أرب ؟ قلت : قد منعني ما هو أقلُّ منه : الماء . فقال : اشرب ، عافاك اللهُ ، ودع عنك ما مضى ، فشربت . ثم قال : أعد ، فديتك ، الصوت ، فأعدته ، فقال : هل لك ، بأبي وأمي ، أن أحمل لك قربة من ماء ، وأمشي بها معك إلى المنزل وتعيد عليّ هذا الصوت حتى أتزوّد منه ، وكلّما عطشت سقيتك ؟ قلت : افعل ، ففعل وسار معي ، فما زلتُ أغنيه إياه ، وكلّما عطشت استقيته حتى بلغت المنزل عشاء .

صوت²

[من مجزوء الكامل]

سَلَبُ الشَّبَابِ رِداءه	عَنِّي وَيَتْبَعُهُ إِزارُهُ
وَلَقَدْ حَلَّ عَلَيَّ حَلًّا	تَه وَيَعَجِبُنِي افْتِخارُهُ ³
سائِلُ شِبابِي هل مسك	تُ بِسَوَاءٍ أَوْ ذَلَّ جارُهُ ⁴
ما إن ملكتُ المالَ إلَّا	كان لي وله خيارُهُ ⁵

ويروى : هل أسأت مساكه .

الشعر لمسكينِ الدارميِّ ، والغناء لِمَقاسَة بن ناصح ، خفيف رملٍ بالبِئصر عن عمرو .

1 جيشاني : منسوب إلى جيشان ، مخالف باليمن .

2 ديوان مسكينِ الدارمي : 36-37 .

3 الديوان : ولقد يحل عليّ حلته فيعجبني فخاره

4 الديوان :

واسأل شبابي هل أهدت مساكه أو ذل جاراه

5 الديوان : أم هل كسبت المال إلا عاد لي . . .

[419] - أخبار مسكين ونسبه¹

[نسبه]

مسكينٌ لقبٌ غلب عليه ، واسمه ربيعةُ بنُ عامر بنِ أنيف بنِ شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله بن عدس بن دارم بن مالك بن زيد مناة بن تميم . وقال أبو عمرو الشيباني : مسكينٌ بن أنيف بن شريح بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

[سبب تلقيبه بمسكين]

قال أبو عمرو : وإنما لقب مسكيناً لقوله² :

ولمَن يَعْرِفَنِي جِدًّا نَطَقُ
لو أَبِيعُ النَّاسَ عِرْضِي لَنَفَقُ

أنا مسكينٌ لمن أنكرني
لا أبيعُ الناسَ عِرْضِي إنني

[من الرمل]

وقال أيضاً³ :

وإنني لمسكينٌ إلى الله راغبٌ

سُميتُ مسكيناً وكانت لجاجةً

[من الطويل]

وقال أيضاً⁴ :

وهل تُنكرنَّ الشمسُ ذرَّ شعاعها
منارٌ ومن خير المنارِ ارتفاعها

إن أدع مسكيناً فلستُ بمنكرٌ
لعمرك ما الأسماءُ إلا علامةٌ

شاعر شريف من سادات قومه ، هاجى الفرزدق ثم كافه ، فكان الفرزدق بعد ذلك في الشدائد التي أفلت منها .

[تهاجيه مع الفرزدق]

حدثني حبيب بن أوس بن نصر المهلبى قال : حدثنا عمر بن شبة عن أبي عبيدة قال : كان

1 ترجمة مسكين الدارمي في الشعر والشعراء : 455-456 والسمط : 186 وتهذيب ابن عساكر 5 : 303 والوافي 14 : 97 وخزانة البغدادي 3 : 69-73 ومعجم الأدباء (عباس) : 1299-1301 وله أشعار في أمالي المرتضى وأنساب الأشراف وشرح النهج والطبري . وقد جمع شعره خليل إبراهيم العطية وعبد الله الجبوري (بغداد 1970) وإليه نشير .

2 ديوان مسكين الدارمي : 56 .

3 ديوانه : 24 .

4 ديوانه : 53 .

زياد قد أرعى مسكيناً الدارميَّ حِمَى له بناحية العُدَيْب¹ في عام قَحَطٍ حتى أخصب النَّاسُ وأَحْيَوْا ، ثم كتب له بِرٌّ وتَمَرٌ وكَسَاه . قال : فلَمَّا مات زيادُ رثاه مسكين ، فقال² : [من الوافر]

رَأَيْتُ زِيَادَةَ الْإِسْلَامِ وَلَّتْ جِهَاراً حِينَ وَدَعْنَا زِيَادُ

فعارضه الفرزدق ، وكان منحرفاً عن زيادٍ لطلبه إِيَّاه وإخافته له ، فقال³ : [من الطويل]

أَمْسِكِينُ أَبْكَى اللَّهُ عَيْنَكَ إِنَّمَا جَرَى فِي ضَلَالٍ دَمَعُهَا فَتَحَدَّرَا
بَكَيْتَ عَلَى عِلْجٍ بِمَيْسَانَ كَافِرٍ كَكَسْرَى عَلَى عِدَائِهِ أَوْ كَقَيْصِرَا⁴
أَقُولُ لَهُ لَمَّا أَتَانِي نَعِيَّهُ : بِهِ لَا بَظْطِي بِالصَّرِيمَةِ أَغْفَرَا⁵

فقال مسكين يجيبه⁶ : [من الطويل]

أَلَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الَّذِي لَسْتُ قَاعِداً وَلَا قَائِماً فِي الْقَوْمِ إِلَّا أَنْبَرِي لِيَا
فَجِئْتَنِي بَعْمٌ مِثْلَ عَمِّي أَوْ أَبٍ كَمِثْلِ أَبِي أَوْ خَالَ صَدَقٍ كَخَالِيَا
كَعَمْرُوبِنِ عَمْرُوءٍ أَوْ زَرَارَةَ ذِي النَّدَى أَوْ الْبِشْرُ مِنْ كُلِّ فِرْعَتِ الرَّوَايَا

قال : فأمسك الفرزدق عنه ، فلم يجبه ، وتكافأ .

أخبرني ببعض هذا الخبر أبو خليفة عن محمد بن سلام ، فذكر نحوه مما ذكره أبو عبيدة وزاد فيه ، قال : والبشر خالٌ لمسكين من النَّمِر بن قاسط ، وقد فخر به ، فقال⁷ : [من الوافر]

شُرَيْحٌ فَارِسُ النُّعْمَانِ عَمِّي وَخَالِي الْبِشْرُ بَشْرُ بَنِي هَلَالٍ

1 العذيب : موضع قرب القادسية .

2 ديوانه : 30 .

3 ديوان الفرزدق (صادر) : 1 : 201 .

4 ميسان : كورة بين البصرة وواسط . وعدائه : زمانه .

5 المثل «به لا بظطي (بالصرائم) أغفرا» : في الدررة الفاخرة 2 : 391 ومجمع الميداني 1 : 190 ومستقصى الزمخشري 2 : 16 وجمهرة العسكري 2 : 207 ، ويضرب للشمامة . والصريمة (الصرائم) : موضع . وأغفر : ليس بالشديد البياض أو في بياضه حمرة .

6 ديوانه : 68 .

7 الديوان :

والبائسي بنو عدس بن زيد وخالي البشر بشر بني هلال

وشريح فارس النعمان جدي ونازلها إذا دعيت نزال

وقاتل خاله . . .

ديوانه : 60 ، 63 .

وَقَاتِلْ خَالَهُ بِأَبِيهِ مَنْ سَمَاعَةَ لَمْ يَبِعْ حَسَبًا بِمَالٍ
 وَأَخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَزْبُئِيلُ عَنْ عَمْرٍو بْنِ أَبِي عَمْرٍو ، عَنْ أَبِيهِ بِمَثَلِ هَذِهِ الْحِكَايَةِ ،
 وَزَادَ فِيهَا ، قَالَ : فَتَكَافَأَ وَاتَّقَاهُ الْفَرَزْدَقُ أَنْ يُعَيَّنَ عَلَيْهِ جَرِيرًا ، وَاتَّقَاهُ مَسْكِينٌ أَنْ يُعَيَّنَ عَلَيْهِ عَبْدُ
 الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ . وَدَخَلَ شَيْوْخُ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ وَبَنِي مُجَاشِعٍ ، فَتَكَافَأَ .
 وَأَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ دَمَازُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ أَبِي
 عَمْرٍو قَالَ : قَالَ الْفَرَزْدَقُ : نَجَوْتُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ لَا أَخَافُ بَعْدَهَا شَيْئًا : نَجَوْتُ مِنْ زِيَادٍ
 حِينَ طَلَبَنِي ، وَنَجَوْتُ مِنْ ابْنِي رُمَيْلَةَ وَقَدْ نَذَرْتُ دَمِي وَمَا فَاتَهُمَا أَحَدٌ طَلَبَاهُ قَطُّ ، وَنَجَوْتُ مِنْ
 مَهَاجَةِ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ ؛ لِأَنَّهُ لَوْ هَجَانِي اضْطَرَّنِي أَنْ أَهْدِمَ شَطْرَ حَسْبِي وَفَخْرِي ، لِأَنَّهُ مِنْ
 بُجْبُوْحَةِ نَسْبِي وَأَشْرَافِ عَشِيرَتِي ، فَكَانَ جَرِيرٌ حِينَئِذٍ يَنْتَصِفُ مِنِّي بِيَدِي وَلِسَانِي .
 [أشعر ما قيل في الغيرة]

أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ عَنْ أَبِي عِكْرَمَةَ عَامِرِ بْنِ
 عِمْرَانَ عَنْ مَسْعُودِ بْنِ بِشْرِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ : أَشْعَرُ مَا قِيلَ فِي الْغَيْرَةِ قَوْلُ مَسْكِينِ
 الدَّارِمِيِّ¹ :
 [من المتقارب]

أَلَا أَيُّهَا الْغَائِرُ الْمُسْتَشِيهِ	طُ فِيمَ تَغَارُ إِذَا لَمْ تُغَرَّ
فَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا خَفَّتْهَا	وَمَا خَيْرُ عَرَسٍ إِذَا لَمْ تُرَزَّ ²
تَغَارُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَنْظُرُوا	وَهَلْ يَفْتِنُ الصَّالِحَاتِ النَّظْرُ
وَأَنْتِي سَأَخْلِي لَهَا بَيْتَهَا	فَتَحْفَظُ لِي نَفْسَهَا أَوْ تَذُرُ
إِذَا اللَّهُ لَمْ يُعْطِنِي حُبَّهَا	فَلَنْ يُعْطِيَ الْحُبَّ سَوْطُ مُمْرٍ ³

[معاوية يفرض له بعد تردد]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُرَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَبِي سَعْدٍ قَالَ :
 حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَالِكِ الْخُرَاعِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَيُّوبُ بْنُ أَبِي
 أَيُّوبِ السَّعْدِيِّ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ مَسْكِينُ الدَّارِمِيِّ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَسَأَلَهُ أَنْ يَقْرَضَ لَهُ فَأَبَى عَلَيْهِ ، وَكَانَ
 لَا يَقْرَضُ إِلَّا لِلْيَمَنِ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ مَسْكِينٌ وَهُوَ يَقُولُ⁴ :
 [من الطويل]

1 ديوانه : 40-41 .

2 الديوان : وما خير بيت إذا لم يزر .

3 حُبَّهَا فِي الدِّيَّانِ : وَدَهَا . وَسَوْطُ مُمْرٍ : سَوْطُ مَفْتُولٍ فَتَلًا شَدِيدًا .

4 ديوانه : 29 . وَقَدْ أَصْبَحَتْ آيَاتُ مَسْكِينِ الدَّارِمِيِّ هَذِهِ أَمْثَالًا (انظر مجمع الميداني 1 : 23 و 2 : 404

وفصل المقال : 269 ومستقصى الزمخشري 2 : 392 .

أَحَاكَ أَحَاكَ إِنْ مَنْ لَا أَحَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بغيرِ سِلَاحِ
 وَإِنْ ابْنَ عَمِّ الْمَرْءِ فَاعْلَمْ جَنَاحَهُ وَهَلْ يَنْهَضُ الْبَازِي بغيرِ جَنَاحِ
 وَمَا طَالِبُ الْحَاجَاتِ إِلَّا مَغْرَرٌ وَمَا نَالَ شَيْئاً طَالِبٌ كَجَنَاحِ

قال السعديّ: فلم يزل معاوية كذلك حتى عزّت اليمن وكثرت، وضعضعت عدنان، فبلغ معاوية أن رجلاً من أهل اليمن قال يوماً: لَهَمَمْتُ أَلَا أَدَعُ بِالشَّامِ أَحَدًا مِنْ مَضَرَ، بَلْ هَمَمْتُ أَلَا أَحُلُّ جَبوتي حتى أُخْرَجَ كُلُّ زِراريِّ بِالشَّامِ، فبَلَّغْتَ معاويةَ، ففرض من وقته لأربعة آلاف رجل من قيس سوى خندف، وقَدِمَ على تَفِيقَةَ¹ ذلك عطارِد بن حاجب على معاوية، فقال له: ما فعل الفتى الدارميُّ الصبيحُ الوجهُ الفصيحُ اللسان؟ يعني مسكيناً، فقال: صالح يا أمير المؤمنين. فقال: أعلمه أنتي قد فرضت له في شرف العطاء وهو في بلاده؛ فإن شاء أن يقيم بها أو عندنا فليفعل، فإن عطاءه سيأتيه، وبشره أنتي قد فرضت لأربعة آلاف من قومه من خندف؛ قال: وكان معاوية بعد ذلك يُغزِي اليمنَ في البحر، ويُغزِي قيساً في البرِّ، فقال شاعر اليمن:

أَلَا أَيُّهَا الْقَوْمُ الَّذِينَ تَجَمَّعُوا بَعَكَا أَنْاسُ أَنْتُمْ أَمْ أَبَاعُرُ
 أَتَرَكَ قَيْسٌ آمِنِينَ بدارِهِمْ وَنَرَكَبُ ظَهْرَ الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ زَاخِرُ
 فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَسَائِلُ أَهْمَدَانُ يُحْمَى ضَيْمِهَا أَمْ يُحَابِرُ
 أَمْ الشَّرَفِ الْأَعْلَى مِنْ آوَلَادِ جَمِيرِ بَنُو مَالِكٍ إِذْ تَسْتَمِرُّ الْمَرَاتِرُ²
 أَلْوَصَى أَبُوهُمْ بَيْنَهُمْ أَنْ تَوَاصَلُوا وَأَوْصَى أَبُوكُمْ بَيْنَكُمْ أَنْ تَدَابَرُوا

قال، ويقال: إن النجاشي قال هذه الأبيات.

أخبرني بذلك عبد الله بن أحمد بن الحارث العدوي عن محمد بن عائد عن الوليد بن مسلم عن إسماعيل بن عيَّاش وغيره، قالوا: فلما بلغت هذه الأبيات معاوية بعث إلى اليمن فاعتذر إليهم، وقال: ما أغزيتكم البحر إلا لأنِّي أتيمن بكم، وأنَّ في قيس نكداً وأخلاقاً لا يحتملها الثغر، وأنا عارف بطاعتكم ونصحكم. فأما إذ قد ظننتم غير ذلك فأنا أجمع فيه بينكم وبين قيس فتكونون جميعاً فيه وأجعل الغزو فيه عُقباً³ بينكم، فرضوا فعل ذلك فيما بعد.

1 تَفِيقَةُ ذلك: على حينه وزمانه.

2 تستمر المراتر: تستحکم العزائم.

3 عقب: جمع عقبة، وهي النوبة.

[تمثل بشر بن مروان بأبياته]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال : حدَّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال : حدَّثني مصعب بن عبد الله قال : وحدَّثني زبير عن عمّه قال : كان أصغر ولد مروان في حجر ابنه عبد العزيز بن مروان ، فكتب عبد العزيز إلى بشر كتاباً ، وهو يومئذ على العراق ، فورد عليه وهو ثمل ، وكان فيه كلام أحفظه ، فأمر بشر كاتبه فأجاب عبد العزيز جواباً قبيحاً ، فلما ورد عليه عليم أنّه كتبه وهو سكران ، فجفاه وقطع مكاتبه زماناً . وبلغ بشراً عتبه عليه ، فكتب إليه : لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ، ولم يكن لك في قبوله مني الفضل . ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمنت لزدت فيه ، وبقيّة الأكاير على الأصغر من شيم الأكارم . ولقد أحسن مسكين الدارمي حين يقول :

أخاك أخاك إن من لا أخأ له كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وإن ابن عمّ المرء فاعلم جناحه وهل ينهض البازي بغير جناح

قال : فلما وصل كتابه إلى عبد العزيز دمعت عينه ، وقال : إن أخي كان منتشياً ولولا ذلك لما جرى منه ما جرى ، فسألوا عمّن شهد ذلك المجلس ؛ فسئل عنهم ، فأخبر بهم ، فقبل عذره ، وأقسم عليه ألاّ يعاشر أحداً من ندمائته الذين حضروا ذلك المجلس ، وأن يعزل كاتبه عن كتابته ، ففعل .

[الثلاث التي نجا منها الفرزدق]

أخبرني محمد بن الحسين الكندي خطيب القادسيّة قال : حدَّثنا عمر بن شبة عن أبي عبدة عن أبي عمرو قال : كان الفرزدق يقول : نجوت من ثلاث أرجو ألاّ يصيبني بعدهن شرّ : نجوت من زياد حين طلبني وما فاته مطلوب قطّ ، ونجوت من ضربة رثاب بن رُميلة أبي البذل فلم تقع في رأسي ، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي . ولو هاجيته لحال بيني وبين بيت بني عمّي ، وقطع لساني عن الشعراء .

[يفتخر بسواده ونسبه]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدَّثنا أبو العيناء عن الأصمعيّ قال : خطب مسكين الدارمي فتاة من قومه فكرهته لسواد لونه وقلة ماله ، وتزوَّجت بعده رجلاً من قومه ذا يسار ليس له مثل نسب مسكين ، فمرّ بهما مسكين ذات يوم ، وتلك المرأة جالسة مع زوجها ، فقال² :

[من الرمل]

1 بقية : إبقاء .

2 ديوان مسكين : 22-24 .

أنا مسكينٌ لِمَنْ يعرفني
 مَنْ رأى ظيباً عليه لؤلؤٌ
 أكَسَبَتْهُ الْوَرِقُ الْبَيْضُ أَباً
 رَبٌّ مَهْزُولٌ سَمِينٌ بَيْتُهُ
 أَصْبَحَتْ تَرْزُقُ مِنْ شَحْمِ الذُّرَا
 لَا تَلْمَهَا إِنَّمَا مِنْ نِسْوَةٍ
 كَشْمُوسِ الْخَيْلِ يَدُو شَعْبُهَا
 لَوْنِي السُّمْرَةَ أَلْوَانُ الْعَرَبِ
 وَاضِحَ الْخَدَيْنِ مَقْرُوناً بَضْبُ
 وَلَقَدْ كَانَ وَمَا يُدْعَى لِأَبِ
 وَسَمِينِ الْبَيْتِ مَهْزُولُ النَّسْبِ
 وَتَخَالَ اللَّوْمُ ذُرّاً يُتَهَبُ¹
 صَخِيَاتٍ مِلْحُهَا فَوْقَ الرُّكْبِ²
 كَلَّمَا قِيلَ لَهَا هَالٌ وَهَبٌ³

[يأمره يزيد أن يرشحه للخلافة في أبيات وينشدها في مجلس أبيه]

أخبرني محمد بن مَزِيد قال : حَدَّثَنِي حَمَادُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ
 الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عِيَّاشٍ قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ يُؤَثِّرُ مَسْكِيناً الدَّارِمِيَّ ،
 وَيَصِلُهُ وَيَقُومُ بِحَوَائِجِهِ عِنْدَ أَبِيهِ . فَلَمَّا أَرَادَ مَعَاوِيَةَ الْبَيْعَةَ لِيَزِيدَ تَهَيَّبَ ذَلِكَ وَخَافَ أَلَّا يَمَالَهُ
 عَلَيْهِ النَّاسُ ، لِحُسْنِ الْبَقِيَّةِ فِيهِمْ ، وَكَثْرَةِ مَنْ يُرَشِّحُ لِلْخِلَافَةِ ، وَبَلَغَهُ فِي ذَلِكَ ذَرْءٌ⁴ كَرِهَهُ
 مِنْ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ . فَأَمَرَ يَزِيدُ مَسْكِيناً أَنْ يَقُولَ أَبِيَّاتاً
 وَيُنشِدهَا مَعَاوِيَةَ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا كَانَ حَافِلاً وَحَضْرَهُ وَجُوهَ بَنِي أُمِيَّةَ ، فَلَمَّا اتَّفَقَ ذَلِكَ دَخَلَ
 مَسْكِينٌ إِلَيْهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ وَابْنُهُ يَزِيدُ عَنْ يَمِينِهِ وَبَنُو أُمِيَّةَ حَوْلِيهِ وَأَشْرَافُ النَّاسِ فِي مَجْلِسِهِ ،
 فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ⁵ :

إِنْ أَدْعَ مَسْكِيناً فَإِنِّي ابْنُ مَعْشَرٍ
 إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا
 وَهَاجِرَةٌ ظَلَّتْ كَأَنَّ ظَبَاءَهَا
 إِذَا مَا اتَّقَتْهَا بِالْقُرُونِ سَجُودٌ
 مِنَ النَّاسِ أَحْمِي عَنْهُمْ وَأَذُودٌ
 تُثِيرُ الْقَطَا لَيْلاً وَهَنَّ هُجُودٌ

صوت

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد؟

- 1 الذرى : أعلى السنام . وفي الديوان : تتفل من شحم الذرى .
- 2 المثل : «ملحه على ركبته» في مجمع الميداني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 232 . وهو مثل يضرب للذي يغضب من كل شيء ويكون سيء الخلق .
- 3 هال وهب : لفظان لجزر الخيل .
- 4 ذرة : الشيء .
- 5 ديوان مسكين : 31-34 .

بَنِي خَلْفَاءِ اللَّهِ مَهْلًا فَإِنَّمَا يُيَوِّئُهَا الرَّحْمَنُ حَيْثُ يَرِيدُ
 إِذَا الْمُنْبَرُ الْغَرْبِيُّ خَلَاهُ رَبُّهُ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ
 الْغِنَاءَ لِمَعْبَدٍ ثَقِيلٍ أَوَّلُ بِالْبِنْصَرِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ بَانَةَ :

عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالْجَدُّ صَاعِدُ لِكُلِّ أَنْسِ طَائِرٍ وَجُدُودُ
 فَلَا زَلَّتْ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبًا وَلَا تَزَلُ وَفُودٌ تُسَامِيهَا إِلَيْكَ وَفُودُ
 وَلَا زَالَ بَيْتَ الْمَلِكِ فَوْقَكَ عَالِيًا تُشِيدُ أَطْنَابَ لَهُ وَعَمُودُ
 قُدُورِ ابْنِ حَرْبٍ كَالْجَوَابِيِّ وَتَحْتَهَا أَثَافٍ كَأَمْثَالِ الرِّثَالِ رُكُودُ¹

فقال له معاوية : نظرت فيما قلت يا مسكين ، ونستخير الله . قال : ولم يتكلم أحد من بني أمية في ذلك إلا بالإقرار والموافقة ، وذلك الذي أُراده يزيد ليعلم ما عندهم ، ثم وصله يزيد ووصله معاوية فأجزلا صلته .

[مغن يغير شطربيت]

أخبرني محمد بن خلف بن قال : حدثنا العنزي قال : حدثنا أبو معاوية بن سعيد بن سالم قال : قال لي عقيد : غنيت الرشيد :

إِذَا الْمُنْبَرُ الْغَرْبِيُّ خَلَاهُ رَبُّهُ

ثُمَّ فَطِنْتُ لَخَطِي ، وَرَأَيْتُ وَجْهَ الرَّشِيدِ قَدْ تَغَيَّرَ ، قَالَ : فَتَدَارَكْتَهَا وَقَلْتُ :

فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُحْسِنِينَ عَقِيدُ

فَطْرِبَ ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ، بِحَيَاتِي قَلُ :

فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيدُ

فوالله لأنت أحق بها من يزيد بن معاوية ، فتعاضمت ذلك ، فحلف لا أغنيه إلا كما أمر ، ففعلت ، وشرب عليه ثلاثة أرتال ، ووصلني صلة سنية .

[عَلَقْتُ امْرَأَتَهُ عَلَى شَعْرِهِ فَضْرِبَهَا]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : كَانَتْ لِمُسْكِينِ الدَّارِمِيِّ امْرَأَةٌ مِنْ مَنَقَرٍ ، وَكَانَتْ فَارَكًا² كَثِيرَةَ الْخِصُومَةِ وَالْمُمَاطَةِ³ ،

1 الجوابي : جمع جابية ، وهي الحوض الذي يجمع فيه الماء للإبل . والرثال : جمع رأل ، وهو ولد النعام .

2 الفارك : المبخضة زوجها .

3 المماطة : المنازعة والمشادة .

فجازت به يوماً وهو ينشد قوله في نادي قومه¹ .
 [من الكامل]
 إن أدع مسكيناً فما قصرتُ قَدْرِي بيوتُ الحسيِّ والجُدْرُ
 فوقفتُ عليه تسمع حتى إذا بلغ قوله :
 ناري ونارُ الجارِ واحدةٌ وإليه قبلي تُنزلُ القَدْرُ

فقال له : صدقت والله ، يجلس جارك فيطبخ قدره ، فتصطلي بناره ، ثم ينزلها فيجلس يأكل وأنت بجذائه كالكلب ، فإذا شبع أطعمك ، أجلٌ والله ، إن القدرَ لتنزلُ إليه قبلك ، فأعرض عنها ، ومرّ في قصيدته حتى بلغ قوله :

[من الكامل]
 ما ضرَّ جاراً لي أجاوره ألا يكونَ لبيته سترُ
 فقالت له : أجل ، إن كان له ستر هتكته ، فوثب إليها يضربها ، وجعل قومه يضحكون
 منهما . وهذه القصيدة من جيد شعره .

صوت

[من البسيط]
 يا فرحتنا إذ صرّفنا أوجه الإبل نحو الأجابة بالإزعاج والعجل
 نحثنُ وما يؤتينا من دابٍ لكنّ للشوقِ حثّاً ليس للإبل
 الشعر لأبي محمد اليزيدي² ، والغناء لسليمان ، ثقل أول بالبصير عن عمرو ،
 والمشامي .

1 ديوان مسكين : 43-45 .

2 شعر اليزيديين (غياض) : 69 .

[420] - أخبار أبي محمد ونسبه¹

أبو محمد يحيى بن المبارك ، أحد بني عدي بن عبد شمس بن زيد مناة بن تميم .
سمعتُ أبا عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي يذكر ذلك ، ويقول :
نحن من رهط ذي الرمة .

[تسميته اليزيدي]

وقيل : إنهم موالي بني عدي ، وقيل لأبي محمد اليزيدي لأنه كان فيمن خرج مع
إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة ، ثم توارى زماناً حتى استتر أمره ، ثم اتصل بعد ذلك
ببيزيد بن منصور خال المهدي ، فوصله بالرشيد ، فلم يزل معه . وأدب المأمون خاصة من
ولده ، ولم يزل أبو محمد وأولاده منقطعين إليه وإلى ولده ، ولهم فيهم مدائح كثيرة جياذ .

[مكانته]

وكان أبو محمد عالماً باللغة والنحو ، راويةً للشعر ، متصرفاً في علوم العرب . أخذ عن أبي
عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب النحوي وأكابر البصريين ، وقرأ القرآن على أبي عمرو بن
العلاء ، وجود قراءته ورواها عنه ، وهي المعول عليها في هذا الوقت . وكان بنوه جميعاً في مثل
منزلة من العلم والمعرفة باللغة ، وحسن التصرف في علوم العرب . ولسائرهم علم جيد .

[أولاده الشعراء]

ونحن نذكر بعد انقضاء أخباره أخبار من كان له شعر وفيه غناء من ولده ، إذ كنا قد
شرطنا ذكر ما فيه صنعة دون غيره .

فمنهم محمد بن أبي محمد ، وإبراهيم بن أبي محمد ، وإسماعيل بن أبي محمد . كل هؤلاء

1 ترجمة أبي محمد اليزيدي في طبقات ابن المعتز : 273-275 والورقة لابن الجراح : 27 ومراتب النحويين :
108 وطبقات اليزيدي : 61 وتاريخ بغداد 14 : 146 وتاريخ أبي المحاسن : 113 والمعارف : 544-597
وأخبار النحويين البصريين : 40 وتهذيب الأزهرى 1 : 17 ومعجم المرزباني : 487 ومعجم الأدباء
(عباس) : 2827-2828 ونور القبس : 80-87 والفهرست : 56 وإنباء الرواة 4 : 25-35 ونزهة
الألباء : 53 وابن خلكان 6 : 183-191 وعبر الذهبي 1 : 38 وسير الذهبي 9 : 562 ومراة الجنان 2 : 3
وطبقات ابن الجزري 2 : 375 والنجوم الزاهرة 2 : 173 وبغية الوعاة 2 : 340 والشذرات 2 : 4 والبلغة :
284 وخزانة البغدادي 11 : 73-76 وشرح الحماسة للمرزوقي : 1549 وغاية النهاية 2 : 375 . وقد
جمع د . محسن غياض شعر أبي محمد اليزيدي وأولاده وأحفاده تحت عنوان «شعر اليزيديين» (بغداد -
1972) .

ولده لصلبه ، ولكلهم شعر جيد .

ومن ولد ولده أحمد بن محمد بن أبي محمد ، وهو أكبرهم ، وكان شاعراً راوية عالماً .
ومنهم عبيد الله والفضل ابنا محمد بن محمد ، وقد روي عن أكابر أهل اللغة ، وحُمل عنهما
علم كثير . وآخر من كان بقي من علماء أهل هذا البيت أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن
أبي محمد ، وكان فاضلاً عالماً ثقة فيما يرويه ، منقطع القرين في الصدق وشدة التوقي فيما ينقله .
وقد حملنا نحن عنه وكثير من طلبة العلم ورواته علماً كثيراً ، فسمعنا منه سماعاً جمّاً . فأما
ما أذكر هاهنا من أخبارهم فإني أخذته عن أبي عبد الله عن عميه عبيد الله والفضل ، وأضفت
إليه أشياء أخر يسيرة أخذتها عن غيره ، فذكرت ذلك في مواضعه ، ورويته عن أهله .
[المأمون يُبين رأسي أسيرين]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثني عمي عبيد الله عن عمه إسماعيل بن أبي
محمد قال : حدثني أبي قال : كان الرشيد جالساً في مجلسه فأتني بأسير من الروم ، فقال
لِدُفَافَةَ الْعَبْسِيِّ : قم فاضرب عنقه ، فضربه فبنا سيفه . فقال لابن فليح المدني : قم فاضرب
عنقه ، فضربه فبنا سيفه أيضاً . فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! تقدمتني ضربة عبسية . فقال
الرشيد للمأمون ، وهو يومئذ غلام : قم ، فذاك أبوك ، فاضرب عنقه ، فقام فاضرب العُجج ،
فأبان رأسه ، ثم دعا بأخر فأمره بضرب عنقه ، فضربه فأبان رأسه ، ونظر إلي المأمون نظر
مستطيق ، فقلت¹ :

أبقى دُفَافَةَ عَاراً بَعْدَ ضَرْبَتِهِ عِنْدَ الْإِمَامِ لِعَبْسٍ آخِرِ الْأَبْدِ
كَذَلِكَ أَسْرَتُهُ تَبُو سِيوفَهُمْ كَسِيفٍ وَرِقَاءٍ لَمْ يَقْطَعْ وَلَمْ يَكْدِ²
مَا بَالُ سَيْفِكَ قَدْ خَاتَمَكَ ضَرْبُهُ وَقَدْ ضَرَبْتَ بِسَيْفٍ غَيْرِ ذِي أَوْدِ
هَلَا كَضْرِبَةِ عَبْدِ اللَّهِ إِذْ وَقَعَتْ فَفَرَّقَتْ بَيْنَ رَأْسِ الْعَلْجِ وَالْجَسَدِ

[الأحوزي يفضل على الكسائي]

قال إسماعيل بن أبي محمد في أخباره : كان حمويه ابن أخت الحسن الحاجب وسعيد
الجوهري واقفين ، فذكرا أبا محمد ، يعني أباه والكسائي ، ففضل حمويه الكسائي على أبي
محمد ، وفضل سعيد الجوهري أبا محمد على الكسائي .
وطال الكلام بينهما إلى أن تراضيا برجل يحكم بينهما ، فتراهنا على أن من غلب أخذ برذون
صاحبه ، فجعلنا الحكم بينهما أبا صفوان الأحوزي ، فلما دخل سألاه فقال لهما : لو ناصح

1 شعر اليزيديين : 47 عن الأغاني .

2 هو ورقاء بن زهير العبسي ، وقد بنا سيفه عن خالد بن جعفر بن كلاب قاتل أبيه .

الكسائي نفسه لصار إلى أبي محمد وتعلم منه كلام العرب ، فما رأيتُ أحداً أعلم منه به ، فأخذ
الجوهري دأبه حمويه . وبلغ أبا محمد اليزيدي هذا الخبر فقال¹ : [من السريع]

يا حمويه اسمع ثناً صادقاً فيك وما الصادق كالكاذب
يا جالب الخزي على نفسه بُعداً وسحقاً لك من جالب
إن فخر الناسُ آبائهم أتيتهم بالعجب العاجب
قلت وأذغمتُ أباً خاملاً أنا ابنُ أخت الحسن الحاجب

[يهجو سلم الخاسر]

قال إسماعيل : وحدثنني أبي قال : كنتُ ذاتَ يوم جالساً أكتبُ كتاباً ، فنظر فيه سلمُ
الخاسر طويلاً ، ثم قال² : [من الخفيف]

أير يحيى أخط من كف يحيى إن يحيى بأيره لخطوطُ
فقال أبو محمد يحيى :

أم سلمٌ بذاك أعلمُ شيء إنها تحت أيره لضرورُ³
ولها تارةٌ إذا ما علاها أزملٌ من وداقها وأطيطُ⁴
أم سلمٌ تعلمُ الشعرَ سلماً حبذا شعر أمك المنقوطُ
ليت شعري ما بال سلم بن عمرو كاسف البال حين يُذكر لوطُ
لا يصلّي عليه فيمن يصلّي بل له عند ذكره تبيطُ

فقال له سلم : ويحك ما لك خبثت ؟ أي شيء دعاك إلى هذا كله ؟ فقال أبو محمد :
بدأت فانتصرتُ ، والبادي أظلم⁵ .

[يجيب سلم الخاسر إلى طلبه الهجاء]

قال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي حدثني عبيد الله وعمي أبو القاسم عن أبي علي
إسماعيل قال : قال لي أبي : قال سلم الخاسر يوماً : يا أبا محمد ، قل أبياتاً على قول امرئ القيس :

رُبَّ رامٍ من بني تُعلٍ

1 شعر اليزيديين : 34 .

2 لم يرد البيتان في مجموع شعره .

3 شعر اليزيديين : 59 .

4 أزمل : صوت . ووداق : شبق . وأطيط : أنين .

5 المثل «البادي أظلم» في الدررة الفاخرة 2 : 454 وجمهرة العسكري 1 : 230 ومجمع الميداني 2 : 401

ومستقصى الزمخشري 2 : 388 .

ولا أبالي أن تهجونني فيها ، فقلت¹ :

رُبَّ مغمومٍ بعافيةٍ	غَمَطَ النِّعماءِ من أشره
مُورِدٌ أمراً يُسرّ به	فرأى المكره في صدره
وامرئٍ طالت سلامته	فرماه الدهرُ من غيره
بسيهامٍ غيرِ مُشوية	نقضتُ منه عُرا مريرة ²
وكذاك الدهرُ مختلفٌ	بالتقى حالين من عُصره
يخلط العُسرُ بميسرة	ويَسارُ المرءِ في عُصره
عقّ سلمُ أمه سفهاً	وأبا سلمٍ على كبره
كلُّ يومٍ خلفه رجلٌ	راحمٌ يسعى على أثره
يُولجُ الغُرمولُ سبتهُ	كولُوجِ الضَّبِّ في جُحره

فانصرف سلمٌ وهو يشتمه ويقول : ما يحلّ لأحد أن يكلمك .

[ينظم على قافية هائين]

قال : وقال لي يوماً أبو حنش الشاعر : يا أبا محمد ، قل أبياتاً قافيتها على هائين ، فقلتُ له : على أن أهجوك فيها ، فقال نعم ، فقلت³ :

[من المنسرح]

قلتُ ونفسي جَمٌّ تأوَّهها	تصبو إلى إلفها وأندهها ⁴
سقياً لصنعاء لا أرى بلداً	أوطنه الموطنون يشبهها
خصباً وحسناً ولا كبهجتها	أعذى بلادٍ عذاً وأنزهها ⁵
يعرفُ صنعاءَ مَنْ أقامَ بها	أرغدُ أرضٍ عيشاً وأرفهها
أبلغُ حضيراً عني أبا حنش	عائرةً نحوَه أوجهها
تأتيه مثلُ السهامِ عامدة	عليه مشهورةٌ أذهدهها ⁶

1 شعر الزبيديين : 57-58 .

2 غير مشوية : لا تخطيء وتصيب المقتل .

3 شعر الزبيديين : 88-89 .

4 أندهها : أزجرها .

5 أعذى : أطيب هواء .

6 دهده الحجر : دحرجه . والمعنى هنا : أرسلها .

كُنَيْتُهُ طَرْحُ نُونٍ كُنَيْتِهِ إِذَا تَهَجَّيْتَهَا سَفَقَهَا
يريد إسقاط النون من أبي حنشل حتى يكون أبا حشل.

[شعر في مضيئه]

قال أبو عبد الله : وحدثني عمي قال : حدثني الطَّلحي ، وكان له عِلْمٌ وأدبٌ ، قال :
اجتمعت مع أبي محمد عند يونس بن الربيع ، وكان قد عادنا فأقمنا عنده ، فانفق مجلسي
إلى جنب مجلس أبي محمد ؛ فقام يونس لحاجته ، وكان جميلاً وسيماً ، فالتفت إلي
اليزيدي فقال¹ :

وفنى كالقناة في الطرفِ منه إن تأملت طرفه استرخاه
فإذا الراحُ المُشيعُ تلاه وضع الرمحُ منه حيث يشاء

[يهجو شخصاً يسأله بتنت]

قال : وحدثني عمي عن عمه إسماعيل عن أبي محمد قال : كان قتيبة الخراساني صاحبُ
عيسى بن عمر يأتيني فيسألني عن مسائل كالتنت ، فإذا أجبته عنها انصرف منكسراً ، وكان
أفطس ، فقلت له يوماً² :

أَمْخَبِرِي أَنْتِ يَا قَتِيْبَةُ عَنْ أَنْفِكَ أَمْ أَنْتِ كَاتِمَةٌ خَبْرَةٌ ؟
بِأَيِّ جُرْمٍ وَأَيِّ ذَنْبٍ تَرَى سَوَتْ بِخَدَّيْكَ أَنْفَكَ الْبَقْرَةَ
فصيرتُه كَفَيْشَةَ نَبْتَتْ فِي وَجْهِ قِرْدٍ مَفْضُوضَةِ الْكَمْرَةَ
قد كان في ذلك شاغلٌ لك عن تفتيشِ بابِ العرفانِ والنكرة
وقلت فيه أيضاً³ :

[من الوافر]

إذا عافى مَلِيكَ النَّاسِ عَبْدًا فلا عافاك رُبُّكَ يَا قَتِيْبَةُ
طلبتَ النحوَ مذ أن كنتَ طفلاً إلى أن جَلَلْتَكَ قُبْحَتْ شِيْبَةُ
فما تزدادُ إلاَّ النقصَ فيه وأنتَ لدى الإيابِ بِشَرِّ أَوْبَةٍ
وكنتَ كغائبٍ قد غابَ حيناً فظالَ مُقَامُهُ وَأَتَى بِخِيْبَةٍ

[يلفن قتيبة غربياً فاحشاً]

قال أبو محمد : كان عيسى بنُ عمر أعلمَ النَّاسِ بالغريبِ ، فأتاني قتيبة الخراساني

1 شعر اليزيديين : 29 .

2 شعر اليزيديين : 56 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 40 .

هذا ، فقال لي : أفدني شيئاً من الغريب أعاني به عيسى بن عمر ، فقلت له : أجودُ المساويك عند العرب الأراك ، وأجود الأراك عندهم ما كان مُتمثراً ، عُجارماً جيداً ، وقد قال الشاعر :

إذا استكّت يوماً بالأراكِ فلا يكن
سواكك إلا المتمثراً العُجارماً

يعني الأير . قال : فكتب قتيبة ما قلت له ، وكتب البيت ، ثم أتى عيسى بن عمر في مجلسه ، فقال : يا أبا عمر ، ما أجودُ المساويك عند العرب ؟ فقال : الأراك ، يرحمك الله . فقال له قتيبة : أفلا أهدي إليك منه شيئاً متمثراً عُجارماً ؟ فقال : أهديه إلى نفسك ، وغضب ، وضحك كلُّ من كان في مجلسه ، وبقي قتيبة متحيراً . فعلم عيسى أنه قد وقع عليه بلاءٌ ، فقال له : ويلك ! مَنْ فضحك وسخرَ منك بهذه المسألة ؟ ومَنْ أهلكك ودمرَ عليك ؟ قال : أبو محمد الزبيدي . فضحك عيسى حتى فحص برجله ، وقال : هذه والله من مزحاته وبلاياه . أراه عنك منحرفاً ، فقد فضحك . فقال قتيبة : لا أعاودُ مسألتَه عن شيءٍ .

[الخليل يصفه الورد]

حدّثني عمّي قال : حدّثني عبّيدُ الله بنُ محمدٍ الزبيديّ قال : حدّثني أخي أبو جعفر قال : سمعتُ جدّي أبا محمد يقول : صرّت يوماً إلى الخليل بن أحمد ، والمجلس غاصُّ بأهله ، فقال لي : هاهنا عندي ، فقلت : أضيّق عليك ، فقال : إن الدنيا بخدافيرها تضيقُ عن متباغضين ، وإن شيراً في شيرٍ لا يضيّقُ عن متحابّين . قال : وكان الخليل لأبي محمد صافي الوُدِّ .

[رأي علمين أحدهما في الآخر]

حدّثنا الزبيديّ قال : حدّثني عمّي عبّيدُ الله قال : حدّثني أخي أحمدُ قال : سمعتُ جدّي أبا محمد يقول : كنتُ ألقى الخليل بن أحمد ، فيقول لي : أحبُّ أن يُجمع بيني وبين عبد الله بن المقفّع ، وألقى ابن المقفّع فيقول : أحبُّ أن يُجمع بيني وبين الخليل بن أحمد . فجمعتُ بينهما ، فمرّ لنا أحسنُ مجلسٍ وأكثرهُ علماً ، ثم افترقنا ، فلقيتُ الخليل فقلتُ له : يا أبا عبد الرحمن ، كيف رأيت صاحبك ؟ قال : ما شئتُ من عِلْمٍ وأدبٍ ، إلا أنّي رأيتُ كلامه أكثرَ من عِلْمه ، ثم لقيتُ ابن المقفّع فقلت : كيف رأيتَ صاحبك ؟ فقال : ما شئتُ من عِلْمٍ وأدبٍ ، إلا أنّ عقله أكثرُ من علمه .

[بينه وبين الكسائي]

حدّثنا الزبيديّ قال حدّثني عمّي عبّيدُ الله قال : حدّثني أخي أحمدُ بنُ محمدٍ قال : حدّثني أبي محمد بنُ أبي محمدٍ قال : قال لي أبو محمد : كنّا مع المهديّ ببَلدٍ في شهر رمضان قبل أن

يُستخْلَفُ بأربعة أشهر ، وكان الكسائيّ معنا ، فذكر المهديّ العربيّة وعنده شَيْبَةُ بن الوليد العبسيّ عمُّ دُفَافَة . فقال المهديّ : نَبَعْتُ إلى البيزديّ والكسائيّ ، وأنا يومئذٍ مع يزيد بن المنصور خال المهديّ ، والكسائيّ مع الحسن الحاجب . فجاءنا الرسولُ ، ففجئتُ أنا ، فإذا الكسائيّ على الباب قد سبقني . فقال : يا أبا محمد ، أعوذُ بالله من شرِّكَ ، فقلت : والله لا تُوتِي من قبلي حتى أوتى من قبلك .

فلَمَّا دخلنا عليه أقبل عليّ ، وقال : كيف نسبوا إلى البَحْرَيْنِ فقالوا : بَحْرَانِيّ ، ونسبوا إلى الحِصْنَيْنِ¹ فقالوا : حِصْنِيّ ولم يقولوا حِصْنَانِيّ كما قالوا بَحْرَانِيّ ؟ فقلت : أصلح الله الأمير ! لو أتهم نسبوا إلى البحرين فقالوا : بحريّ لم يعرف إلى البحرين نسبوا أم إلى البحر ؟ فلَمَّا جاءوا إلى الحصنين لم يكن موضع آخر يقال له : الحصن يُنسَبُ إليه غيرُهُما² فقالوا : حِصْنِيّ .

قال أبو محمد ، سمعتُ الكسائيّ يقول لعمر بن بزيع ، وكان حاضراً ، لو سألتني الأمير لأخبرته فيها بعلة هي أحسن من هذه . قال أبو محمد : قلت : أصلح الله الأمير ، إن هذا يزعم أنك لو سألته لأجاب بأحسن مما أجبتُ به . قال : فقد سألتُه . فقال الكسائيّ : لَمَّا نسبوا إلى الحصنين كانت فيه نونان ، فقالوا : حِصْنِيّ اجتزأ بإحدى النونين عن الأخرى ، ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة ، فقالوا : بَحْرَانِيّ . فقلتُ : أصلح الله الأمير ! فكيف تنسب رجلاً من بني جنان ؟ فإنه يلزمه على قياسه أن يقول : جنبي . إن في جنان نونين ، فإن قال ذلك فقد سوي بينه وبين المنسوب إلى الجنّ .

قال : فقال لي المهديّ وله : تناظرا في غير هذا حتى نسمع . فتناظرنا في مسائل حفظ فيها قولي وقوله إلى أن قلت له : كيف تقول : إن من خير القوم أو خيرهم نيّة زيد ؟ قال : فأطال الفكر لا يجيب . فقلتُ : لأن تجيب فتخطيء فتتعلّم أحسن من هذه الإطالة . فقال : إن من خير القوم أو خيرهم نيّة زيدا . قال : فقلت : أصلح الله الأمير ، ما رضي أن يلحن حتى لحن وأحال . قال : وكيف ؟ قلتُ : لرفعه قبل أن يأتي باسم إن ، ونصبه بعد رفعه .

فقال شَيْبَةُ بن الوليد : أراد بأو - بل ، فرفع هذا معنى . فقال الكسائيّ : ما أردتُ غير ذلك . فقلت : فقد أخطأ جميعاً أيها الأمير . لو أراد بأو - بل رفع زيدا ؛ لأنه لا يكون بل خيرهم زيدا . فقال المهديّ : يا كسائيّ ، لقد دخلت عليّ مع مسألته النحويّ وغيره ، فما رأيتُ كما أصابك اليوم . قال : ثم قال : هذان عالمان ، ولا يقضي بينهما إلا أعرابيّ فصيحٌ يُلقى عليه المسائل التي اختلفا فيها فيجيب . قال : فبعثت إلى فصيح من فصحاء الأعراب .

1 الحصنين : موضع وقلعة بنوحي الطائف .

2 هناك مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم (ياقوت) .

قال أبو محمد : وأطرقت إلى أن يأتي الأعرابي ، وكان المهديّ محباً لأخواله ، ومنصورُ بنُ يزيدَ بن منصورٍ حاضر ، فقلت : أصلح الله الأمير ! كيف ينشد هذا البيت الذي جاء في هذه الأبيات¹ :

يا أيّها السائلِ لأخبره
عمّن بصنعاء من ذوي الحسبِ
جميرُ ساداتها تُقرّ لها
بالفضل طراً ججاجع العربِ
وإنّ من خيرهم وأكرمهم
أو خيرهم نيّةً أبو كربِ

قال : فقال لي المهديّ : كيف تنشده أنت ؟ فقلت : أو خيرهم نيّةً أبو كرب على إعادة إنّه ، كأنّه قال : أو إنّ خيرهم نيّةً أبو كرب . فقال الكسائيّ : هو والله قالها الساعة . قال ، فنبسّم المهديّ ، وقال : إنك لتشهد له وما تدري . قال : ثم طلع الأعرابيّ الذي بعث إليه فألقيت عليه المسائل ، فأجاب فيها كلّها بقولي . فاستفزني السرور حتى ضربتُ بقلنسوتي الأرض ، وقلت : أنا أبو محمد . فقال لي شيبه : أتتكنّى باسم الأمير ؟ فقال المهديّ : والله ما أراد بذلك مكروهاً ، ولكنه فعل ما فعل للظفر ، وقد ، لعمري ، ظفر . فقلت : إن الله ، عز وجلّ ، أنطقك أيّها الأمير بما أنت أهله ، وأنطق غيرك بما هو أهله .

[هجاء شيبه بن الوليد]

قال : فلمّا خرجنا قال لي شيبه : أتخطّئني بين يدي الأمير ؟ أما لتعلمنّ ! قلت : قد سمعتُ ما قلت ، وأرجو أن تجد غبها ، ثم لم أصبح حتى كتبتُ رقاعاً عدّة ، فلم أدع ديواناً إلاّ دسستُ إليه رقعة فيها أبيات قلتها فيه ، فأصبح الناس يتناشدونها ، وهي² :

[من الخفيف]

عشٍ بجَدٍّ ولا يضرُّك نوْكُ
إنما عيش من ترى بالجُدودِ
عشٍ بجَدٍّ وكن هبنقة القي
سيّ نوْكا أو شيبه بن الوليد³
شيب يا شيب يا جدّي بني القعد
سقا ما أنت بالحليم الرشيدِ
لا ولا فيك خلّة من خلال ال
سخيرٍ أحرزتها لحزم وجودِ
غير ما أنتك المجيد لتقطيع
مع غناء وضرب دُفّ وعودِ
فعلى ذا وذاك يحمّلُ الدّه
مر مجيداً له وغير مجيدِ

1 شعر الزبيديين : 35 .

2 شعر الزبيديين : 45-46 .

3 انظر انتل : «أحمق من هبنقة» في الدرّة الفاخرة 1 : 135 ومجمع الميداني 1 : 217 وجمهرة العسكري 1 :

[هجاء خلف الأحمر]

قال : وقال أبو محمد الزبيدي يهجو خلفاً الأحمر أستاذ الكسائي ، أنشدني عمي
الفضل¹ :

زعم الأحمر المقيت علي والذي أمه تُقِرُّ بمقتبه
أنه علم الكسائي نحواً فلئن كان ذا كذاك فباسته

[الغساني لا يعينه فيستعين بجعفر]

وبهذا الإسناد عن أبي محمد قال : أمر لي الرشيد بمال وحضر شخصه إلى السن² ،
فأتيت عاصماً الغساني ، وكان أثيراً عند يحيى بن خالد ، فقلت له : إن أمير المؤمنين قد أمر لي
بمال ، وقد حضر من شخصه ما قد علمت ، فأحب أن تذكر أبا علي يحيى بن خالد أمره
ليعجله إلي . فقال : نعم ، ثم عدت بعد ذلك بيومين ، فقال لي يتفخّم في لفظه : ما أصبت
بحاجتك موضعاً . قال : قلت : فاجعلها منك ، أكرمك الله ، ببال .

فلما خرجت لحقني بعض من كان في المجلس ، فقال لي : يا أبا محمد ، إنني لأرأى بك أن
تأتي هذا الكلب أو تسأله حاجة . قلت : وكيف ؟ قال : سمعته يقول ، وقد وليت ، لو أن
بيدي دجلة والفرات ما سقيت هذا منهما شربة ، فقيل له : ولم ذاك ، أصلحك الله ، فإن له
قدراً وعِلماً ؟ قال : لأنه من مُضَرّ ، ما رأيت مُضَرّاً قطّ يحبّ اليمانية .

قال : فأحببت ألا أعجل ، فعُدت إليه من غد فقلت : هل كان منك ، أكرمك الله ، في
الحاجة شيء ؟ فقال : والله لكأنك تطلبنا بدين . فتحقق عندي ما بلغني عنه ، فقلت له : لا
قضى الله هذه الحاجة على يدك ، ولا قضى لي حاجة أبداً إن سألتكها ، والله لا سلّمت عليك
مبتدئاً أبداً ، ولا رددت عليك السلام إن بدأتني به . ونفضت ثوبي وخرجت .

فإنني لأسير وأفكر في الحيلة لحاجتي إذا براكب يركض حتى لحقني ، فقال : بعثني إليك أبو
علي يحيى بن خالد لتقف حتى يلحقك ، فرجعت مع رسوله إليه فلقيته ، وكان قريباً ، فسلمت
عليه ثم سايرته ، فقال لي : إن أمير المؤمنين أمرني أن أمرك بطلب مؤدّب لابنه صالح ، فإنني
أحدثك حديثاً حدثني به أبي خالد بن برمك : أن الحجاج بن يوسف أراد مؤدّباً لولده ، فقيل
له : ها هنا رجل نصراني عالم ، وها هنا مسلم ليس علمه كعلم النصراني ، قال : ادعوا لي المسلم .

1 شعر الزبيديين : 41 . وقد ذهب جامع الشعر إلى أن البيتين في علي بن المبارك (علي بن الحسن الأحمر) . غير أن
علياً هذا كان تلميذ الكسائي لا أستاذه (بغية الوعاة 2 : 158-159) ، وسيرد أنه كانت ثمة مهاجاة بين أبي
محمد الزبيدي وخلف الأحمر . ورواية صدر البيت الأول في معجم الأدياء (2487) : زعم الأحمر المقيت
لدينا . . .

2 السن : مدينة على دجلة فوق تكريت .

فلمّا أتاه قال : ألا ترى يا هذا أنا قد دللنا على نصرانيّ قد ذكروا أنّه أعلم منك ، غير أنّي كرهتُ أن أضمّ إلى ولدي من لا يبنّهم للصلاة عند وقتها ، ولا يدلّهم على شرائع الإسلام ومعلمه ؟ وأنت ، إن كان لك عقل ، قادر على أن تتعلّم في اليوم ما يُعلمه أولادي في جمعة ، وفي الجمعة ما يُعلّمهم في الشهر ، وفي الشهر ما يُعلّمهم في سنة . ثم قال لي يحيى : فينبغي يا أبا محمد أن نُؤثر الدّين على ما سواه . فقلت له : قد أصبتُ من أراضاه ، وذكّرت له الحسن بن المسور ، فضمّه إليه ، ثم سألتني : من أين أقبلت ؟ فأخبرته بخبر عاصم وما كان منه ، فقلت له : قد حضر هذا المسير ، ولست أدري من أي وجه أتقاضاه ؟ فضحك وقال : ولم لا تدري ؟ الق صديقك جعفرًا ، يعني ابنه ، حتى يكلم أمير المؤمنين أو يذكّرني حاجتك ، فقد تركته على المضى الساعة ، فانتثيت إلى جعفر وقلت فيه في طريقي¹ :

يا سائلي عمّا أخبره
عن جعفر كرمًا وعن شيمه
إن ابن يحيى جعفرًا رجل
سيط السماح بلحمه ودمه²
فعليه «لا» أبدأ محرمة
وكلامه وقف على نعمة
وترى مسابقه ليدركه
بمكان حدو النعل من قدمه

فلمّا دخلت إليه أخبرته الخبر ، وأنشدته الأبيات ، وأعلمته ما أمرني به أبوه ، فقال لي : قل بيتين تذكره فيهما إلى أن أجدد طهرًا واكتبهما حتى يكونا معي ، فأذكر بهما حاجتك ، فقلت : نعم يا سيدي ، وأخذت الدواة وكتبت³ :

أحقّ من أنجز موعوده
خليفة الله على خلقه
ومن له إرث نبي الهدى
بالحق لا يُدفع عن حقه
يُنسب في الهدى إلى هديه
برًا وفي الصدق إلى صدقه
ومن له الطاعة مفروضة
لائحة بالوحي في رقه
والراتق الفتق العظيم الذي
لا يقدرُ النَّاسُ على رتقه

قال : فأخذ الشعر ، ومضى إلى الرشيد في حاجتي وأقرأه إياه ، فصكّ إليّ بالمال عليه ، وقبضته بعد ذلك بيوم ، وأنشأت أقول في الغساني⁴ :

1 شعر الزيديين : 85 عن الأغاني .

2 سيط : خلط .

3 شعر الزيديين : 62 عن الأغاني .

4 شعر الزيديين : 78-79 عن الأغاني .

[من الطويل]

أَلَا طَرَقَتْ أَسْمَاءُ أُمُّ أَنْتَ حَالِمٌ
 إِذَا قِيلَ أَيْ النَّاسِ أَعْظَمُ جَفْوَةً
 دَعَى أَجَاءَتِهِ إِلَى اللُّؤْمِ دَعْوَةً
 شَهِيدِي عَلَى أَنْ لَيْسَ حَرًّا صَلِيبَةً
 صَفِيحَةً دَقَّاقَ أَبُوهُ شَبِيهَهُ
 أَعَاصِمُ خَلَّ الْمَكْرَمَاتِ لِأَهْلِهَا
 فَكَيْفَ تَنَالِ الدَّهْرَ مَجْدًا وَسُؤْدَدًا
 وَأَصْلَكَ مَدْخُولَ وَفَسَقَكَ ظَاهِرَ
 تُصَانِعُ غَسَانًا لِيُلْحَقَ فِيهِمْ
 فَإِنْ رَابَ رَيْبٌ أَوْ أَصَابَتْكَ شِدَّةٌ
 قَالَ : وَكَانَ اسْمُ أَبِيهِ سَلْثَى ، فَصَيَّرَهُ صَلْتًا² .

إِذَا عَاصِمًا يَوْمًا أُتِيَتْ لِحَاجَةٌ
 وَعَرَّضَ لَهُ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ بِأَمْرٍ
 وَإِلَّا فَلَا تَسْأَلُهُ مَا عِشْتَ حَاجَةٌ
 فَلَا تَلْقَهُ إِلَّا وَأَيْرَكَ قَائِمٌ
 وَضِيءٌ وَسِيمٌ أَثْقَلْتَهُ الْمَأْكَمُ³
 وَلَا تَبْكُهُ إِنْ أَعُولْتَهُ الْمَاتَمُ

[يعين الغساني على استرداد ضيعته]

قال : فلما حدثت ببني برمك ما حدث قبضت ضيعته في المقبوض من ضياع أسبابهم ، فصار إلي وكلمني في أمرها ، وسألني كلام الجوهري في ذلك ، فقلت له حتى ردت الضيعة عليه ، فجاءني يشكرني ، ويعتذر مما جرى من فعله المتقدم ، فقلت له : تناس ما مضى ، فلست ممن يكافىء على سوء أحداً .

[هجاه أبي عبيدة]

قال أبو محمد : كان أبو عبيدة يجلس في مسجد البصرة إلى سارية ، وكنت أنا وخلف الأحمر نجلس جميعاً إلى أخرى ، وكان أبو عبيدة من أعضه⁴ الناس للناس وأذكرهم لمثالبهم . فقال لأصحابه : أترون الأحمر واليزيدي إنما يجتمعان على الوقعة للناس وذكر

1 الجرمقاني : واحد الجرامقة ، قوم من العجم استقرّوا بالموصل .

2 الصلت : اللص .

3 المآكم : جمع مأكمة ، كنى بها عن الردف .

4 أعضه : كثير الأفك والبهتان .

مساويهم ؟ وبلغني ذلك وأنه قد رمانا بمذهبه ، فقلت لِخَلْفٍ : دَعِه ، فَأَنَا أَكْفِيكَه . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْأَذَانِ جِئْتُ أَنَا وَخَلْفٌ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَكَتَبْتُ عَلَى الْجِصِّ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ أَبُو عُبَيْدَةَ :

صَلَّى الْإِلَٰهَ عَلَى لُوطٍ وَشِيعَتِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ قَلْبًا بِاللَّهِ آمِينَ

قال : وَأَصْبَحَ النَّاسُ ، وَجَاءَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَجَلَسَ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مَا فَوْقَ رَأْسِهِ مَكْتُوبًا . وَأَقْبَلَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَى الْبَيْتِ وَيَضْحَكُونَ ، وَرَفَعَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ إِلَيْهِ ، فَخَجَلَ ، وَلَمْ يَزَلْ مَنكَسًا رَأْسَهُ حَتَّى انصَرَفَ النَّاسُ وَأَنَا وَخَلْفٌ نَاحِيَةً نَنْظُرُ إِلَى مَا بِهِ ؛ ثُمَّ قَمْنَا حَتَّى وَقَفْنَا عَلَيْهِ ، فَقَلْنَا لَهُ : مَا قَالَ صَاحِبُ هَذَا الْبَيْتِ إِلَّا حَقًّا ، نَعَمْ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَى لُوطٍ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ مِنْ أَيْنَ أُتَيْتَ ، وَلَنْ أَعَاوِدَ التَّعَرُّضَ لِتِلْكَ الْجَهَةِ ، وَلَمْ يَعُدْ لَذِكْرِنَا بَعْدَ ذَلِكَ .

[عقاب يزيد بن منصور]

وقال أبو محمد : اعْتَلَّتْ عِلَّةٌ مِنْ حَمِي رُبْعٍ¹ طَالَتْ عَلَيَّ أَشْهْرًا ، فَجَفَانِي يَزِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ ، وَلَمْ يَمَرَّ بِي فِي عِلَّتِي ، وَلَمْ يَتَفَقَّدْنِي كَمَا يَنْبَغِي ؛ فَكَتَبْتُ رَقْعَةً إِلَيْهِ ضَمَمْتُهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتُ² :

[من البسيط]

قُلْ لِلْأَمِيرِ الَّذِي يَرْجُو نَوَافِلَهُ مَنْ جَاءَهُ طَالِبًا لِلْخَيْرِ مَنْتَابًا
إِنِّي صَحْبَتُكَ دَهْرًا كُلَّ ذَاكَ أَرَى مِنْ دُونِ خَيْرِكَ حُجَابًا وَأَبْوَابًا
وَكَمْ ضَرِيكَ أَجَاءَتْهُ شَقَاوَتُهُ إِلَيْكَ إِذَا أَنْشَبَتْ ضَرَاوُهَا نَابًا³
فَمَا فَتَحَتْ لَهُ بَابًا لِمَيْسِرَةِ وَلَا سَدَدَتْ لَهُ مِنْ فَاقَةِ بَابَا
كَغَائِبِ شَاهِدٍ يَخْفَى عَلَيْكَ كَمَا مِنْ غَابَ عَنْكَ فَوَافَى حَظَّهُ غَابَا

فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ : جَفَوْنَا أَبُو مُحَمَّدٍ ؛ وَأُحْوجِنَاهُ إِلَى اسْتِبْطَانِنَا . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَبِعَثَ إِلَيْهِ

بصلة .

[عبث خلف الأحمر به]

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخَزَاعِيُّ أَبُو دُلْفٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَهْمِ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَصْمَعِيِّ ، قَالَ : كَانَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ يَعِثُ بِأَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ عَيْثًا شَدِيدًا ، وَرَبَّمَا جَدَّ فِيهِ وَأَخْرَجَهُ مَخْرَجَ الْمَرْحِ ، فَقَالَ فِيهِ يَنْسَبُهُ إِلَى اللَّوَاطِ :

[من الكامل]

1 حمى الربع : حمى تنوب يوماً وتترك يومين .

2 شعر اليزيديين : 33 عن الأغاني .

3 الضريك : الفقير المالك .

إِنِّي وَمَنْ وَسَجَ الْمَطْيُ لَهُ
 يَطْرَحْنَ بِالْيَيْدِ السَّحَالِ إِذَا
 وَالْمُحْرَمِينَ لِصَوْتِهِمْ زَجَلٌ
 وَإِذَا قَطَعْنَ مَسَافَ مَهْمَهَةَ
 وَافَتْ بِهِمْ خُوصَ مُحْرَمَةٍ
 مَنِي إِلَيْهِ غَيْرَ ذِي كَذِبٍ
 فِي غَابِرِ النَّاسِ الَّذِينَ بَقُوا
 أَحَدًا كَيْحِي فِي الطَّعَانِ إِذَا اف
 فِي مَعْرَكٍ يُلْقَى الْكَمِيُّ بِهِ
 وَإِذَا أَكَبَّ الْقِرْنَ يُتْبِعُهُ
 لِلَّهِ دَرْكَ أَيِّ ذِي نُزُلٍ
 لَا تَخْطِئُ الْوَجْعَاءُ أَلْتَهُ
 وَلَهُ جِيَادٌ لَا يُفْرِطُهَا إل
 جُرْدَ يَهَانَ لَهَا السَّوِيْقُ وَالْ
 مُرْدُ وَأَطْفَالٌ تَخَالَهُمْ
 فَهْمٌ لَدَيْهِ يَعْكُفُونَ بِهِ
 وَمَتَى يَشَأُ يُجَنَّبُ لَهُ جَذَعُ

حُدْبَ الذَّرَى أَدْقَانَهَا رُجْفٌ¹
 حَثَّ النِّجَاءَ الرِّكْبُ وَازْدَهَفُوا²
 بِفِنَاءِ كَعْبَيْهِ إِذَا هَتَفُوا
 قَذْفٍ تَعَرَّضَ دُونَهَا شَرْفٌ³
 مِثْلُ الْقَيْسِيِّ ضَوَامِرٌ شُسْفٌ⁴
 مَا إِنْ رَأَى قَوْمٌ وَلَا عَرَفُوا
 وَالْفُرْطِ الْمَاضِينَ إِذْ سَلَفُوا⁵
 تَرَشَ الْقَنَا وَتَضَعُضُ الْحَجَفِ⁶
 لِلْوَجْهِ مَنِبْطِحًا وَيَنْحَرِفُ
 طَعْنًا دُوَيْنَ صَلَاةٍ يَنْخَسِفُ⁷
 فِي الْحَرْبِ إِذْ هَمُّوا وَإِذْ وَقَفُوا
 وَلَا تُصَدُّ إِذَا هُمْ زَحَفُوا⁸
 إِحْلَالَ وَالْمُضْمَارِ وَالْعَلْفِ⁹
 بَانَ اللَّقَّاحِ كَأَنَّهَا نُزْفُ
 دُرًّا تَطَابَقَ فَوْقَهُ الصَّدْفُ
 وَالْمَرءُ مِنْهُ اللَّيْنُ وَاللِّطْفُ
 نَهْدٌ أَسِيلُ الْخَدِّ مُشْتَرَفٌ¹⁰

1 وسج لمطي : أسرعت . ورجف : مضطربة .

2 السحال : اللجام . وازدهفوا : خفوا وعجلوا .

3 فلاة قدف : تتقاذف بالسالك .

4 خوص : غائرة العيون لضمورها . وشسف : ضامرة من الخزال .

5 الفرط : المتقدمون .

6 افترش القنا : وقع بعضها على بعض . والحجف : التروس من جلد .

7 الصلا : وسط الظهر .

8 الوجعاء : الدبر . والألة : الحربة العظيمة النصل .

9 لا يفرطها : لا يثيرها للسبق .

10 يجنب : يوضع إلى جنبه . والجذع : ولد الشاة أو البقرة ومشترف : مشرف .

عَبَلِ الشَّوَى فِي مَتْنِهِ قَطْفٌ ¹	يَمْشِي الْعَرَضَنَةَ تَحْتَ فَارِسِهِ
ذَهَبَ السَّكُونُ وَأَقْبَلَ الْعُنْفُ ²	رَبْدٌ إِذَا عَرِقَتْ مَغَابِنُهُ
فِي كُلِّ غَادِيَةٍ لَهَا عُرْفٌ ³	فَاعْدٌ ذَلِكَ لَسْرَجِهِ وَلَهُ
صَلْعَاءُ فِي خِرْطُومِهَا قَلْفٌ ⁴	فِي حَقْوِهِ عَرْدٌ تَقَدَّمُهُ
دُعَيْتَ نَزَالٍ وَهَبَّ مَرْتَدِفٌ ⁵	جِرْدَاءُ تُشْحَدُ بِالْبِزَاقِ إِذَا
سُدَّ الْجَلْزُ فِي يَافُوخِهِ جَوْفٌ ⁶	أَوْفَى عَلَى قَيْدِ الذَّرَاعِ شَدِيدِ
لَا خَانَهُ خَوْرٌ وَلَا قَضْفٌ ⁷	خَاطِظٍ مُمَرِّمْتُهُ ضَرِيمِ
فِي جِذْرِهِ عَن فَخْذِهِ جَنْفٌ ⁸	عَرْدُ الْمَجْسِ بِمَتْنِهِ عُجْرُ
نَادَى بِجَهْدِ الْوَيْلِ يُلْتَهَفُ ⁹	فَلَوْ أَنَّ فَيَاضاً تَأَمَّلَهُ
وَدَنَا الطَّعَانَ فَمِدْعَسٌ ثَقِفٌ ¹⁰	وَإِذَا تَمَسَّحَهُ لِإِعَادَتِهِ
حَتَّى يَكَادُ لِعَابِهِ يَكْفُ ¹¹	وَإِذَا رَأَى نَفَقاً رَبَا وَنَزَا
فِنِدَاءً وَهَذَا قَلْبُهُ كَلْفٌ ¹²	لَا نَاشِئاً يُبْقِي وَلَا رَجَلاً
وَجَنَاءٌ نَاجِيَةٌ بِهَا شَدْفٌ ¹³	يَا لَيْتَنِي أُدْرِي أُمْنَجِيَّتِي
أَوْ أَنَّ يُوَارِي هَامَتِي لُجْفٌ ¹⁴	مَنْ أَنَّ تَعَلَّقَنِي حَبَائِلُهُ
إِيهَاءً إِلَيْكَ تَوَقَّ يَا خَلْفٌ ¹⁵	وَلَقَدْ أَقُولُ جِذَارَ سَطْوَتِهِ
مِنْ دُونَ قَلَّةِ رَأْسِهِ شَعْفٌ ¹⁶	وَلَوْ أَنَّ بَيْتَكَ فِي ذُرَا عِلْمِ

1 العرضنة : النشاط في المشي . وعبل الشوى : ضخم الأطراف وقطف : أثر .

2 ربذ : خفيف سريع . والمغابن : جمع مغبن ، وهو الإبط وأصل الفخذ .

3 حقوه : حصره .

4 مرتدِف : الذي يركب خلف الركب .

5 جلز الشيء : عصبه . والجوف : سعة .

6 خاطِظي : مكتنز . والقضف : النخافة .

7 العجر : العقد .

8 مدعس : شديد الطعن .

9 فند : خرف .

10 الشدْف : سرعة الوثب .

11 لجف : حفرة .

12 الشعف : جمع شعفة ، وهي رأس الجبل .

زَلَقِ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلِهِ وَعَرِ النَّائِفِ بَيْنَهَا قَذْفُ¹
لَخَشِيَتْ عَرْدَكَ أَنْ يُبَيِّنَنِي أَنْ لَمْ يَكُنْ لِي عَنْهُ مَنْصَرَفُ
قال الأصمعيّ: فحدّثني شيخ من آل أبي سفيان بن العلاء أخي أبي عمرو بن العلاء قال:
أنشدت قصيدة خلف الفائيّة هذه وأعرابيّ جالس يسمع، فلمّا سمع قوله: [من الكامل]
فإِذَا أَكْبَ الْقَرْنَ أَتْبَعَهُ طَعْنًا دُوَيْنَ صَلَاةٍ يَنْخَسِفُ
قال الأعرابيّ: وأبيك لقد أحبّ أن يضعه في حاقٍ مَقِيلٍ² ضُرْطَه .
[يغضب من هجاء خلف]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدّثني ابنُ الفهم قال: حدّثني الأصمعيّ قال: كنتُ مع خلفٍ
جالسًا، فجرى كلام في شيء من اللغة، وتكلّم فيه أبو محمد الزيّديّ وجعل يشغّب، فقال لي
خلف: دَعَنِي من هذا يا أبا محمد، وأخبرني من الذي يقول: [من مجزوء الكامل]
فإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنِّي رَبَّ الْحَرِيْبَةِ وَالرَّمِيْحِ
وَإِذَا صَحَوْتُ فَإِنِّي رَبَّ الدُّوَيْةِ وَاللُّوَيْحِ
يعرّض به أنّه معلّم، وأنّه يلوّط، فغضب الزيّديّ، وقام فانصرف.
[يهجو موابه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال: حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال: حدّثني طلحةُ
الخرّاعيّ قال: حدّثني أبو سعيد عثمان بن يوسف الحنفيّ قال: غاضب أبو محمد الزيّديّ
مواليّه بني عدي رهط ذي الرّمّة من بني تميم لأمر استنهبهم فيه، ففقدوا عنه، فقال
يهجوهم³:
[من السريع]

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ قَوْمِنَا	لَمَّا رَأَى بِزَّةَ أَجْبَارِهِمْ
وَحُسْنَ سَمْتِ مِنْهُمْ ظَاهِرًا	إِعْلَانُهُمْ لَيْسَ كإِسْرَارِهِمْ
سَائِلُ بِهِمْ أَحْمَرَ أَوْ غَيْرَهُ	يُنْبِيكَ عَنْ قَوْمِي وَأَخْبَارِهِمْ
قَوْمٌ كَرَامٌ مَا عَدَا أَنَّهُمْ	صَوْلَتُهُمْ مِنْهُمْ عَلَى جَارِهِمْ
أَسَدٌ عَلَى الْجِيرَانِ أَعْدَاؤُهُمْ	آمَنَةٌ تَخْطُرُ فِي دَارِهِمْ
لَوْ جَاءَهُمْ مَقْتَبَسًا جَارُهُمْ	مَا قَبَسُوهُ الدَّهْرَ مِنْ نَارِهِمْ

1 النائف: جمع تنوفة، وهي الأرض الواسعة.

2 حاق: وسط. ومقيل: موضع.

3 شعر الزيّديين: 76-77.

وقد وترناهم فلم نخشَ مَنْ
أحسنُ قومٍ لمواليهمُ
شهادةُ الزور لهم عادة
وما لهم مجد سوى مسجدٍ
لو هُدمَ المسجدُ لم يُعرفوا
يَوْماً ولم يسمعَ بأخبارهمُ
ينهضُ في سيرة أوتارهمُ
إن أيسروا يوماً لأيسارهمُ
حقاً بها قيمة أخبارهمُ
به تعدّوا فوق أطوارهمُ

[يهنئ الرشيد ويمدح المأمون]

أخبرني محمد بن العباس الزبيدي قال : أخبرني عمي عبّيد الله قال : حدّثني عمي إسماعيل وأخي أحمد قالوا : لما بلغ المأمون وصار في حدّ الرجال أمرنا الرشيد أن نعملَ له خطبة يقوم بها يوم الجمعة ، فعملنا له خطبته المشهورة . وكان جَهير الصوت حسنَ اللهجة ، فلما خطب بها رقت قلوب الناس ، وأبكى من سمعه ، فقال أبو محمد الزبيدي¹ : [من الطويل]

لِيَهْنِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كِرَامَةً
بِأَنَّ وِلِيَّ الْعَهْدِ مَأْمُونَ هَاشِمِ
وَلَمَّا رَمَاهُ النَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
رَمَاهُمْ بِقَوْلِ أَنْصَتُوا عَجَباً لَهُ
وَلَمَّا وَعَتَ آذَانَهُمْ مَا أَتَى بِهِ
فَأَبْكَى عَيُونََ النَّاسِ أَبْلَغُ وَعَظُ
مَهَيْبٌ عَلَيْهِ لِلوَقَارِ سَكِينَةٌ
وَلَا وَاجِبٌ فَوْقَ الْمَنَابِرِ قَلْبُهُ
إِذَا مَا عَلَا الْمَأْمُونُ أَعْوَادَ مَنِيرٍ
تَصَدَّعَ عَنْهُ النَّاسُ وَهُوَ حَدِيثُهُمْ
شَبِيهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَزَامَةً
إِذَا طَابَ أَصْلُ فِي غُرُوقِ مِشَاجِهِ
فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بِهِ
عَلَيْهِ بِهَا شُكْرُ الْإِلَهِ وَجُوبُ
بَدَأَ فَضْلُهُ إِذْ قَامَ وَهُوَ خَطِيبُ
بِأَبْصَارِهِمُ وَالْعُودَ مِنْهُ صَلِيبُ
وَفِي دُونِهِ لِلسَّامِعِينَ عَجِيبُ
أَنَابَتْ وَرَقَّتْ عِنْدَ ذَلِكَ قُلُوبُ
أَغْرُ بِطَاحِي النِّجَارِ نَجِيبُ²
جَرِيءِ جَنَانٍ لَا أَكْعَ هَيُوبُ³
إِذَا مَا اعْتَرَى قَلْبَ النِّجِيبِ وَجِيبُ
فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ ضَرِيبُ
تَحَدَّثَ عَنْهُ نَازِحٌ وَقَرِيبُ
إِذَا وَرَدَتْ يَوْماً عَلَيْهِ خُطُوبُ
فَأَغْصَانُهُ مِنْ طَيْبِهِ سَتِيبُ
يَقْدَمُ عَبْدُ اللَّهِ فَهُوَ أَدِيبُ

1 شعر الزبيديين : 29-31 عن الأغاني .

2 بطاحي النجار : من قريش البطاح .

3 أكع : جبان .

كَأَنَّ لَمْ تَغْبُ عَنْ بِلْدَةِ كَانِ وَالْيَا
تَتَبِعَ مَا يُرْضِيكَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ
وَرِثْتُمْ بَنِي الْعَبَّاسِ إِرْثَ مُحَمَّدٍ
وَإِنِّي لِأَرْجُو يَا ابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
أَثْبِنِي عَلَى الْمَأْمُونِ وَابْنِي مُحَمَّدًا
جَنَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُبَارَكًا
لَقَدْ عَمَّهَمْ جُودُ الْإِمَامِ فَكُلَّهُمْ
عَلَيْهَا وَلَا التَّدْبِيرُ مِنْكَ يَغِيبُ
فَسِيرَتَهُ شَخْصَ إِلَيْكَ حَبِيبُ
فَلَيْسَ لِحَسِيٍّ فِي التَّرَاثِ نَصِيبُ
عَطَايَاكَ وَالرَّاجِيكَ لَيْسَ يَخِيبُ
نَوَالًا فَإِيَّاهُ بِذَلِكَ تَثِيبُ
لَنَا وَلِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ خَصِيبُ
لَهُ فِي الَّذِي حَازَتْ يَدَاهُ نَصِيبُ

صوت

فلما وصلت هذه الأبيات إلى الرشيد أمر لأبي محمد بخمسين ألف درهم ، ولابنه محمد بن أبي محمد بمثله .

أخبرني عمي قال : حدثنا الفضل بن محمد الزيدي قال : حدثني أخي أحمد عن أبيه قال : استأذن أبو محمد الرشيد وهو بالرقّة في الحجّ ، فأذن له ، فلما عاد أنشدنا لنفسه¹ :

يَا فَرِحْنَا إِذْ صَرَفْنَا أَوْجِهَ الْإِبِلِ
نَحْنُ هُنَّ وَلَا يُؤْتَيْنَ مِنْ دَابِ
يَا نَائِيًا قُرَيْتَ مِنْهُ وَسَاوَسَهُ
إِنْ طَالَ عَهْدُكَ بِالْأَحْبَابِ مَغْتَرِبًا
أَمَّا اشْتَفَى الدَّهْرُ مِنْ حَرَّانٍ مُخْتَبِلٍ
عِشَ بِالرَّجَاءِ وَأَمَلٍ قَرَبَ دَارَهُمْ
إِلَى الْأَحْبَةِ بِالْإِزْعَاجِ وَالْعَجَلِ
لَكِنَّ الشُّوقَ حَتًّا لَيْسَ لِلْإِبِلِ
أَمْسَى قَرِينَ الْهَوَى وَالشُّوقِ وَالْوَجَلِ
فَإِنْ عَهْدُكَ بِالتَّسْهِيدِ لَمْ يَطَّلِ
صَبَّ الْفَوَادِ إِلَى حَرَّانٍ مُخْتَبِلٍ
لَعَلَّ نَفْسَكَ أَنْ تَبْقَى مَعَ الْأَمَلِ

أخبار من له شعر فيه صنعة من ولد أبي محمد الزيدي وولد ولده فمنهم
[421] - محمد بن أبي محمد¹

[شعر له غنى فيه]

ومِمَّا يُغْنَى فِيهِ مِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ : [من مجزوء الوافر]

صوت²

أَتَيْتُكَ عَائِذَا بِكَ مِنْدُ كَ لَمَّا ضَاقَتُ الْحَيْلُ
وَصَيَّرَنِي هَوَاكَ وَبِي لِحَيْنِي يُضْرَبُ الْمَثَلُ
فَإِنْ سَلِمْتُ لَكُمْ نَفْسِي فَمَا لَاقَيْتَهُ جَلَلُ
وَإِنْ قَتَلَ الْهَوَى رَجُلًا فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلُ

الشعر لمحمد بن أبي محمد الزيدي ، يُكنى أبا عبد الله ، والغناء لسليم بن سلام ، ثقيل
أول بالينصر ، وله أيضاً فيه ماخوري . وكان سليم صديق محمد بن أبي محمد الزيدي ،
كثير العشرة له ، وليس في شيء من شعره صنعة إلا له . وله يقول محمد بن أبي محمد
اليزيدي³ :

صوت

بَأَبِي أَنْتَ يَا سَلِيمَ وَأُمِّي ضَبَقْتُ ذَرَعًا بِهِجْرٍ مِنْ لَا أُسْمِي
صَدًّا عَنِّي أَقْرُ مَنْ خَلَقَ اللّٰهَ هَ لِعَيْنِي فَاشْتَدَّ غَمِّي وَهَمِّي
مَا اخْتِيَالِي إِنْ كَانَ فِي الْقَدْرِ السَّا بَقَ لِلْحَيْنِ أَنْ أَمُوتَ بِسُقْمِي ؟

الغناء لسليم ، خفيف رمل بالوسطى عن عمرو .

[ثناء أبي ظبية العكلي]

أخبرني محمد بن العباس الزيدي قال : حدثني عمي عبيد الله عن أخيه أبي جعفر عن أبيه
محمد بن أبي محمد قال : قال لي أبي : نظر إليك أبو ظبية العكلي ، وقد جاءني ، فقال لي ، وقد
أقبلت :

يَلِدُ الرِّجَالُ بَنِيهِمْ أَوْلَادَهُمْ وَوَلَدْتَ أَنْتَ أَبًا مِنَ الْأَوْلَادِ

1 محمد بن أبي محمد الزيدي ترجمة في طبقات ابن المعتز : 327-329 وتاريخ بغداد 3 : 412 .

2 شعر الزيديين : 108 .

3 شعر الزيديين : 114 عن الأغاني .

قال أبو محمد : وكتب أبو ظبية يوماً :
 أجيى لقد زرنك نلتمسُ الجدا
 وما صنع المعروف في الناسِ صانعُ
 تخيرك الناسَ الخليفةُ لابنه
 فما ظنَّ ذو ظنٍّ من الناسِ علمه
 إليك تناهتُ غايةُ الناسِ كلهم

قال أبو محمد : فكتب إليه ² :
 أبا ظبية اسمع ما أقولُ فخيرُ ما
 إذا شئتَ فانهدَّ بي إلى من أردته
 فإن يكُ تقصيرٌ ولا يكُ عارفاً

[العباس بن الأحنف يمتنى بيتين له]

حدَّثني أبو عبد الله محمد بنُ العباسِ اليزيديّ قال : حدَّثني عمِّي عبيد الله قال : حدَّثني
 أخي أحمد عن أبي قال : صيرت إلى العباس بن الأحنف ، فقال لي ما حاجتك ؟ قلتُ : أمرني
 أخوك وأبي أن أصبر إليك وأستفيدَ منك . فقال لي : أتصير إليّ ؟ وددتُ أنّي سبقتك إلى بيتين
 فالتهما وأنتي لم أقلّ من الشعر شيئاً غيرهما . فدخاني من السرورِ ما اللهُ به عليم ، فقلتُ : وما
 هما ؟ فقال : قولك ⁴ :

يا بعيدَ الدارِ موصو لا بقلبي ولساني
 ربّما باعدك الدهر رُ وأدنتك الأماني

[سرق معنيين من مسلم]

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدَّثني محمد بن داود الجراحُ قال : حدَّثني أبو
 القاسم عبيد الله بن محمد اليزيديّ قال : حدَّثني أحمد بن محمد قال : سمعتُ أبي يقول : ما
 سرتُ من الشعر شيئاً إلا معنيين : قال مُسلم بن الوليد ⁵ :

1 الفائل : الخاطيء الضعيف .

2 شعر اليزيديين : 65 .

3 نهدي : نهض ومضى .

4 شعر اليزيديين : 120 .

5 ديوان مسلم : 342 .

ذاك ظني تخير الحسنُ في الأَر
كانِ منه وحلٌّ كلُّ مكانِ
عَرَضَتْ دونه الحِجَالِ فما يد
قَاكَ إلَّا في النومِ أو في الأمانِ
فقلت :

يا بعيدَ الدارِ موصو
لأ بقلبي ولساني
رُبَّمَا باعدك الدهر
رُ وأدنتك الأمانِ
وقال مسلم أيضاً¹ :

[من الوافر]

متى ما تسمعي بقتيل حُب
أصيب فإنني ذاك القتيلُ
فقلت أنا :

أُتيتك عائدًا بكِ من
كِ لما ضاقتُ الحيلُ
وصيرني هواكِ وبي
لِحَيْني يُضْرَبُ المثلُ
فإن سلمتَ لكم نفسي
فما لاقيته جَلُّ
وإن قتل الهوى رجلاً
فإنني ذلك الرجلُ
[يعتب على صديق له فيجيبه]

أخبرني محمد بنُ العباس قال : حدثني عمِّي عبيد الله عن أخيه أبي جعفر قال : عتب أبي ،
يعني محمد بن أبي محمد ، على يونس بن الربيع ، وكان صديقه فكتب إليه² : [من الطويل]

سأبكيك حياً لا بكيتك ميتاً
بأربعة تجري عليك همولاً
وأعفيك من طول اللقاء وأنني
أرى اليوم لا ألقاك فيه طويلاً
فكيف بصبري عنك لا كيف بعدما
حللت محلاً في الفؤادِ جليلاً

قال ، وكتب إليه يونس :

[من الوافر]

إلى كم قد بليت وليس يبلى
عتاب منك لي أبداً طويلاً
إذا كثر التجنسي من خليل
ولم تُذنب فقد ظلم الخليل

[شعر في قنفذ]

أخبرني عمِّي قال : حدثني الحسن بن الفهم قال : قال لي أبو سمير عبد الله بن أيوب مولى
بني أمية : بات عندي ليلة محمد بن أبي محمد اليزيدي ، فظهر لنا قنفذ ، فقلت له : قل فيه

1 ديوان مسلم : 335 .

2 شعر اليزيديين : 110 عن الأغاني .

شيئاً ، فأنشأ يقول¹ :

وطارق ليل زارنا بعد هَجُعة
فقلتُ لعبدِ الله ما طارقُ أتى
قَريناه صفو الزادِ حين رأيتَه
جميلُ الحَيَا والرَّضا فإذا أبى
ولستَ تراه واضعاً لسلاحه
من الليلِ إلا ما تحدث سامرُ
فقال امرؤُ سبقتُ إليه المقادِرُ
وقد جاء خفأقَ الحشا وهو سادرُ
حمته من الضيمِ الرِّماحِ الشَّواجرُ
مدى الدهر موتوراً ولا هو واترُ

[حُجِبَ عَنِ الْمَأْمُونِ ثُمَّ أُذِنَ لَهُ]

حدَّثنا اليزيديُّ قال : حدَّثني عمِّي الفضلُ قال : حدَّثني أبو صالح بن يزداد قال : حدَّثني أبي قال : جاء محمدُ بنُ أبي محمد اليزيديُّ إلى باب المأمون وأنا حاضر ، فاستأذن ، فقال الحاجب : قد أخذ دواءً وأمرني ألا آذن لأحد . قال : فأمرَكَ ألاَّ توصل إليه رقعة ؟ قال : لا ، فدفع إليه رقعة فيها² :

هديتي التحيّة للإمامِ
لأنِّي لو بذلتُ له حياتي
أراك من الدواء اللهُ نفعاً
وأعقبكَ السلامةَ منه ربُّ
أتأذن في السّلامِ بلا كلامِ
إمامَ العدلِ والملكِ الهمامِ
وما أحوي لقللاً للإمامِ
وعافيةً تكون إلى تمامِ
يُريك سلامةً في كلِّ عامِ
سوى تقبيلِ كَفكِّ والسّلامِ

قال : فأوصلها ، وخرج فأذن له ، فدخل وسلّم وحملتُ معه ألفاً ديناراً .

[المعتصم يستحسن شعراً قاله]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني الفضلُ اليزيديُّ قال : حدَّثني أخي أحمدُ عن أبي : قال : دخلتُ إلى المعتصم وهو ولي عهد وقد طلع القمر ، فتنفّس ثم قال : يا محمد ، قل أبيتاً في معنى طلوع القمر ، فإنه غاب مدّة كما غاب محبوب عن حبيبه ثم طلع ، فإن كان كما أحبّ فلك بكلِّ بيت مائة دينار ، فقلت³ :

صوت

هذا شبيه الحبيبِ قد طلعا
غابَ كما غابَ ثم قد لمعا

1 شعر اليزيديين : 104 .

2 شعر اليزيديين : 115 .

3 شعر اليزيديين : 106 عن الأغاني .

وما أرى غيرَه يشاكله فأسأله بالله عنه ما صنعا
فرَّقَ بيني وبينه قدر هو الذي كان بيننا جمعا
فهل له عودة فأرقبها كما رأينا شيهه رجعا

فقال : أحسنت وحياتي ، ثم قال لعلّويه : غنّ في هذه الأبيات ، وكان حاضراً ، فغنّني فيها ، وشرب عليها ليلته ، وأمر لي بأربعمائة دينار وعلّويه بمثلها .
لحن علّويه في هذه الأبيات رمل .

[حكم المأمون له بثلاثة آلاف دينار]

حدّثني عمّي قال : حدّثنا الفضلُ بنُ محمدٍ قال : حدّثني أخي عن أبي قال : شكوتُ إلى المأمون ديناً عليّ ، فقال : إنّ عبدَ الله بنَ طاهر اليوم عندي ، وأريد الخلوة معه ، فإذا علمتَ بذلك فاستدع أن يكون دخولك أو إخراجك إليك ، فإنّي سأحكم لك عليه بمال . فلما علمت أنّهم قد جلسوا للشرب صرت إلى الدار ، وكتبتُ بهذين البيتين¹ : [من السريع]

يا خيرَ ساداتٍ وأصحابٍ هذا الطفيليُّ على البابِ
فصيّروا لي معكم مجلساً أو أخرجوا لي بعض أصحابي

وبعثت بهما إليه ، فلما قرأهما قال : صدق ، اكتبوا إليه وسلوه أن يختار . فكُتِبَ إليّ : أمّا وصولك فلا سبيل إليه ، ولكن من تختار لإنخراجه إليك فتَمْضِي معه . فكُتِبَتْ : ما كنتُ لأختار على أبي العباس² أحداً . فقال له المأمون : قم إلى صديقك . فقال : يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تعفيني من ذلك ، أخرجني عمّا شرفتنني به من منادمتك وتبدلني بها منادمة ابن الزبيديّ ؟ قال : لا بدّ من ذلك أو ترضيه . قال : فليحتكم . قال : أخاف أن يشتطّ أو تقصّر أنت ، ولكنّي أحكم فأعدل . قال : قد رضيتُ . قال : تحمل إليه ثلاثة آلاف دينار معجّلة . قال : قد فعلت ، فأمر صاحب بيت المال أن يحملها معي ، وأمر عبدُ الله بردها إلى بيت المال .

[حرم الجارية فعوضه المأمون بالمال]

حدّثني الصوليُّ قال : حدّثني عونُ بنُ محمدٍ قال : كان محمدُ بنُ أبي محمدٍ الزبيديُّ يعشق جارية لسحاب يقال لها عليا ، وكانت من أطرف النساء لساناً وأحسنهنّ وجهاً وغناءً ، فأعطي بها ثلاثة آلاف دينار فلم تُبع ، واشتراها المعتصم بخمسة آلاف دينار ، وذلك في خلافة المأمون ؛ وكان عليُّ بنُ الهيثم جوناً صديقاً لمحمد بن أبي محمد الزبيديّ . فبلغ المأمون

1 في شعر الزبيديين : 36 ثلاثة أبيات نسبت في المصادر إلى أبي محمد .

2 كنية عبد الله بن طاهر .

الخبر، فدعا محمداً، وقال: ما قصتك مع علياً؟ قال: قد قلتُ في ذلك أبياتاً، فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتها. قال: هاتها فأنشده¹:

أشكو إلى الله حبي للعليينا
وأنني فيهم ألقى الأمرينا
أصبحتُ حقاً أرى حبي له دينا
أصحتُ حبي أرى حبي له دينا
وحبّ حبي وخلصاني أبي حسن
أعني علياً قريب الغلبيينا²
ورقي لبني لي أصيت به
وَجَدِي به فوق وجد الآدمينا³
ورابع قد رمى قلبي بأسهمه
فجُزْتُ في حبه حدّ المحيينا
وبعض من لا أسمى قد تملكه
فرُحْتُ عنه بما أعيا المداوينا
أتاه بالدين والدنيا تمكُّنه
فلم يدع لي لا دنيا ولا دينا

قال: فقال المأمون: لولا أنه أبو إسحاق لانتزعتها منه، ولكن هذا ألف دينار فخذه عوضاً، ولقيني المعتصم في الدار فقال لي: يا محمد، قد علمتُ ما آل إليه أمرُ فلانة، فلا تذكرنها. فقلت: السمع والطاعة لأمرك.

[المأمون يقترح عليه شعراً]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار مولى بني هاشم قال: حدثني جعفر بن محمد البيهقي عن أبيه محمد بن أبي محمد قال: كنت عند المأمون فقال لي: يا محمد، قل شعراً في نحو هذين البيتين:

[من الطويل]

صحيحٌ يودُّ السقمَ كيما تعوده
وإن لم تعده عاد عنها رسولها
ليعلم هل ترعاع عند شكاته
كما قد يروع المشفقات خليلها؟

[من الوافر]

قال فقلت⁴:

صحيحٌ ودّ لو أمسى عليلاً
لثكتب أو يرى منكم رسولا
رآك تسومه الهجران حتى
إذا ما اعتلّ كنت له وصولا
فودّ ضنا الحياة بوصل يوم
يكون على هواك له دليلا

1 شعر البيهقيين: 117 عن الأغاني.

2 خالصاني: صفيني، للواحد والجمع. والمقصود هنا صديقه علي بن الهيثم.

3 يعني هنا ابناً له اسمه علي كان قد توفي.

4 شعر البيهقيين: 109.

هما موتان موت هوى وهجرٍ وموت الهجر شرهما سيلا
قال : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعي قال : حدثني أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي محمد
اليزيدي عن أبيه قال : دخلت على المأمون وهو يشرب ، وعنده عريب ومحمد بن الحارث بن
بُسخرن يغنيانه ؛ فقال : أطعموا محمداً شيئاً ، فقلت : قد بدأت بذلك في دار أمير المؤمنين ؛
فقال : أما ترى كيف عتق هذا الشراب حتى لم يبق إلا أقله ، ما أحسن ما قيل في قديم
الشراب ؟ فقلت : قول الحكمي¹ :

عتقت حتى لو اتصلت بلسانٍ ناطقٍ وفمٍ
لاحتبت في القومٍ ماثلةً ثم قصت قصّة الأُمم

فقال : هذا كان في نفسي ، ثم قال : اسقوا محمداً رطلين ، وأعطوه عشرين ألف درهم ،
ثم نكت في الأرض ورفع رأسه ثم قال : يا محمد :

إني وأنت رضيعا قهوةً لطفتُ
لم نرتضع غيرَ كأسٍ دَرُّها ذهبٌ
قال : والشعر له قاله في ذلك الوقت .

ومما فيه غناء من شعر محمد بن أبي محمد ، أنشدناه محمد بن العباس عن عمه عبید الله عن
أخيه أحمد² :

صوت

أنت امرؤ متجنّ ولست بالغضبان
أنت امرؤ لك شأنٌ فيما أرى غير شاني
صرّح بما عنه أكني أكفّ عنك لساني
حسبي أسأتُ فهلا مننتُ بالغفران

ومنها³ :

صوت

يا أحسن الأمة في عيني أما ترحمني

1 ديوان أبي نواس : 41 .

2 شعر اليزيديين : 121 عن الأغاني .

3 شعر اليزيديين : 118 عن الأغاني .

[من السريع]

أما تراني كامداً موكلأً بالحزنِ
 أما ترى فيك مُداً راتي لأهلِ الظننِ
 أصرْفُ طَرْفِي عنكَ حَوَّ فأُمنه أنْ يَفْضَحَنِي
 يَرَانِي اللهُ وما أَلْ غي وإنْ لَمْ تَرَنِي

* * *

وَمِمَّنْ لَهُ شَعْرٌ فِيهِ صِنْعَةٌ مِنْ وَلَدِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ لِصَلْبِهِ إِبْرَاهِيمَ¹

صوت

[من مخلع البسيط]

لا تَلْحَنِي إِنْ مَنَحْتُ عَشْقاً مَنْ كَانَ لِلْعَشْقِ مُسْتَحِقاً
 وَلَمْ يَقْدَمْ عَلَيَّ خَلْقاً وَلَمْ أَقْدَمْ عَلَيْهِ خَلْقاً
 يَمْلِكُ رَقِيٍّ وَلَسْتُ أَبْغِي مِنْ مِلْكِهِ مَا حَيَّيْتُ عَتَقاً
 لَمْ أَرَّ فِيمَنْ هَوَيْتُ خَلْقاً أَعْطَفَ مِنْهُ وَلَا أَرْقَأَ

الشعر لإبراهيم بن محمد اليزيدي، والغناء لأبي العباس بن حمدون، خفيف ثقيل مطلق.
 وفيه لعريب رمل مزموم.

[422] - أخبار إبراهيم¹

[مع عرب]

أخبرني عمي قال : حدثني الفضل بن محمد الزيدي قال : حدثنا أحمد عن عمه إبراهيم قال : كنت مع المأمون في بلد الروم ، فبينما أنا في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح وإلى جانبي قبة ، فبرقت برقاً وإذا في القبة عرب . قالت : إبراهيم بن الزيدي ؟ فقلت : لبيك ! فقالت : قل في هذا البرق أبياتاً ملاحاً لأعني فيها ، فقلت² :

ماذا بقلبي من أليم الخفقِ إذا رأيتُ لمعانِ البرقِ
 مِن قِيلِ الأَرْدُنِّ أو دَمَشَقَ لأنَّ مَنْ أهوى بِذاك الأُفُقِ
 فارقته وهو أعزُّ الخلقِ عليّ والزورُ خلاف الحقِّ
 ذاك الذي يملكُ منِّي رقي ولستُ أبغي ما حيتُ عتقي

قال : فتنفست نفساً ظننته قد قطع حيازيمها ؛ فقلت : ويحك علي من هذا ؟ فضحكت ثم قالت : على الوطن . فقلت : هيهات ! ليس هذا كله للوطن ، فقالت : ويلك ! أفتراك ظننت أنك تستفزني ؟ والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس ، فادعها أكثر من ثلاثين رئيساً ، والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا اليوم .

[في سيحان]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني الفضل بن محمد الزيدي قال : حدثني أخي عن عمي إبراهيم بن أبي محمد : أنه كان مع المعتصم لما خرج إلى الغزو ، قال فكُتِبَ في رُفقه فيها فتى من أهل البصرة ، ظريف أديب شاعرٌ راويةٌ ، فكان لي فيه أنس ، وكنا لا نفترق حتى غزونا وعدنا . فعاد إلى البصرة ، وكان له بستان حسن بسيحان ، فكان أكثرُ مقامه به ، وغُزِمَ لي على الشخوص إلى البصرة لحاجة عرّضت لي ، فكان أكثرُ نشاطي لها من أجله ، فوردتها ، ونظرت فيما وردت له ، ثم سألتُ عنه ، ومضيت إليه ، فكاد أن يُستطار بي فرحاً ، وأقمتُ بسيحان معه أياماً ، وقلت في بعضها وقد اصططحنا في بستانه³ :

[من البسيط]

1 ترجمة إبراهيم بن أبي محمد الزيدي في معجم الأدباء (عباس) : 160-163 وتاريخ بغداد 6 : 209 ونور القبس : 89 ومصورة ابن عساكر 2 : 562 وتهذيب ابن عساكر 2 : 311 وإنباه الرواة 1 : 189 ونزهة الألباء : 114 وطبقات الجزري 1 : 29 والوافي 6 : 165 وبغية الوعاة 1 : 434 والمففى 1 : 332 .

2 شعر الزيديين : 138 .

3 شعر الزيديين : 140 .

يا مسعديّ بسيحانٍ فذيتكما
نهر كريم من الفردوسٍ مخرجه
لا تحسداني رواحاً أو مياكرة
يشطّ سيحان إنسان كلفتُ به
ريّاه ريحاننا والكأسُ معملة
حُثّا شربكما حتى أرى بكما
ريّا الحبيب وكأسٌ من معتقه
سقى لسيحانٍ من نهر ومن وطن
هُم الذين عقدنا الودّ بينهم
حُثّا المدامة في أكنافٍ سيحانا
بذاك خبرنا من كان أنبانا
طيبَ المسير على سيحانٍ أحيانا
نفسى تقى ذلك الإنسان إنسانا
لا شيء أطيبُ من ريّاه ريحانا
سُكراً فإنّي قد أُمسيتُ سكرانا
يُهيّجان لنفس الصبِّ أشجانا
وساكنيه من السكّان من كانا
وبيننا وهُم في دبرٍ مرّانا¹

[دعوة إلى مجلس شراب]

أخبرني محمد بن العباس قال : حدّثني عمّي عبّيد الله عن جماعة من أهلنا : أنّ إبراهيم بن أبي محمد الزيديّ كان يعاشر أبا غسان ، مولى منيرة ؛ وكانت له جارية مغنيّة ؛ يقال لها جاني ؛ فدعاه يوماً أبو غسان وجلسنا للشرب ، فقال له : لو دعوت ابن أخيك ، يعني أحمد بن محمد بن أبي محمد ، لنأس به . فكتب إليه إبراهيم² :

يا أكرم الناس طراً
بادر إلينا لكيما
على غناء غزال
اشرب على وجه جاني
فما لجانٍ نظيرٌ
إلا الذي هو فرد
أعني الهلال لست
للناس بدرٌ منيرٌ
وما لنا غير بدر
وأكرم الفتيان³
تسقى سلاف الدنان
مُهفَهَفٍ فتان
شربك الخسرواني
ومأله من مدان
في شهره وثمان
يُرى بكلّ مكان
لدى أبي غسان

1 دير قرب دمشق مشرف على مزارع ورياض .

2 شعر الزيديين : 141 عن الأغاني .

3 وأكرم في شعر الزيديين : وأظرف .

ذَكَرَاهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَوْصُولَةً بِلِسَانِي
سَيِّئُهُ وَسَيِّئِي فَحُبُّهُ قَدْ بَرَانِي
مِنْ ثَمَّ لَسْتُ تَرَانِي أَصْبُو إِلَى إِنْسَانٍ

[في بعض إخوانه]

أُنشَدْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْيَزِيدِيُّ عَنْ عَمِّهِ الْفَضْلِ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ فِي بَعْضِ
إِخْوَانِهِ ، وَقَدْ رَأَى مِنْهُ جَفْوَةً ، ثُمَّ عَادَ وَاسْتَصْلَحَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ¹ : [من الكامل]

مَنْ تَاهَ وَاحِدَةً فِتْنَةً عَشْرًا كَيْ لَا يَجُوزُ بِنَفْسِهِ الْقَدْرَا
وَإِذَا زَهَا أَحَدٌ عَلَيْكَ فَكُنْ أَزْهَى عَلَيْهِ وَلَا تَكُنْ غُمْرًا
أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ تَرْجُ مِنْفَعَةً مِنْهُ وَلَمْ تَحْذَرْ لَهُ ضَرًّا
لَمْ يُسْتَذَلَّ وَتُسْتَذَلَّ لَهُ بَلْ كُنْ أَشَدَّ إِذَا زَهَا كِبْرًا²

[عريضة في مجلس الحنيفة]

حَدَّثَنِي عَمِّي وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ قَالَا : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ مَهْرُوبٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي
عَنْ جَعْفَرِ بْنِ الْمَأْمُونِ قَالَ : دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ عَلَى أَبِيي وَهُوَ يَشْرَبُ ، فَأَمَرَهُ
بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، وَأَمَرَهُ بِشْرَابِ فُشْرَبَ . وَزَادَ فِي الشَّرْبِ فَسَكِرَ وَعَرَبِدَ ، فَأَخَذَ عَلِيُّ بْنُ
صَالِحٍ صَاحِبُ الْمُصَلَّى بِيَدِهِ ، فَأَخْرَجَهُ فَلَمَّا أَصْبَحَ كَتَبَ إِلَى أَبِي³ : [من الطويل]

أَنَا الْمَذْنُوبُ الْخَطَاءُ وَالْعَفْوُ وَاسِعٌ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ ذَنْبٌ لَمَّا عُرِفَ الْعَفْوُ
ثَمِلْتُ فَأَبَدْتُ مَنِّي الْكَأْسُ بَعْضُ مَا كَرِهْتُ وَمَا إِنْ يَسْتَوِي السُّكْرُ وَالصُّحُورُ
وَلَوْلَا حُمَيَّا الْكَأْسُ كَانَ احْتِمَالُ مَا بَدَّهْتُ بِهِ لَا شَكَّ فِيهِ هُوَ السَّرْوُ⁴
وَلَا سِيمَا إِذْ كُنْتُ عِنْدَ خَلِيفَةٍ وَفِي مَجْلِسٍ مَا إِنْ يَجُوزُ بِهِ اللَّغْوُ
تَنَصَّلْتُ مِنْ ذَنْبِي تَنَصَّلَ ضَارِعٌ إِلَى مَنْ لَدَيْهِ يُغْفَرُ الْعَمْدُ وَالسَّهُوُ
فَإِنْ تَعَفُّ عَنِّي تَلْفَرِ خَطْوِي وَاسْعَا وَإِلَّا يَكُنْ عَفْوٌ فَقَدْ قَصَرَ الْخَطْوُ

[حجج هارون بن المأمون]

حَدَّثَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيُّ قَالَ : جَاءَ عَمِّي إِبْرَاهِيمُ إِلَى هَارُونَ

1 شعر اليزيديين : 132 عن الأغاني .

2 شعر اليزيديين : لم تسترك .

3 شعر اليزيديين : 143 .

4 السرو : الفضل والسخاء في المروءة .

ابن المأمون ، فصادفه قد خلا هو وجماعة من المعتزلة . فلم يصل إليه وحُجِب عنه ، فكتب إليه¹ :

غَبَبْتُ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْقَدْرِيَّةُ فَعَلَيْكُمْ مِنْهُ السَّلَامُ تَحِيَّةٌ
 آتَيْكُمْ شَوْقاً فَلَا أَلْقَاكُمْ وَهُمْ لَدَيْكُمْ بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ
 هَارُونَ قَائِدُهُمْ وَقَدْ حَفَّتْ بِهِ أَشْيَاعُهُ وَكَفَى بِتِلْكَ بَلِيَّةٌ
 لَكِنْ قَائِدُنَا الْإِمَامُ وَرَأَيْنَا مَا قَدْ رَأَاهُ فَنَحْنُ مَأْمُونِيَّةٌ

[في غلام نومه ابنه]

أخبرني عمِّي قال : حدَّثني الفضلُ قال : كان لعمِّي إبراهيمَ ابنٌ يقال له : إسحاق ، وكان يألف غلاماً من أولاد الموالي . فلَمَّا خرج المعتصم إلى الشام خرج إبراهيم معه ، وخرج الغلام الذي يألفه في العسكر ، وعرف إبراهيم أنَّه قد صحب فتى من فتیان العسكر غير ابنه ، فكتب عمِّي إبراهيم إلى ابنه² :

قُلْ لِأَبِي يَعْقُوبَ إِنَّ الَّذِي يَعْرِفُهُ قَدْ فَعَلَ الْحُوبَا³
 كَانَ مَجِيئاً لَكَ فِيمَا مَضَى فَالآنَ قَدْ صَادَفَ مَحْبُوبَا
 يَرْكَبُ هَذَا ذَا وَذَا ذَا فَمَا يَنْفَكُ تَصْعِيداً وَتَصْوِيبَا
 فِرَاسُ إِسْحَاقَ فَدَيْنَاهُ قَدْ أَظْهَرَ شَيْئاً كَانَ مَحْبُوبَا
 أَرَى قَرُوناً قَدْ تَجَلَّلَنَّهُ مَنْصُوبَةً شُعْبَانَ تَشْعِيبَا
 أَظْنَهُ يَعْجِزُ عَنْ حَمَلِهَا إِذْ رُكِبَتْ فِي الرَّأْسِ تَرْكِيبَا
 يَا رَحْمَتَا لَابْنِي عَلَى ضَعْفِهِ يَحْمَلُ مِنْهُنَّ أَعَاجِيبَا

[ابن أخيه يستزيد عنائه]

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني فضلُ اليزيديُّ قال : كتبتُ إلى عمِّي إبراهيمَ أُستعين به في حاجة لي ، وأستزیده من عنائه بأُموري ، وأطالبه أن يتوفَّر نصيبي لديه وفيما أبتغيه منه ، فكتب إلي⁴ :

فَدَيْتَكَ لَوْ لَمْ تَكُنْ لِي قَرِيْباً وَكَنتُ امْرَءاً أَجْنِيْباً غَرِيْباً

1 شعر اليزيديين : 145 عن الأغاني .

2 شعر اليزيديين : 127 عن الأغاني .

3 الحوب : الإثم .

4 شعر اليزيديين : 128-130 عن الأغاني .

مع البرّ منك وما يستجر
لما إن جعلت لخلق سوا
وكنّت المقدم مِمّن أودّ
تَلَطَّفَ لما قد تكَلَّمْتُ فيه
وراوض أبا حسن إن رأيت
فإن هو صار إلى ما تريد
وما لا يخالف ما تشتهي
يودك خاقان ودّاً عجيباً
وأنتَ تكافيه بل قد تزيد
تُثيب أحاك على الودّ منه
ولا سيمّا إذ براه إلّا
يرى المتَمَنّي له رِدْفَه
وقد فاقَ في العلم والفهم منه
ويبلغ فيما يقولون ليس
ولكنّه وافق الزاهدين
وإن ركب المرء فيه هوا
إذا زارت الشاة ذئباً طيباً
وعند الطبيبِ شفاء السقيم
ولست ترى فارساً في الأنا

[رفقة سفر]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال : حدّثني عمّي عبّيد الله قال : وحدّثني أخي أحمد
قال : زامل المأمون في بعض أسفاره بين يحيى بن أكثم وعبادة المخنث ، فقال عمّي إبراهيم في
ذلك⁴ :

[من السريع]

وحاكم زامل عبّاده ولم يزل تلك له عادة

1 ما يستجر في الشعر : وما تنجز .

2 تشتهي في الشعر : أشتهي .

3 الملح : الملاحظة والحسن .

4 شعر اليزيديين : 131 عن الأغاني .

لو جاز لي حُكم لما جاز أن يحكم في قيمة لُبَادَه
كم من غلام عزَّ في أهله وافَتْ قفاه منه سجاده¹

[قاضي القضاة يلوط]

وقال في يحيى أيضاً² :

فأعقبنا بعد الرجاء قنوطُ متى تصلحُ الدنيا ويصلحُ أهلها
[من الطويل] وكنا نرجي أن نرى العدلَ ظاهراً

[المأمون ويحيى بن أكنم]

وأخبرني عمِّي حدَّثنا أبو العيناء قال : نظر المأمون إلى يحيى بن أكنم يلحظ خادماً له ، فقال للخادم : تعرض له إذا قمت ؛ فإني سأقوم للوضوء ، وأمره ألا يبرح ، وعُدَّ إلي بما يقول لك ، وقام المأمون ، وأمر يحيى بالجلوس . فلما غمزه الخادم بعينه ، قال يحيى : ﴿لولا أنتم لكاننا مؤمنين﴾³ فمضى الخادم إلى المأمون فأخبره ، فقال له : عُدَّ إليه فقل له : ﴿أنحَنُ صدَدنا كم عن الهدى بعد إذ جاء كم بل كنتم مجرمين﴾⁴ . فخرج الخادم إليه ، فقال له ما أمره به المأمون ، فأطرق يحيى وكاد يموتُ جزعاً ، وخرج المأمون وهو يقول : [من الطويل]

متى تصلحُ الدنيا ويصلحُ أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوطُ !
قم وانصرف ، واتق الله ، وأصلح نيتك .

[يرتجل في مجلس المأمون]

حدَّثنا اليزيدي قال : حدَّثني ابن عمِّي إسحاق بن إبراهيم بن أبي محمد اليزيدي عن أبيه إبراهيم قال : كنتُ عند المأمون يوماً وبحضرتَه عريبُ ، فقالت لي على سبيل الوَلع بي : يا سلعوس ، وكان جوارِي المأمون يلقبني بذلك عبثاً ، فقلت لها⁵ :

قل لعريب لا تكوني مسلعه وكوني كتريف وكوني كمونسه
فقال المأمون : [من الطويل]

فإن كثرتُ منك الأفاويل لم يكن هنالك شك أن ذا منك وسوسه
قال : فقلت : كذا والله يا أمير المؤمنين أردت أن أقول ، وعجبت من ذهن المأمون .

1 السجادة : أثر السجود في الجبهة ، وجعلها في قفاه .

2 شعر اليزيديين : 136 .

3 سورة سبأ ، الآية 31 .

4 سورة سبأ ، الآية : 32 .

5 شعر اليزيديين : 135 .

مِمَّنْ غُنِّيَ فِي شِعْرِهِ مِنْ وَلَدِ أَبِي مُحَمَّدٍ الزَّيْدِيِّ

[423] - أبو جعفر أحمد بن محمد¹فمن ذلك² :

[من البسيط]

صوت

شوقي إليك على الأيام يزدادُ والقلبُ مُدَّ غَبْتٍ لِلأَحْزَانِ مَعْتَادُ
يا لهفَ نفسي على دهر فُجِعْتُ به كَأَنَّ أَيَّامَهُ فِي الْحَسَنِ أَعْيَادُ

الشعر لأحمد بن محمد بن أبي محمد ، والغناء ليحمر هزح ، وفيه ثاني ثقيل مطلق . ذكر الهشاميّ أنّه لإسحاق ، وما أراه أصاب ، ولا هو في جامع إسحاق ، ولا يشبه صنعته . وكان أحمد راوية لعلم أهله ، فاضلاً أديباً ، وكان أسنّ ولّد محمد بن أبي محمد ، وكان إخوته جميعاً يأترون علوم جدّهم وعمومتهم عنه ، وقد أدرك أبا محمد ، وأظنّ أنّه قد روى عنه أيضاً ، إلّا أنّي لم أذكر شيئاً من ذلك وقت ذكرّي إياه فأحكيه عنه .
[كتاب عمّه لما بات عند ابن المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال : حدّثنا الفضل بن محمد الزبيديّ قال : حدّثني أخي أبو جعفر قال : كنتُ عند جعفر بن المأمون مقيماً ، فلما أردت الانصرافَ منعني ، فبتَ عنده ، وزارته لما أصبحنا عريبُ في جواربها ؛ وبتَ فاحتبسها من غدٍ ؛ فاستطبتُ المقام أيضاً فأقمت ، فكتب إليّ عمّي إبراهيم بن محمد الزبيديّ³ :

[من السريع]

شردتَ يا هذا شُرودَ البعيرِ وطالت الغيبةُ عند الأميرِ
أقمتَ يومئِنِ وليلِهما وثالثاً تحبى ببرّ كثيرِ
يومُ عَرِيبٍ مع إحسانها إن طالت الأيامُ يوم قصيرِ

1 ترجمة أحمد بن محمد بن أبي محمد الزبيديّ في معجم الأدباء (عبّاس) : 434-436 وطبقات الزبيديّ : 82-86 وبغية الطلب 2 : 13 وتاريخ بغداد 5 : 117 وإنباه الرواة 1 : 127 والوافي 7 : 388 وطبقات ابن الجزري 1 : 133 وبغية الوعاة 1 : 386 ومصورة تاريخ ابن عساكر 2 : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 82-83 ومختصر ابن منظور 3 : 289 .

2 شعر الزبيديين : 163 عن الأغاني .

3 شعر الزبيديين : 133-134 عن الأغاني .

لَهَا أَغَانٍ غَيْرُ مَمْلُوءَةٍ مِنْهَا وَلَا تَخْلُقُ عِنْدَ الْكَرُورِ
 غَيْرُ مَلُومٍ يَا أَبَا جَعْفَرٍ أَنْ تُؤَثِّرَ اللَّهُوَ وَيَوْمَ السَّرُورِ
 فَاجْعَلْ لَنَا مِنْكَ نَصِيبًا فَمَا إِنْ كُنْتَ عَنْ مَجْلِسِنَا بِالنَّفُورِ
 وَصِرْ إِلَيْنَا غَيْرَ مَا صَاغِرٍ أَصَارَكَ الرَّحْمَنُ خَيْرَ الْمَصِيرِ
 إِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي غِنَاءٌ وَلَا عُودَ فَعِنْدِي الْقَمَرُ بِالنَّرْدَشِيرِ¹
 وَالذِّكْرُ بِالْعِلْمِ الَّذِي قَدْ مَضَى بِأَهْلِهِ حَادِثُ صَرْفِ الدَّهْوَرِ
 وَهُوَ جَدِيدٌ عِنْدَنَا نَهَجُهُ أَعْلَامُهُ تَحْوِيهِ مِّنَا الصُّدُورِ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مَا أَوْلَى وَأَبْلَى وَلِرَبِّي الشُّكُورِ

[في غلام وسيم]

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَبَّاسِ الْيَزِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ قَالَ : سَمِعْتُ أَخِي أَبَا جَعْفَرَ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدٍ يَقُولُ : دَخَلْتُ إِلَى الْمُعْتَصِمِ يَوْمًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ خَادِمٌ وَضِيءٌ جَمِيلٌ وَسِيمٌ ، فَطَلَعْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ ، فَمَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا عَلَى وَجْهِهِ ؛ فَقَالَ لِي : يَا أَحْمَدُ ، قُلْ فِي هَذَا الْخَادِمِ شَيْئًا ، وَصِفْ طُلُوعَ الشَّمْسِ عَلَيْهِ وَحَسَنَهَا ، فَقُلْتُ² :

قَدِ طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَى شَمْسٍ وَطَابَ لِي الْهَوِيُّ مَعَ الْأَنْسِ
 وَكُنْتُ أَقْلِي الشَّمْسَ فِيمَا مَضَى فَصُرْتُ أُشْتَاقُ إِلَى الشَّمْسِ

[جوابه عن اعتذار]

حَدَّثَنِي الْيَزِيدِيُّ قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي الْفَضْلُ قَالَ : كَتَبَ إِلَى أَخِي بَعْضَ إِخْوَانِهِ مِمَّنْ كَانَ يَأْلَفُهُ وَيَدِيمُ زِيَارَتَهُ ، ثُمَّ انْقَطَعَ عَنْهُ ، يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِنْ تَأَخُّرِهِ عَنْهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ³ :

إِنِّي امْرُؤٌ أَعْزِرُ إِخْوَانِي فِي تَرْكِهِمْ بَرِّي وَإِتْيَانِي
 لِأَنَّهُ لَا لَهْوَ عِنْدِي وَلَا لِي الْيَوْمَ جَاءَ عِنْدَ سُلْطَانِ
 وَأَكْثَرَ الْإِخْوَانَ فِي دَهْرِنَا أَصْحَابَ تَمْيِيزِ وَرُجْحَانِ
 فَمَنْ أَنَانِي مُنْعَمًا مُفْضَلًا فَشَكَرُهُ عِنْدِي شُكْرَانِ
 وَمَنْ جَفَانِي لَمْ يَكُنْ لَوْمُهُ عِنْدِي وَلَا تَعْنِيهِ شَانِي

1 القمر : الغلب في القمار . والنردشير : النرد .

2 شعر اليزيديين : 170 .

3 شعر اليزيديين : 176 .

أَعْفُو عَنِ السَّيِّءِ مِنْ فِعْلِهِمْ وَاتَّبِعِ الْحَسَنَى بِإِحْسَانٍ
حَسْبُ صَدِيقِي أَنَّهُ وَاثِقٌ مِنِّي بِإِسْرَارِي وَإِعْلَانِي

[ينشد المأمون في حديثه]

حدَّثني البيهقي قال : حدَّثني أبي عن عمِّي عن أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ محمدٍ قال : دخلتُ على المأمون وهو في مجلسٍ غاصَّ بأهله ، وأنا يومئذٍ غلامٌ ، فاستأذنت في الإنشادِ ، فأذن ، فأنشدته مديحاً لي مدحتُه به ، وكان يستمع للشاعر ما دام في تشبيبٍ أو وصفٍ ضرب من الضروب ، حتى إذا بلغ إلى مديحه لم يسمع منه إلا بيتين أو ثلاثة ، ثم يقول للمنشد : حسبك ترفعاً ، فأنشدته¹ :

يا مَنْ شَكَوتُ إليه ما ألقاهُ وبذلتُ من وَجدي له أَقصاهُ
فأجانبني بخلافٍ ما أملتُه ولربِّما مُنِعَ الحريصُ مناهُ
أترى جميلاً أنْ شكَا ذو صبوةٍ فهجرته وغضبتَ من شكواهُ
يكفيك صمتٌ أو جوابٌ مؤيسٌ إن كنتَ تكره وصله وهواهُ
موتُ الحبِّ سعادةٌ إن كان مَنْ يهواه يزعُمُ أنْ ذاك رضاهُ

فلما صرت إلى المدح قلت :

أبقى لنا اللهُ الإمامَ وزاده عزّاً إلى العزِّ الذي أعطاهُ
فاللهُ مكرمنا بأننا معشر عتقاء من نعم العباد سواهُ
فسرّ بذلك وضحك ، وقال : جعلنا اللهُ وإياكم ممّن يشكر النعمة ، ويحسن العمل .

[غضب المأمون ثم سكن غضبه]

أخبرنا محمدُ بنُ العباسِ قال : حدَّثني أبي عن أخيه أبي جعفرٍ قال : دخلت يوماً على المأمون بقارا ، وهو يريد الغزو فأنشدته شعراً مدحتُه فيه ؛ أوّله² :

يا قصرُ ذا النَّخلاتِ من بارا إنِّي حللتُ إليك من قارا³
أبصرتُ أشجاراً على نهر فذكرتُ أشجاراً وأنهارا
للهِ أيّامٌ نِعمتُ بها بالقُفصِ أحياناً وفي بارا⁴

1 شعر البيهقيين : 177 .

2 شعر البيهقيين : 168-169 .

3 بارا : قرية كانت قريبة من بغداد .

4 القفص : قرية أخرى قريبة من بغداد كانت تقصد للنزهة ومجالس الفرح .

إذ لا أزال أزور غانية أهبو بها وأزور خمّارا
لا أستجيب لمن دعا هُدًى وأجيب شطّاراً ودُعّارا
أعصي الصيخ وكلّ عاذلة وأطيع أوتاراً ومزمارا
قال : فغضب المأمون ، وقال : أنا في وجه عدو ، وأحضّ النَّاسَ على الغزو ، وأنت
تذكّرهم نزهة بغداد ؟ فقلت : الشيء بتمامه ، ثم قلت :

فصحوت بالمأمون عن سُكْرِي ورأيتُ خيرَ الأمرِ ما اختارا
ورأيتُ طاعته مؤديّةً لِلْفَرَضِ إعلانا وإسرارا
فخلعتُ ثوبَ الهزلِ عن عنقي ورضيتُ دارَ الجِدِّ لي دارا
وظللتُ معتصماً بطاعته وجواره وكفى به جارا
إنّ حلَّ أرضاً فهني لي وطنٌ وأسيرٌ عنها حيثما سارا

فقال له يحيى بن أكتّم : ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين ! أخبر أنه كان في سكر وخسار ،
فترك ذلك وارعوى ، وآثر طاعة خليفته ، وعلم أنّ الرشد فيها ؛ فسكن وأمسك .
[يجيز بينا للمأمون]

حدّثني الصوليُّ قال : حدّثني محمدُ بنُ يحيى بن أبي عباد قال : حدّثني هارونُ بنُ
محمدِ بن عبد الملك الزياتُ عن أبيه قال : دعا المعتصمَ ذات يوم المأمونُ فجاءه ، فأجلسه
في بيت على سَفْفِهِ جامات ، فوقع ضوء الشمس من وراء تلك الجامات على وجه سيما
التركي غلام المعتصم ، وكان المعتصم أوجد النَّاسَ به ، ولم يكن في عصره مثله ، فصاح
المأمون يا أحمدُ بن محمد الزيديّ ، وكان حاضراً ، فقال : انظر إلى ضوء الشمس على وجه
سيما التركيّ ، رأيتُ أحسن من هذا قطّ ؟ وقد قلت : [من السريع]

قد طلعتُ شمسٌ على شمسٍ وزالتُ الوحشةُ بالأنسِ

أجزُّ يا أحمدُ ، فقلت :

قد كنتُ أشنا الشمسَ فيما مضى فصرتُ أشتاقُ إلى الشمسِ

قال : وطفن المعتصم ، فعضَّ على شفته لأحمد . فقال أحمدُ للمأمون : والله لئن لم يعلم
الحقيقة من أمير المؤمنين لأقعنَّ معه فيما أكره ، فدعاه المأمون فأخبره الخبر ، فضحك المعتصم .
فقال له المأمون : كثرَ اللهُ في غلمانك مثله ، إنَّما استحسنت شيئاً فجرى ما سمعت لا غيره .
[حفرقه على المأمون]

حدّثني الصوليُّ قال : حدّثني عونُ بن محمدٍ قال : حدّثني أحمدُ بن محمدِ الزيديّ قال :
كنّا بين يدي المأمون ، فأنشدته مدحاً ، فقال : لئن كانت حقوق أصحابي تجب عليّ لطاعتهم

بأنفسهم فإنَّ أحمدَ ممَّن تجبُّ له المراعاة لنفسه وصُحبتَه ، ولأبيه وخدمته ، ولجَدَّه وقديم خدمته وحرمته ، وإنَّه للعرِيق في خدمتنا . فقلت : قد علِّمْتَنِي يا أمير المؤمنين كيف أقول ، ثم تنحَّيتُ ورجعتُ إليه ، فأنشدته¹ :

لي بالخليفة أعظم السببِ فيه أمنتُ بوائقَ العَطَبِ
ملك غَدَّتني كَفَّه وأبي قبلي وجدِّي كان قبلَ أبي
قد خصَّني الرحمنُ منه بما أسمو به في العجمِ والعربِ

فضحك ، وقال : قد نظمتَ يا أحمد ما نثرناه .

هذا آخر أخبار اليزيديين وأشعارهم التي فيها صنعة .

صوت

[من الطويل]

أفي كُلِّ يومٍ أنتَ من غُبرِ الهوى إلى الشَّمِّ من أعلامِ ميلاءِ ناظرُ
بعمشاءٍ من طولِ البكاءِ كأنَّما بها خَزَرَ أو طرفُها مُتخازرُ

عروضه من الطويل ، والغُبرُ : البقية من الشيء ، يقال : فلان في غبر من علته . وأكثر ما يستعمل في هذا ونحوه ، والشَّمُّ : الطوال ، والأعلام جمع علم وهو الجبل ، قالت الخنساء² :

وإنَّ صخرًا لتأتَمَّ الهداةُ به كأنَّه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ
والخَزَرُ : ضيق العين وصغرُها ، ومنه سُمِّي الخزر بذلك لصغر أعينهم ، قال الراجز :

إذا تخازرت وما بي من خَزَرَ ثم كسرت الطرفَ من غيرِ عوزِ
والشعر لرجل من قيس يقال له كعب ، ويلقَّب بالمخبل . والغناء لإبراهيم ، ثقیل أول بالوسطى . ومن النَّاس مَنْ يروي الشعر لغير هذا الرجل وينسبه إلى ذي الرُّمَّة³ ، ويجعل فيه مئة مكان ميلاء ، ويقال : إنَّ للحن لابن المكِّي ، وقد نسب إلى غيرهما ، والصحيح ما ذكرناه أولاً .

1 شعر اليزيديين : 161 عن الأغاني .

2 ديوان الخنساء (صادر) : 49 .

3 ليسا في ديوانه .

[424] - أخبار المخبل القيسي ونسبه¹

[تزوج ابنة عمه وأحب أختها]

قال عبدُ الله بنُ أبي سعد الوراق ، فيما أخبرني به حبيب بنُ نصر المهلبّي ، إجازة عنه : حدّثني علي بن الصباح بن الفرات ، قال : أخبرني علي بن الحسن بن أيّوب النبيل ، عن رباح بن قطيب بن زيد الأسديّ ، قال : كانت عند رجل من قيس يقال له : كعب ، بنتٌ عمٌّ له ، وكانت أحبّ النَّاس إليه فخلا بها ذات يوم فنظر إليها وهي واضعة ثيابها ، فقال : يا أمّ عمرو ، هل تَرين أنّ الله خلق أحسنَ منك ؟ قالت : نعم ، أحتي ميلاء ، هي أحسن منّي . قال : فإنّي أحبّ أن أنظر إليها ، فقالت : إنّ علمت بك لم تخرج إليك ، ولكن كُن من وراء السّتر ، ففعل ، وأرسلتُ إليها فجاءتها ، فلما نظر إليها عشقها وانتظرها حتى راحت إلى أهلها ، فاعترضها فشكا إليها حبّها ، فقالت : والله يا ابن عمّ ، ما وجدت من شيء إلا وقد وقع لك في قلبي أكثرُ منه . وواعدته مرّةً أخرى ، فأتتهما أمّ عمرو وهما لا يعلمان ، فرأتها جالسين ، فمضت إلى إختها ، وكانوا سبعة ، فقالت : إمّا أن تزوجوا ميلاء كعباً ، وإمّا أن تكفوني أمرها . [رحيله عندما انكشف حبه]

وبلغهما الخبر ، ووقف إختها على ذلك ، فرمى بنفسه نحو الشام حياءً منهم ، وكان منزله ومنزل أهله الحجاز ، فلم يدرِ أهله ولا بنو عمّه أين ذهب ، فقال كعبٌ : [من الطويل]

أفي كلّ يومٍ أنتَ من لاجعِ الهوى	إلى الشّمِّ من أعلامِ ميلاءِ ناظرٌ
بعمشاءٍ من طولِ البكاءِ كأنّما	بها خزرٌ أو طرفها متخازرٌ
تمنى المنى حتى إذا ملّت المنى	جرى واكيفٌ من دمعها متبادرٌ
كأرفضٍ عنها بعدما ضمّ ضمّةً	بخيطة الفتيّل اللؤلؤ المتناثرٌ

[رواية شعره تدل عليه]

قال : فرواه عنه رجل من أهل الشام ، ثم خرج بعد ذلك الشاميّ يريد مكّة ، فاجتاز بأمر

1 ترجمة المخبل القيسي في المؤلف والمختلف : 271 ، وقال صاحبه لا أعرف نسبه ، وأورد له خمسة أبيات رائية ؛ وفي معجم المرزبانيّ : 235 ، إذ ورد فيه : حجازيّ إسلاميّ أحد التميمين المشهورين بالعشق وأورد له بيتين يائيين وبيتاً من النونية ؛ وفي تزيين الأسواق : 170-173 ، وفيه : هو أبو خنعم كعب بن مالك أو عبدالله أو خنعم بن لابي بن رباح بن ضمرة ، طائي من عرب الحجاز ، وفيه أيضاً : وكان جواداً سخياً شجاعاً مألوف الصورة وأورد ابن حمدون في التذكرة (6 : 154-156) خبر وفاته قريباً ممّا في الأغاني ، وسمّاه كعب بن مالك ؛ وانظره أيضاً في مصارع العشاق (صادر) 2 : 140-143 .

عمرو وأختها ميلاء ، وقد ضلَّ الطريقَ ، فسلمَّ عليهما ثم سألهما عن الطريق ، فقالت أمُّ عمرو : يا ميلاء ، صفي له الطريق ، فذكر ، لما نادى : يا ميلاء ، شعر كعبٌ هذا ، فتمثَّل به ، فعرفت أمُّ عمرو الشعر ، فقالت : يا عبد الله ، من أين أنت ؟ قال : رجل من أهل الشام . قالت : من أين رويتَ هذا الشعر ؟ قال : رويته عن أعرابيٍّ بالشام . قالت : أو تدري ما اسمه ؟ فقال : سمعتُ أنه كعبٌ ، فأقسمتُ عليه : لا تترجح حتى تعرفَ إخوتنا بذلك فنحسَن إليك نحنُ وهم ، وقد أنعمتَ علينا . قال : أفعل ، وإني لأروي له شعراً آخر ، فما أدري أتعرفانه أم لا ؟ فقالت : نسألك بالله إلا أسمعتنا ، قال : سمعته يقول¹ : [من الطويل]

خليلي قد قستُ الأمورَ ورُمْتُها بنفسي وبالفتيانِ كلَّ زمانِ
فلم أخفِ سوءاً للصدیقِ ولم أجذُ خلياً ولا ذا البثِّ يستويانِ
من النَّاسِ إنسانانِ ديني عليهما مليانِ لسو شاءا لقد قضَيانِي²
خليلي أمَّا أمُّ عمرو فمنهما وأمَّا عن الأخرى فلا تسلانِي
بُلينا بهجرانِ ولم أرَ مثلنا من النَّاسِ إنسانَيْن يهتجرانِ
أشدُّ مصافاةً وأبعدَ من قَلِي وأغصى لِواشٍ حينَ يكتفيانِ
تحدَّثَ طرفانا بما في صدورنا إذا استعجمتَ بالمنطقِ الشفتانِ
فوالله ما أدري أكلُّ ذوي الهوى على ما بناؤُ أو نحن مبتليانِ ؟
فلا تعجبا ممَّا بيَ اليومَ من هوى فبي كلَّ يومٍ مثلُ ما تريانِ
خليلي عن أيِّ الذي كان بيننا من الوصلِ أم ماضي الهوى تسلانِ ؟
وكنا كَرِيمِي معشرٍ حُمِّ بيننا هوى فحفظناه بحسنِ صيانِ
سلاه بأَمِّ العَمرو مَن هي إذ بدا به سقمٌ جَمٌّ وطولُ ضمانِ³
فما زادنا بعدُ المدى نَقْضَ مِرَّةٍ ولا رجعا مِن عَلْمنا ببيانِ⁴
خليلي لا والله ما لي بالذي تريدان من هجرِ الحبيبِ يدانِ
ولا لي بالبينِ اعتلاءٍ إذا نأت كما أئتما بالبينِ معتليانِ

1 هذا الشعر في تزيين الأسواق (28 بيتاً) ومصارع العشاق (18 بيتاً) والتذكرة الحمدونية (11 بيتاً) مع بعض اختلاف في الرواية .

2 مليونان (مليان) : مقتدران .

3 ضمان : مرض ملازم .

4 المرة : قتل الحبل .

[وجد ميلاء قد توفيت فمات غماً]

قال : ونزل الرجل ووضع رحله حتى جاء إخوتها ، فأخبروه الخبر ، وكانوا مهتمين بكعب ، وكان كعب أظرفهم وأشعرهم ، فأكرموا الرجل وحملوه على راحلة ودلّوه على الطريق ، وطلبوا كعباً فوجدوه بالشام ، فأقبلوا به ، حتى إذا كانوا في ناحية ماء أهلهم إذا الناس قد اجتمعوا عند البيوت . وكان كعب تركُ بُنيّاً له صغيراً ، فزحمه غلام منهم في ناحية الماء ، فقال له كعب : ويحك يا غلامُ ! مَنْ أبوك ؟ فقال : رجل يقال له : كعب ، قال : وعلى أيّ شيء قد اجتمع الناس ؟ وأحسّ قلبه بالشرّ . قال : اجتمعوا على خالتي ميلاء . قال : وما قصتها ؟ قال : ماتت . فزفر زفرة مات منها مكانه ، فدُفِنَ حذاء قبرها . قال : وقال كعب وهو بالشام :

أحقّاً عبادة الله أن لستُ ماشياً	بمرحابٍ حتى يُحشَرَ الثقلانِ
ولا لاهياً يوماً إلى الليلِ كلّه	بييضٍ لطيفاتِ الخصورِ رواني
يُمنِّنا حتى تَرِيعَ قلوبنا	ويخلِطنَ مَطْلاً ظاهراً بليان ¹
فعيني يا عيني حَتّامٌ أنما	بهجرانٌ أمّ العمرِ تختلجانِ
أما أنما إلاّ عليّ طليعةٌ	على قُربِ أعدائي كما تريانِ
فلو أن أمّ العمرِ أضحتْ مقيمةً	بمصرَ وجثماني بشحرِ عُمانِ
إذا لرجوتُ اللهَ يجمع شملنا	فإنّا على ما كان ملتقيانِ

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

من الناس إنسانانِ دَنيّ عليهما	مليانٍ لو شاءا لقد قضيانِ
خليليّ أمّا أمّ عمرو فمئهما	وأما عن الأخرى فلا تسَلانِ

عروضه من الطويل ، الشعر ، على ما في هذا الخبر ، لكعب المذكورة قصته ، وروى المفضلُ بنُ سلمة وأبو طالب بن أبي طاهر هذين البيتين مع غيرهما لابن الدُمينة الخثعميّ . والغناء لإبراهيم الموصليّ ، خفيف رمل بالوسطى ، ذكره أبو العنّيس عنه ، وذكر ابن المكيّ أنّه لعلّويه . والأبيات التي ذكرنا أنّ المفضلَ بنَ سلمة وابن أبي طاهر رويها لابن الدُمينة مع

البيتين اللذين فيهما الغناء هي ¹ :

مِن النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيَّنِي عَلَيْهِمَا
خَلِيلِي أُمَّ أُمَّ عَمَرُو فَمِنْهُمَا
مُنُوعَانَ ظَلَّامَانَ مَا يُنْصَفَانِي
مِنَ الْبَيْضِ نَجْلَاءَ الْعَيُونِ غَذَاهُمَا
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامِ بِلَادَهَا
إِذَا اغْرُورَقْتُ عَيْنَايَ قَالَ صَحَابَتِي
وَقَدْ رُويَ أَيضاً أَنَّ هَذَا الْبَيْتَ :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامِ بِلَادَهَا

لِعُرْوَةَ بْنِ حَزَامٍ :

أَلَا فَاحِمْ لَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ ذَرَانِي ³
أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ وَكَيْعُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدِ الْقَيْسِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي
سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي خَارِجَةُ الْمَلَلِيَّةُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى عُرْوَةَ بْنَ حَزَامٍ
يَطَافُ بِهِ حَوْلَ الْبَيْتِ ، قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا الَّذِي أَقُولُ : [من الطويل]
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ رَامِ بِلَادَهَا بَعَيْنَيْنِ إِنْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ
أَلَا فَاحِمْ لَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ ذَرَانِي

فَقُلْتُ : زِدْنِي ، قَالَ : لَا ، وَلَا حَرْفَ .

[التغني بالصوت المنسوب إليه يهيج الوراق للإيقاع بشخصين]

ويقال : إنَّ الَّذِي هَاجَ الْوَأَثِقَ عَلَى الْقَبْضِ عَلَى أَحْمَدَ بْنَ الْخَصِيبِ وَسَلِيمَانَ بْنَ وَهَبٍ أَنَّ
غَنَى هَذَا الصَّوْتِ ، أَعْنِي :

مِن النَّاسِ إِنْسَانَانِ دَيَّنِي عَلَيْهِمَا
فَدَعَا خَادِمًا كَانَ لِلْمَعْتَصِمِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَصْدِقْنِي وَالْأُضْرِبْتُ عَنْقَكَ . قَالَ : سَلِّ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ عَمَّا شَعْتُ . قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي وَقَدْ نَظَرَ إِلَيْكَ يَتَمَثَّلُ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، وَيَوْمَى إِلَيْكَ
إِيمَاءَ تَعْرِفُهُ ، فَمِنَ اللَّذَانِ عَنِي ؟ قَالَ ، قَالَ لِي : إِنَّهُ وَقَفَ عَلَى إِقْطَاعِ أَحْمَدَ بْنَ الْخَصِيبِ

1 في ديوان ابن الدمينية (168-172) قصيدة نونية تشترك مع شعر المخبل في أبيات متعددة .

2 الجران : مقدم عنق البعير .

3 الروحاء : موضع قريب من المدينة .

وسليمان بن وهب ألفي دينار ، وأنه يريد الإيقاع بهما . فكان كلما رآهما يتمثل بهذين البيتين . قال : صدقتني والله ، والله لا سباني بهما كما سبقاه ، ثم أوقع بهما .
وأخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثني ميمون بن هارون ، قال : نظر الواثق إلى أحمد بن الخصب يمشي ، فتمثل :

[من الطويل]

من الناس إنسانان دُني عليهما

[من الطويل]

وذكر البيتين ، وأشار بقوله :

خليلي أمّا أمّ عمرو فمنهما

إلى أحمد بن الخصب . فلما بلغ هذا سليمان بن وهب ، قال : إنا لله ! أحمد بن الخصب والله أمّ عمرو ، وأنا الأخرى . قال : ونكبهما بعد أيام . وقد قيل : إن محمد بن عبد الملك الزيات كان السبب في نكبتهما .

[ابن الزيات يخرض الواثق]

أخبرنا محمد بن يحيى ، قال : حدثنا عون بن محمد الكندي ، قال : كانت الخلافة أيام الواثق تدور على إيتاخ ، وعلى كاتبه سليمان بن وهب ، وعلى أشناس وكاتبه أحمد بن الخصب ، فعمل الوزير محمد بن عبد الملك الزيات قصيدة ، وأوصلها إلى الواثق على أنها لبعض أهل العسكر ، وهي¹ :

[من البسيط]

حُزّت الخلافة عن آبائك الأول
فيه البرية من خوف ومن وهل²
وكلهم حاطب في حبل مُحْتَبِل³
مشارك الأرض من سهل ومن جبل
إلى الجزيرة فالأطراف من ملل⁴
أحكامه في دماء القوم والنفل
خلافة الشام والغازين والقفل
بما أراد من الأموال والحلل

يا ابن الخلائف والأملك إن نسبوا
أجرت أم رقدت عينك عن عجب
وليت أربعة أمر العباد معاً
هذا سليمان قد ملكت راحته
ملكته السند فالشحرين من عدن
خلافة قد حواها وحده فمضت
وابن الخصب الذي ملكت راحته
فنبيل مصر فبحر الشام قد جريا

1 لم ترد في ديوانه أن فيه (زيادات من الأغاني) .

2 الوهل : الفرع .

3 المحتبل : من يمسك الصيد بالحبال . وهو من المثل «هو يحطب في حبله» في مجمع الميداني 2 : 386 ، 398 .

4 ملل : موضع في طريق مكة .

كَأَنَّهُمْ فِي الَّذِي قَسَمْتَ بَيْنَهُمْ
حَوَى سَلِيمَانَ مَا كَانَ الْأَمِينُ حَوَى
وَأَحْمَدُ بْنُ خَصِيبٍ فِي إِمَارَتِهِ
أَصْبَحْتَ لَا نَاصِحَ يَأْتِيكَ مُسْتَتْرَأً
سَلْ بَيْتَ مَالِكَ أَيْنَ الْمَالِ تَعْرِفُهُ
كَمْ فِي حُبُوسِكَ مِمَّنْ لَا ذُنُوبَ لَهُمْ
سُمِّيَتْ بِاسْمِ الرَّشِيدِ الْمُرْتَضَى فِيهِ
عِثٌّ فِيهِمْ مِثْلُ مَا عَاثَ يَدَاهُ مَعاً

فلما قرأ الواثق الشعر غاظه وبلغ منه ، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن
الخصيب ، وأخذ منهما ومن أسبابهما ألف ألف دينار ، فجعلها في بيت المال ، فقال
أحمد بن أبي فتن¹ :

نَزَلْتُ بِالْخَائِنِينَ سَنَةً
سَوَّعْتَ ذَا النِّصْحِ بَغِيَّتَهُ
فَتَرَى أَهْلَ الْعَفَافِ بِهَا
وَتَرَى مَنْ جَارَ هِمَّتَهُ

[من المنسرح]

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ لَابْنَ الزِّيَّاتِ :
إِيهًا أَبَا جَعْفَرٍ وَلِلدَّهْرِ كَرٌّ
أَرْسَلْتَ لَيْثًا عَلَى فَرَائِسِهِ
لَكِنَّهُ قُوَّتُهُ وَفِيكَ لَهُ

وهي أبيات ، وقد كان أحمد بن أبي دواد حمل الواثق على الإيقاع بابن الزيات ، وأمر
علي بن الجهم فقال فيه⁵ :

[من الرجز]

لَعَائِنُ اللَّهِ مُؤَفَّرَاتٍ
مُصَبَّحَاتٍ وَمَهْجَرَاتٍ

1 شعر ابن أبي فتن (شعراء عباسيون ، السامرائي) 1 : 185-186 .

2 السنة : الجذب ، وهنا يعني المحنة .

3 احتجته : حازه لنفسه .

4 اللطائف : لظنة قوته .

5 ديوان علي بن الجهم (صادر) : 81-82 .

عَلَى ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ عَرَضَ شَمَلَ الْمَلِكِ لِلشَّتَاتِ
يَرْمِي الدَّوَاوِينَ بِتَوَقِيعَاتِ مَعْقَدَاتٍ غَيْرِ مَفْتُوحَاتِ
أَشْبَهَ شَيْءَ بُرْقَى الْحَيَاتِ كَأَنَّهَا بِالزَّيْتِ مَدَهُونَاتِ
بَعْدَ رُكُوبِ الطُّوفِ فِي الْفِرَاتِ وَبَعْدَ بَيْعِ الزَّيْتِ بِالْحَبَاتِ
سَبْحَانَ مَنْ جَلَّ عَنِ الصِّفَاتِ هَارُونَ يَا ابْنَ سَيِّدِ السَّادَاتِ
أَمَّا تَرَى الْأُمُورَ مَهْمَلَاتِ تَشْكُو إِلَيْكَ عَدَمَ الْكِفَاةِ

وهي أبيات . فهمّ الواثق بالقبض على ابن الزيات ، وقال : لقد صدق قائل هذا الشعر ، ما بقي لنا كاتب . فطرح نفسه على إسحاق بن إبراهيم ، وكانا مجتمعين على عداوة ابن أبي دواد . فقال للواثق : أمثلُ ابن الزيات ، مع خدمته وكفايته ، يفعل به هذا ، وما جنى عليك وما خانك ، وإنما ذلك على خونة أخذت ما اختانوه ، فهذا ذنبه ؟ وبعد ، فلا ينبغي لك أن تعزل أحداً أو تعد مكانه جماعة يقومون مقامه ، فمن لك بمن يقوم مقامه ؟ فمحا ما كان في نفسه عليه ورجع له . وكان إيتاخ صديقاً لابن أبي دواد ، فكان يغشاه كثيراً ، فقال له بعض كتّابه : إن هذا بينه وبين الوزير ما تعلم ، وهو يجيئك دائماً ، ولا تأمنُ أن يظنّ الوزير بك ممالأة عليه ؛ فعرفه ذلك . فلما دخل ابن أبي دواد إليه خاطبه في هذا المعنى ، فقال : إني والله ما أجيئك متعزراً بك من ذلة ، ولا متكثراً من قلة ، ولكن أمير المؤمنين رتبك رتبة أوجب لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا عنه فلنفسك ، ثم خرج من عنده فلم يعد إليه .

وفي هذه القصة أخبار كثيرة يطول ذكرها ، ليس هذا موضعها ، وإنما ذكرنا هاهنا هذا القدر منها كما يذكر الشيء بقرائنه .

صوت¹

[من الرمل]

عِشْ فَحَبِّبِكَ سَرِيعاً قَاتِلِي وَالضُّنِّيَ إِنْ لَمْ تَصِلْنِي وَاصِلِي
ظَفَرَ الشُّوقِ بِقَلْبِ دَنْفٍ فِيكَ وَالسُّقْمُ بِجِسْمِ نَاحِلِ²
فَهُمَا بَيْنَ اكْتِتَابٍ وَضُنِّي تَرَكَانِي كَالْقَضِيْبِ الذَّابِلِ

الشعر لخالد الكاتب ، والغناء للمسدود ، رمل مطلق في مجرى الوسطى ، وذكر جحظة أن هذا الرمل أخذ عنه ، وأنه أول صوت سمعه فكتبه .

1 ديوان خالد الكاتب : 381-382 .

2 دنف في الديوان : مدنف . والدنف : الذي يلازمه المرض .

[425] - أخبار خالد الكاتب¹

[وسوسته]

هو خالد بن يزيد ، ويكنى أبا الهيثم ، من أهل بغداد ، وأصله من خراسان ، وكان أحد كتاب الجيش . ووسوس في آخر عمره ، قيل إن السوءاء غلبت عليه ، وقال قوم : كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها ، وولاه محمد بن عبد الملك الإعطاء في الثغور ، فخرج فسمع في طريقه منشداً ينشد ، ومغنية تغني :

مَنْ كَانَ ذَا شَجَنِ بِالشَّامِ يَطْلُبُهُ ففِي سِوَى الشَّامِ أَمْسَى الْأَهْلُ وَالشَّجْنُ
[اتصاله بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي]

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه ، ثم أفاق مختلطاً . واتصل ذلك حتى وسوس وبطل . وكان اتصل بعلي بن هشام وإبراهيم بن المهدي . وكان سبب اتصاله بعلي بن هشام أنه صحبه في وقت خروجه إلى قم ، في جملة كتاب الإعطاء ، فبلغه وهو في طريقه أن خالداً يقول الشعر ، فأئس به وسر به ، وأحضره فأنشده قوله² :

يا تاركَ الجِسمِ بلا قلبٍ إن كنتُ أهواكُ فما ذنبي ؟
يا مُفرداً بالحسنِ أفردتني منك بطولِ المهجرِ والعتبِ
إن تكُ عيني أبصرتُ فتنةً فهل على قلبي من عتبِ
حسبيكَ اللهُ لما بي كما أنك في فعلك بي حسبي
[اتصاله بالمعتصم]

للمسدود في هذه الأبيات رمل طنبورتي مطلق من رواية الهشامي ، قال : فجعله علي بن هشام في ندمائه إلى أن قُتل ، ثم صحب الفضل بن مروان ، فذكره للمعتصم وهو بالماحوزة³ قبل أن يئني سر من رأى ، فقال خالد⁴ :

1 ترجمة خالد الكاتب في تاريخ بغداد 8 : 308 والمنتظم 5 : 35 وبغية الطلب 6 : 121 ومعجم الأدباء (عباس) : 1243-1245 وابن خلكان 2 : 232 والوافي 13 : 278 والفوات 1 : 401-402 وطبقات ابن المعتز : 404-406 . وقد حقق ديوانه د . يونس السامرائي (1981) .

2 ديوانه : 482-483 .

3 الماحوزة : موضع قرب سامرا .

4 ديوان خالد الكاتب : 533 .

عزمَ السرورَ على المقامِ مِ بِسْرٍ مَنْ رَا لِلْإِمَامِ
بَلَدُ الْمَسْرَةِ وَالْفَتْوِ حِ الْمَسْتَنِيَرَاتِ الْعِظَامِ
وتراه أشبهَ منزلٍ فِي الْأَرْضِ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ
فَاللَّهُ يَعْمُرُهُ بِمَنْ أَضْحَى بِهِ عِزُّ الْأَنَامِ

فاستحسنها الفضلُ بنُ مروان وأوصلها إلى المعتصم قبل أن يُقالَ في بناءِ سرٍّ مَنْ رأى شيء ، فكانت أولَ ما أنشد في هذا المعنى من الشعر ، فببركُ بها وأمر الخالد بخمسة آلاف درهم . وذكر ذلك كلُّه إسماعيل بن يحيى الكاتب ، وذكر اليوسفي صاحب الرسائل أنَّ خالدًا قال أيضًا في ذلك¹ :

بَيْنَ صَفْوِ الزَّمَانِ عَنْ كَدْرِهِ فِي ضَحِكَاتِ الرِّبْعِ عَنْ زَهْرِهِ
يَا سُرَّ مَنْ رَا بوركْتِ مِنْ بَلَدٍ بُورِكِ فِي نَبْتِهِ وَفِي شَجْرِهِ
غَرَسُ جُدُودِ الْإِمَامِ يَنْبِتُهُ بِأَبِكِ وَالْمَازِيَارُ مِنْ ثَمَرِهِ
فَالْفَتْحُ وَالنَّصْرُ يَنْزِلَانِ بِهِ وَالْخِصْبُ فِي تُرْبِهِ وَفِي شَجْرِهِ

فغنى مخارقٌ في هذه الأبيات ، فسأله المعتصم : لِمَنْ هذا الشعر ؟ فقال : لخالد يا أمير المؤمنين ، قال : الذي يقول² :

كَيْفَ تُرْجَى لِدَاذَةِ الْاِغْتِمَاضِ لِمَرِيضٍ مِنَ الْعَيُونِ الْمِرَاضِ

فقال محمد بنُ عبد الملك : نعم يا أمير المؤمنين ، هو له ، ولكن بضاعته لا تزيد على أربعة أبيات . فأمر له المعتصم بأربعة آلاف درهم . وبلغ خالدًا الخيرُ ، فقال لأحمد بن عبد الوهاب صاحب محمد بن عبد الملك ، وقيل لأبي جعفر ، أعزه الله : إذا بلغتُ المراد في أربعة أبيات فالزيادة فضل .

[دَعِبِلْ يَنْصَحُهُ بِأَنْ يَنْتَصِرَ عَلَى الْمَقْطَعَاتِ]

قال اليوسفي³ : ولَمَّا قال خالد في صفةِ سرٍّ مَنْ رأى قصيدته التي يقول فيها³ : [من الخفيف]

اسْقِنِي فِي جِرَائِرِ وَزِقَاقِ لِتُلَاقِي السَّرُورِ يَوْمَ التَّلَاقِ
مِنْ سُلَافٍ كَأَنَّ فِي الْكَأْسِ مِنْهُ عِبْرَاتٍ مِنْ مَقَلَّتِي مُشْتَقِ

1 ديوانه : 512 .

2 ديوانه : 517 .

3 ديوانه : 521 .

في رياضِ بَسْرٍ مَنْ رَأَى إِلَى الْكَرِّ خِ وَدَعْنِي مِنْ سَائِرِ الْآفَاقِ
بَادِكَارَاتِ كُلِّ فَتْحٍ عَظِيمٍ لِإِمَامِ الْمَهْدِيِّ أَبِي إِسْحَاقِ

وهي قصيدة ، لقيه دِعْبِلٌ فقال : يا أبا الهيثم ، كنتَ صاحبَ مُقَطَّعاتِ فداخِلَتِ الشعراءُ في القصائدِ الطوالِ وأنت لا تدوم على ذلك ، ويوشك أن تتعب بما تقول وتُغَلِّبَ عليه . فقال له خالد : لو عرفتُ النُّصَحَ منك لِغَيْرِي لأطعتك في نفسي .

[هجاء الحلبيّ الشاعر]

قال اليوسفيّ : وحدّثني أبو الحسن الشهرزاريّ : أن خالداً وقع بينه وبين الحلبيّ الشاعر الذي يقول فيه البحتريّ :

سل الحلبيّ عن حلب

خلافٌ في معنى شعر ، فقال له الحلبيّ : لا تعدُّ طَوْرَكَ فَأُخْرَسَكَ ! فقال له خالد : لستَ هناك ، ولا فيك موضعٌ للهجاء ، ولكن ستعلم أنّي أجعلك ضُحْكةً سُرّاً مَنْ رَأَى . وكان الحلبيّ من أوسخ النَّاسِ ، فجعل يهجو جَبَّتَه وثيابه وطيلسانه ، فمن ذلك قوله¹ : [من السريع]

وشاعرٍ ذي منطقي رائقٍ في جَبَّةٍ كالعارضِ البارقي
قطعاءِ شلاءٍ رقاعيّةٍ دَهْرِيَّةٌ مرقوعة العاتقي²
قدّمها العُرْيُ على نفسه لفضيلها في القَدْرِ السابقِ

وقوله³ :

وشاعرٍ مُقَدِّمٍ له قومُ ليس عليهم في نصره لومُ
قد ساعدوه في الجوعِ كلُّهمُ فقَرَى فكلُّ غداؤه الصومُ
يأتيك في جَبَّةٍ مُرَقَّعةٍ أطولُ أعمارِ مثلها يومُ
وطيلسانٍ كالآلِ يلبسه على قميصٍ كأنه غَيِّمُ
من حَلَبٍ في صميمِ سفليتها غناه فقرٌ وعزُّه ضَيِّمُ

قال : وقال فيه⁴ :

[من المنسرح]

1 ديوانه : 521-520 .

2 شلاء : من الشلال ، وهو السواد الثابت .

3 ديوانه : 531-530 .

4 ديوانه : 511-510 .

تأه على ربّه فأفقره حتى رآه الغني فأنكره
فصار من طول حِرْفَةٍ علماً يقذفه الرزق حيث أبصره¹
يا حليياً قضى الإله له بالتيه والفقير حين صوره
لَوْ خلطوه بالمسك وسخه أو طرحوه في البحر كدره

[إبراهيم بن المهدي يستنشه]

حدّثني جَحْظَةٌ ، قال : حدّثني خالد الكاتب ، قال : دخلتُ على إبراهيم بن المهدي فاستنشدني ، فقلت : أيها الأمير ، أنا غلامٌ أقول في شُجون نفسي ، لا أكاد أمدح ولا أهجو ، فقال : ذلك أشدّ لدواعي البلاء ، فأنشدته² :

صوت

عابتُ نفسي في هوا كَ فلم أجدها تقبَلُ
وأطعتُ داعيها إلي كَ ولم أطعْ مَنْ يعدلُ
لا والذي جعل الوجو هَ لحسن وجهك تمثُلُ
لا قلتُ إنَّ الصبرَ عد كَ من التصايي أجملُ

[لجحظة في هذه الأبيات رَمَلٌ مطلق بالوسطى .

قال : فبكى إبراهيم وصاح : وَايَ عليك إبراهيم ، ثم أنشدته أبياتي التي أقول فيها³ :

وبكى العاذلُ من رَحْمَتِي فُبُكائِي لِبُكَا العاذلِ

وقال إبراهيم : يا رشيقي ، كم معك من العَيْنِ ؟ قال : سِتِّماتَةٌ وخمسون ديناراً . قال : اقسِمِها بيني وبين الفتى ، واجعل الكَسْرَ له صحيحاً . فأعطاني ثلاثمائة وخمسين ديناراً ، فاشتريت بها منزلي بساباطِ الحسن والحسين ، فواراني إلى يومي هذا .

[المرء لا يهب ولده]

حدّثني جَحْظَةٌ ، قال : حدّثني خالد الكاتب قال : قال لي عليّ بن الجهم : هب لي بيتك الذي تقول فيه⁴ :

1 الحرفة : بضم الحاء وكسرها : الحرمان وسوء الحظّ .

2 ديوانه : 524 .

3 ديوانه : 382 .

4 ديوانه : 500 .

ليت ما أصبح من رقد
ة خديك بقلبك

فقلت : يا جاهل ، هل رأيت أحداً يهب ولده .

[سالم فحورب فاتجه إلى الهجاء]

وقال أحمد بن إسماعيل الكاتب : لقيت خالداً الكاتب ذات يوم فسألته عن صديق له ، وكان

قد باعده ولم أعلم ، فأنشأ يقول¹ :

[من الكامل]

ظعن الغريب لغيبة الأبد	حي المخافة نائي البلد
حيران يؤنسه ويكلوه	يوم توعده بشر غدي
سح الغراب له بأنكر ما	تعدو النحوس به على أحد
وابتاع أشامه بأيمنه الـ	جد العثور له يداً بيد
حتى ينيخ بأرض مهلكة	في حيث لم يولد ولم يلد
جزعت حليلته عليه فما	تخلو من الزفرات والكميد
نزل الزمان بها فأهلكها	منه وأهدى اليتيم للولد
ظفرت به الأيام فأنحسرت	عنه بناقرة ولم تكدي ²
فتركن منه بعد طيته	مثل الذي أبقين من لبدي ³

قال ، فقلت له : يا أبا الهيثم مذكم دخلت في قول الهجاء ؟ قال : مذ سألت فحوربت ،

وصافيت فتوقفت .

[غزل في غلام]

وقال الرياشي . كان خالد مغرمًا بالعلمان المرء ، يُنفق عليهم كل ما يُفيد ، فهوي غلاماً

يقال له : عبد الله ، وكان أبو تمام الطائي يهواه ، فقال فيه خالد⁴ :

[من مخرج البسيط]

قضيْبُ بانِ جناه وردُ	تحمله وجنةً وخذُ
لم أئن طرْفِي إليه إلا	مات عزاءً وعاش وجدُ
مُلْكٌ طَوَّعَ النفوسَ حتى	علمه الزهو حين يبدو

1 ديوانه : 505-506 .

2 الناقرة : الداهية .

3 لبد : آخر نسور لقمان .

4 ديوانه : 503-504 .

واجْتَمَعَ الصَّدُّ فِيهِ حَتَّى لَيْسَ لَخَلْقِي سِوَاهُ صَدُّ

فبلغ أبا تمام ذلك فقال فيه أبياتاً منها : [من السريع]

شِعْرُكَ هَذَا كُلُّهُ مَفْرُطٌ فِي بَرْدِهِ يَا خَالِدُ الْبَارِدُ

فَعَلِمَهَا الصَّبِيَانُ ، فَلَمْ يَزَالُوا يَصِيحُونَ بِهِ : يَا خَالِدُ يَا بَارِدُ حَتَّى وَسَّوَسَ . قَالَ : وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ هَذَا السَّبَبَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ غَيْرِ أَبِي تَمَّامٍ ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ . [هجاء أبي تمام]

وكان خالد قد هجا أبا تمام في هذه القصة فقال فيه ¹ : [من البسيط]

يَا مَعْشَرَ الْمُرْدِ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ وَالْمَرْءُ فِي الْقَوْلِ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذِبِ

لَا يَنْكَحُنَّ حَبِيباً مِنْكُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ وَجْعَاءَهُ أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ

لَا تَأْمَنُوا أَنْ تَحُولُوا بَعْدَ ثَالِثَةٍ فَتَرْكَبُوا عُمْداً لَيْسَتْ مِنَ الْخَشَبِ

[جد الأدب وهزله جد]

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الصَّوَلِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ : حَدَّثَنِي خَالِدُ الْكَاتِبِ ، قَالَ : لَمَّا بُويعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ بِالْخِلَافَةِ طَلَبَنِي ، وَقَدْ كَانَ يَعْرِفُنِي ، وَكُنْتُ مُتَّصِلاً بِبَعْضِ أَسْبَابِهِ . فَأَدْخِلْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : أَنْشِدْنِي يَا خَالِدُ شَيْئاً مِنْ شِعْرِكَ ، فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَيْسَ شِعْرِي مِنَ الشَّعْرِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمًا» ، وَإِنَّمَا أَمْزَحُ وَأَهْزِلُ ، فَقَالَ : لَا تَقُلْ هَذَا ، فَإِنَّ جِدَّ الْأَدَبِ وَهَزْلَهُ جِدٌّ ، هَاتِ أَنْشِدْنِي ، فَأَنْشَدْتَهُ :

عِشْ فَحُبِّبِكَ سَرِيعاً قَاتِلِي وَالضَّنَى إِنْ لَمْ تَصِلْنِي وَاصِلِي

ظَفِيرَ الشُّوقِ بِقَلْبٍ دَنِفَ فِيكَ وَالسُّقْمُ بِجَسْمٍ نَاحِلِ

فَهُمَا بَيْنَ اكْتِتَابِ وَضُنَى تَرَكَانِي كَالْقَضِيبِ الذَّابِلِ

قال : فاستملح ذلك ووصلني .

[يركب قصة فيصبح به الصبيان]

حَدَّثَنِي حَمْرَةَ بْنُ أَبِي سَلَالَةَ الشَّاعِرِ الْكُوفِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ بَغْدَادَ فِي بَعْضِ السَّنِينَ فَبَيْنَا أَنَا مَارٌّ بِجُنَيْتَةٍ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ عَلَيْهِ مَبْطُنَةٌ نَظِيفَةٌ ، وَعَلَى رَأْسِهِ قُنْصِيَّةٌ سَوْدَاءٌ ، وَهُوَ رَاكِبٌ قَصَبَةً ، وَالصَّبِيَانُ خَلْفَهُ يَصِيحُونَ بِهِ : يَا خَالِدُ يَا بَارِدُ ! فَإِذَا آذَوْهُ حَمَلُ عَلَيْهِمُ بِالْقَصَبَةِ ، فَلَمْ أَزَلْ أَطْرِدُهُمْ عَنْهُ حَتَّى تَفَرَّقُوا ، وَأَدْخَلْتَهُ بَسْتَانًا هُنَاكَ ، فَجَلَسَ وَاسْتَرَاحَ ، وَاشْتَرَيْتُ لَهُ

رُطْبًا فَأَكَل ، واستنشده فأنشدني¹ :

[من المنسرح]

قَدْ حَازَ قَلْبِي فَضَارَ يَمْلِكُهُ
فَكَيْفَ أَسْلُوَ وَكَيْفَ أَتْرَكُهُ !
رَطِيبُ جِسْمِ كَالْمَاءِ تَحْسَبُهُ
يَخْطِرُ فِي الْقَلْبِ مِنْهُ مَسْلِكُهُ
يَكَادُ يَجْرِي مِنَ الْقَمِيصِ مِنَ الدِّ
عَمَةٌ لَوْلَا الْقَمِيصُ يُمَسِكُهُ
فَاسْتَرَدُّهُ ، فَقَالَ : لَا ، وَلَا حَرْفٌ .

[حبه لغلام مفاقر]

وذكر علي بن الحسين بن أبي طلحة عن أبي الفضل الكاتب ، أنه دعا خالداً ذات يوم فأقام عنده . وخلع عليه ، فما استقر به المجلس حتى خرج ، قال : فأتبعته رسولاً ليعرف خبره ، فإذا هو قد جاء إلى غلام كان يحبه ، فسأل عنه فوجده في دار القمار ، فمضى إليه حتى خلع عليه تلك الثياب وقبله وعانقه وعاد إلينا . فلما جاء خالد أعطيت الغلام الذي وجهنا به دنانير ودعاه فجاء به إلينا ، وأخفيناه وسألنا خالداً عن خبره فكتمه وجمجم . فغمزنا الرسول فأخرجه علينا ، فلما رآه خالد بكى ودهش . فقلنا له : لا ترع ، فإن من القصة كيت وكيت ، وإنما أردنا أن نعرف خبرك لا أن نسوءك . فطابت نفسه وأجلسه إلى جنبه ، وقال : قد بليت بحبه وبالخوف عليه مما قد بلي به من القمار ، ثم أنشد لنفسه فيه² :

[من مجزوء الوافر]

مُحِبُّ شَقِّهِ أَلْمُهُ
وَخَامَرَ جِسْمَهُ سَقْمُهُ
وَبَاحَ بِمَا يُجَمِّمُهُ
مِنَ الْأَسْرَارِ مَكْتَمُهُ
أَمَّا تَرْتِي لِمَكْتَبِ
يُجِيئُ لِحْمِهِ وَدَمُهُ
يَغَارُ عَلَى قَمِيصِكَ حِي
نَ تَلْبَسُهُ وَيَتَّهَمُهُ

[يدرك جنونه]

وذكر علي بن الحسين أيضاً أن محمد بن السري حدثه أنه أطل الغيبة عن بغداد وقد وسوس خالد ، فمر به في الرصافة والصبيان يصيحون به : يا غلام الشريطي يا خالد البارد ! ويرجع إليهم فيضربهم ويزيد ويرميهم . قال : فقلت له : كيف أنت يا أبا الهيثم ؟ قال : كما ترى ! فقلت له : فمن تعاشر اليوم ؟ قال : من أحذرهُ ، فعجبت من جوابه مع اختلاله . فقلت له : ما قلت بعددي من الشعر ؟ قال : ما حفظه الناس وأنسيته ، وعلى ذلك قولي³ :

[من الخفيف]

1 ديوانه : 522 .

2 ديوانه : 530 .

3 ديوانه : 160 .

كَبِدٌ شَفَهَا غَلِيلُ التَّصَابِي بَيْنَ عَتَبٍ وَسَخْطَةٍ وَعَذَابٍ¹
 كُلُّ يَوْمٍ تَدْمِي بِجَرَحٍ مِنَ الشَّو قِ وَنَوْعٍ مَجْدِدٍ مِنْ عَذَابٍ²
 يَا سَقِيمَ الْجَفُونِ أُسْقِمْتَ جَسْمِي فَاشْفِنِي كَيْفَ شِئْتُ ، لَا بِكَ مَا بِي
 إِنْ أَكُنْ مَذْنِبًا فَكُنْ حَسَنَ الْعَفْ سَوْ أَوْ اجْعَلْ سَوَى الصُّدُودِ عَقَابِي

ثم قال : يا أبا جعفر ، جنت بعدك . فقلت : ما جعلك الله مجنوناً ؛ وهذا كلامك لي ونظمك .

حدثني محمد بن الطلاس أبو الطيب ، قال : حضرت جنازة بعض جيراني ، فلقيت خالداً في المقبرة فقبضت عليه ، وقلت : أنشدني ، فذهب ليهرُب مني ، فغمزت على يده غمزة أوجعته ، فقال : خلّ عني أنشدك ، فأرخت يدي عن يده ، فأنشدني³ : [من مجزوء الرجز]

لَمْ تَرَ عَيْنٌ نَظَرَتْ أَحْسَنَ مِنْ مَنْظَرِهِ
 النُّورُ وَالنَّعْمَةُ وَالنَّد عَمَةٌ فِي مَخْبَرِهِ⁴
 لَا تَصِلُ الْأَلْسُنُ بِالْ وَصَفٍ إِلَى أَكْثَرِهِ
 كَيْفَ بَمَنْ تَنْسَبُ الشَّ مَسُ إِلَى جَوْهَرِهِ

[ينشد شعراً لأبي تمام ، ثم ينشد شعراً عارضه به]

حدثني عمي ، رحمه الله ، قال : مرّ بنا خالد الكاتب هاهنا والصبيان خلفه يصيحون به ، فجلس إلي فقال : فرّق هؤلاء عني ، ففعلتُ ، وألحّت عليه جارية تصيحُ : يا خالد يا باردُ ! فقال لها : مُرِّي يا منتنة الكُسِّ ، ويا مَنْ كُسَّهَا دُس . فقلت له : يا أبا الهيثم ، أيُّ شيء معنى «دس» هاهنا ؟ قال : تشتهي الأير الصغير والكبير والوسط ، ولا تكره منها شيئاً . وأقبل الصبيان يصيحون بتلك الجارية بمثل ما قال لها خالد ، وهي ترميهم وتهرُبُ منهم حتى غابوا معها عنّا ، فأقبل عليّ خالد متمثلاً فقال⁵ :

وما أنا في أمري ولا في خصومتي بمهتضم حقي ولا قارع سني

1 وعذاب في الديوان : وعقاب .

2 الديوان : فكل الحشا بها في عذاب .

3 ديوانه : 228 .

4 النعمة بفتح النون : الترف .

5 البيت لأعشى بني ربيعة وقد تقدّم في ترجمته 18 : 105 .

فاحتَبَسْتُهُ عِنْدِي يَوْمِي ذَلِكَ . فَلَمَّا شَرِبَ وَطَابَتْ نَفْسُهُ ، أَنْشَدْنَا لِأَبِي تَمَّامٍ¹ : [من الكامل]

أَحْبَابَهُ لِمَ تَفْعَلُونَ بِقَلْبِهِ ما لَيْسَ يَفْعَلُهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ ؟
مَطَرًا مِنَ الْعِبْرَاتِ حَدَّيْ أَرْضُهُ حَتَّى الصَّبَاحِ وَمُقْلَتَايَ سَمَاوُهُ
نَفْسِي فِدَاءٍ مُحَمَّدٍ وَوِقَاؤُهُ وَكَذِبْتُ ، مَا فِي الْعَالَمِينَ فِدَاؤُهُ
أَزْعَمْتُ أَنَّ الْبَدْرَ يَحْكِي وَجْهَهُ وَالغَصْنَ حِينَ يَمِيدُ فِيهِ مَأْوُهُ²
اسْكُتْ فَأَيْنَ بَهَاؤُهُ وَكِإِلِهِ وَجَمَالُهُ وَحَيَاؤُهُ وَضِيَاؤُهُ³
لَا تَقْرَأُ أَسْمَاءَ الْمَلَاخَةِ بَاطِلًا فِيمَنْ سِوَاهُ فَإِنَّهَا أَسْمَاؤُهُ⁴

ثم قال : وقد عارضه أبو الهيثم ، يعني خالد نفسه ، فقال⁵ : [من الوافر]

فَدَيْتُ مُحَمَّدًا مِنْ كُلِّ سُوءٍ يَحَاذِرُ فِي رَوْاحٍ أَوْ غُدُوٍّ
أَيَا قَمَرَ السَّمَاءِ سَفَلْتِ حَتَّى كَأَنَّكَ قَدْ ضَجِرْتَ مِنَ الْعُلُوِّ
رَأَيْتِكَ مِنْ حَبِيبِكَ ذَا بَعَادٍ وَمِمَّنْ لَا يُجِيبُكَ ذَا دُنُوٍّ
وَحَسْبُكَ حَسْرَةٌ لَكَ مِنْ حَبِيبٍ رَأَيْتَ زَمَامَهُ بِيَدَيْ عَدُوٍّ

هكذا أخبرني عمي عن خالد ، وهذه الأبيات أيضاً تُروى لأبي تمام .

[توجهه لصديق عليل]

وقال ابن أبي طلحة : حدثني الهلالي ، قال : مررتُ بخالد وحوله جماعة يُنشدهم ، فقلت له : يا أبا الهيثم ، سلوتَ عن صديقك ، قال : لا والله . قلت : فإنه عليل وما عُدته . فسكت ساعة ثم رفع رأسه إليّ ، وقال⁶ :

زَعَمُوا أَنَّي صَحَوْتُ وَكَلًّا أَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّي لَنْ أَمَلًّا
كَيْفَ صَبْرِي يَا مَنْ إِذَا ازْدَادَ تَيْهًا أَبْدَأُ زِدْتَهُ خُضُوعًا وَذُلًّا

ثم قال : احفظه وأبلغه عني⁷ : [من الوافر]

1 ديوان أبي تمام (عطية) : 381 .

2 البدر في الديوان : الطبي .

3 الديوان :

4 الديوان : لا تغني أسماء الملاحاة والحجى .

5 ديوان خالد الكاتب : 536-535 وديوان أبي تمام : 415 .

6 ديوان خالد الكاتب : 360 .

7 ديوانه : 354 .

يَجْسِمِي لَا يَجْسِمُكَ يَا عَلِيلُ وَيَكْفِينِي مِنَ الْأَلَمِ الْقَلِيلُ
تَعْدَاكَ السَّقَامَ إِلَيَّ إِنِّي عَلَى مَا بِي لِعَادِيهِ حَمُولُ¹
إِذَا مَا كُنْتَ يَا أُمْلِي صَحِيحاً فَحَالَفَنِي وَسَأَلَمَكَ النَحْوُ
أَلَسْتَ شَقِيقَ مَا ضَمَّتْ ضُلُوعِي عَلَى أَنْسِي لِعِلَّتِكَ الْعَلِيلُ

[غزله بـغلام]

قال : وحدثني العباس بن يحيى أنهم كانوا عند علي بن المعتصم ، فغني في شعر لخالد ، فأمر بإحضاره ، وطلب فلم يوجد ، فوجه إلى غلام كان يتعشقه فأحضر ، وسأله عنه فدلل عليه ، وقال : كنا نشرب إلى السحر ، وقد مضى إلى حمام فلان ، وهو يخرج ويجلس عند فلان الفقاعي ، ودكانه مألّف للعلمان المرد والمغنين . فبعث إليه فأحضر . فلما جلس أخرج علي بن المعتصم الغلام ؛ وقال : هذا دلنا عليك ؛ وهو يزعم أنك تعشقه ، فقال له الغلام : نعم أيها الأمير ، لو لم يكن من فضيحتي إياي إلا أنه إذا لم يوجد أحضرتُ وسئلت عنه . فأقبل عليه خالد وقال :

[من السريع]

يَا تَارِكَ الْجِسْمِ بِلَا قَلْبٍ إِنْ كُنْتُ أَهْوَاكَ فَمَا ذَنْبِي
يَا مَفْرُداً بِالْحُسْنِ أَفْرَدْتَنِي مِنْكَ بِطُولِ الشَّقِيقِ وَالْحُبِّ
إِنْ تَكُ عَيْنِي أَبْصَرْتَ فِتْنَةً فَهَلْ عَلَى قَلْبِي مِنْ عَتَبٍ
حَسْبِيكَ اللَّهُ لَمَّا بِي كَمَا أَنْتَ فِي فَعْلِكَ بِي حَسْبِي

لجحظة فيه رمل ، فاستحسن علي الشعر ، وأمر له بخمسين ديناراً .

[اعتذار بـغلام]

قال : حدثني ابن أبي المدور أنه شهد خالداً عند عبد الرحيم بن الأزهر الكاتب ، وأنه دخل عليهم غلام من أولاد الكتاب ، فلما رأى خالداً عرض عنه ، فقلت له : لِمَ أَعْرَضْتَ عَنْ أَبِي الْهَيْثَمِ ؟ فقال : والله لو علمت أنه هاهنا ما دخلت إليكم ، ما يبالي إذا شرب هذين القدحين ما قال ولا مَنْ هَتَكَ . فقال لي خالد : أَلَا تُعِينِنِي عَلَى ظَلْمِي ؟ فقلت : بلى والله أعينك ، فأقبل على الفتى وقال² :

[من مجزوء الكامل]

صوت

هَبْنِي أَسَا تُفَكَانُ ذَنْبٌ حَبِي مِثْلُ ذَنْبِ أَبِي لَهَبٌ

1 لعاديه في الديوان : لعادته .

2 ديوانه : 483 .

فَأَنَا أَتُوبُ وَكَمْ أَسَأْتُ
تَ وَكَمْ أَسَأْتُ وَلَمْ تُتَّبِ

فما زلنا مع ذلك الفتى نُداريه ونستعطفه له حتى أُقبل عليه وكلمه وحادثه ، فطابت نفسه ، وسرَّ بقیةَ يومه .

في هذين البيتين لأبي العنْبَس خفيف رَمَل بالسبابة في مجرى الوسطى ، ولرذاذ خفيف رمل مطلق .

[تفاحة معضوطة]

وحدَّثني عبد الله بن صالح الطوسيُّ أنَّ عليَّ بن المعتصم دَعَا خالدًا يوماً وهو يشربُ ، وقد أخرجتُ إليه وَصِيفَةٌ من وَصَفَاء حَظِيَّتِهِ تفاحة مَعْضُوزَةٌ مُغَلَّفَةٌ بعثت بها إليه سَتُّهَا ، فقال¹ :

أشهى إليَّ من الدُّنيا وما فيها	تفاحةٌ خرجتُ بالدُّرِّ مِنْ فِيهَا
كَأَنَّما قُطِفَتْ من خَدِّ مُهْدِيهَا	بيضاء في حمرة عُلَّتْ بِغَالِيَةِ
رُوحِي من السوءِ والمكروهِ تَفْدِيهَا	جاءتُ بها قِينَةٌ من عندِ غَانِيَةِ
إِذَا لَأَسْرَعْتُ من لَحْدِي الْبِيهَا	لو كنتُ مَيْتاً وناديتُ بنغمتها

فاستحسن عليُّ بن المعتصم الأبيات ، وغنِّي فيها ، وأمرَ لهُ بتخت ثياب وخمسين ديناراً .

[426] - أخبار المسدود¹

[شجي الصوت حاضر البديهة]

المسدودُ من أهل بغداد ، وكان منزله في ناحية درب الفضل ، في الموضع المعروف بخراب المسدود ، منسوبٌ إليه .

وأخبرني جحظة أن اسمه الحسن ، وكنيته أبو علي ، وأن أباه كان قصاباً ، وأنه كان مسدوداً فرد منخر ومفتوح الآخر ، وكان يقول : لو كان منخري الآخر مفتوحاً لأذهلت بغنائي أهل الخلوم وذوي الألباب ، وشغلت من سمعه عن أمر دينه ودنياه ومعاشه ومعاده . قال جحظة : وكان أشجى الناس صوتاً وأحضرهم نادرة ، ولم يكتسب أحد من المغنين بطنبور ما كسبه . وكان مع يساره وقلة نفقته يُقرض بالعينة² . وكانت له صنعة عجبية ، أكثرها الأهازج . قال جحظة : قال لي مخارق غلامه : قال لي ، وقد صنع هذين البيتين وهما جميعاً هزج :

صوت

مَنْ رَأَى الْعَيْسَ عَلَيْهَا الرَّحَالَ إِضْمٌ قَصْدٌ لَهَا أَمْ أَثَالٌ³
لَسْتُ أَدْرِي حَيْثُ حَلُّوا وَلَكِنْ حَيْثَمَا حَلُّوا فَتَمَّ الْجَمَالُ

والآخر :

عُجُّ بِنَا نَجْرٍ بِطَرْفِ الْ عَيْنِ تَفَاحِ الْخُدُودِ
وَنَسَلُ الْقَلْبِ عَمَّن حَظُّنَا مِنْهُ الْكُدُودُ⁴

ثم قال : والله لا تركتُ بعدي من يهزج . قال جحظة : والله ما كذب !

[نفيه إلى عُمان]

أخبرني جحظة ، قال : كان الواثق قد أذن لجلسائه ألا يرُدُّ أحد نادرة عن أحد يلاعبه ، فغنى الواثق يوماً⁵ :

[من الطويل]

1 انظر وفيات الأعيان 2 : 268 .

2 العينة : ضرب من الربا .

3 إضم : أسفل وادي المدينة . وأثال : بلدة وواد .

4 الكدود : الكثير الكد والبخيل .

5 ديوان مجنون ليلى : 135 .

نظرتُ كأنِّي من وراء زُجاجةٍ إلى الدَّارِ مِن ماءِ الصبابةِ أنظرُ

وقد كان النبيذُ عمل فيه وفي الجلساء فانبعث إليه المسدود فقال : أنت تنظر أبداً من وراء زجاجة ، إن كان في عينيك ماء صبابة أو لم يكن . فغضب الواصل من ذلك وكان في عينيه بياض ، ثم قال : خذوا برجل العاضِّ بظُرِّ أمه ، فسُحِب من بين يديه . ثم قال : يُنفى إلى عُمان الساعة . فنُفي من وقته وحُدِرَ ومعه الموكِّلون . فلما سلّموه إلى صاحبِ البصرة ، سأله أن يُقيم عنده يوماً ويغنيه ، ففعل .

فلما جلسوا للشرابِ ابتداءً فقال : احذروني يا أهل البصرة على حرْمكم ، فقد دخلتُ إلى بلدكم وأنا أرنى خلق الله . قال : فقال له الجَمَّاز : أما يعني أنه أرنى خلق الله أمأ ؟ فغضب المسدودُ ، وضرب بطنُبوره الأرضَ وحَلَفَ ألا يغني . فسأله الأميرُ أن يقيم عنده وأمر بإخراج الجماز وكلِّ مَنْ حَضَرَ ، فأبى وليجَّ فأحدره إلى عُمان .

[الواصل يطلب إحضاره]

ومكث الواصل لا يسأل عنه سنة ، ثم اشتاقه فكتب في إحضاره . فلما جاءه الرسولُ ووصل إلى الواصل قَبْل الأرض بين يديه ، فاعتذر من هفوته وشكر التفضُّل عليه . فأمره بالجلوس ثم قال له : حدّثني بما رأيتَ بعدي . فقال : لي حديث ليس في الأرض أطرف منه ، وأعاد عليه حديثه بالبصرة . فقال له الواصل : قَبْحك الله ما أجهلك ! ويلك ! فأنت سَوْقَةٌ وأنا ملك ، وكنت صاحياً وكنت مُنتشياً وبدأت القوم فأجابوك . فبلغ بك الغضب ما ذكرته وما بدأتك فتُجيبني ، وبدأتني ، من المزح ، بما لا يحتمله النظر لنظيره ، ويلك ! لا تعاود بعدها مازحة خليفه وإن أذن لك في ذلك ، فليس كلُّ أحدٍ يحضره حلمه كما حضرني فيك .

[رقعة في هجاء الواصل ورقعة في حاجته]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدّثني عَوْنُ بنُ محمد ، قال : سمعتُ حمدونَ بن إسماعيل يقول : لم يكن في الخلفاء أحدٌ أحلمَ من الواصل ، ولا أصبرَ على أذى وخلاف . وكان يُعجبه غناء أبي حشيشة الطنبوري . فوجد المسدود من ذلك ، فكان يُلغيه عنه ما يكره ويتجاوز عنه . وكان المسدودُ قد هجاه بيتين ، فكانا معه في رقعة ، وفي رقعة أخرى حاجة له يريد أن يرفعها إليه ، فغلط بين الرقعتين ، فناوله رقعة الشعر وهو يرى أنها رقعة الحاجة ، فقرأها وفيها :

مِنَ المسدودِ في الأنفِ إلى المسدودِ في العينِ
أنا طَبَلٌ له شِقٌّ فيا طَبَلًا بشيقيْنِ

فلما قرأ الرقعة علم أنها فيه ، فقال للمسدود : خلطت في الرقعتين ، فهات الأخرى

وخذ هذه واحترز من مثل هذا . والله ما زاده على هذا القول .
[أجوبة موجعة]

أخبرني جحظة ، قال : تحدّث المسدود في مجلس المنتصر بحديث ، فقال له المنتصر : متى كان ذلك ؟ قال : ليلة لا ناهٍ ولا زاجر ، يُعرض له بليّة قتل فيها المتوكّل ، فأغضى المنتصر واحتمله .

قال : وقالت الذكوريّة يوماً بين يدي المعتمد : غنّ يا مسدود ، قال : نعم يا مفتوحة ! وقالت له امرأة : كيف آخذ إلى شجرة بابل ؟ قال : قدّامك ، أطعمك الله من ثمرها .
قال : وغنّي بين يدي المتوكّل ، فسكّته وقال لبكران الشيربي : تغنّ أنت . فقال المسدود : أنا أحتاج إلى مستمع ، فلم يفهم المتوكّل ما قال .

وقدّم إليه طبّاخ المتوكّل طبقاً وعليه رغيفان ، ثم قال له : أيّ شيء تشتهي حتى أجيئك به ؟ قال : خبزاً . فبلغ ذلك المتوكّل ، فأمر بالطبّاخ فضرب مائتي مِرْعة .
قال جحظة : وحدثني بعض الجلساء أنّه لما وضع الطبّاخ الرغيفين بين يديه قال له المسدود : هذا حرز فأين النير ؟

قال ودعاه بعض الرؤساء فأهدى له برذوناً أشهب ، فارتبطه ليلته ، فلمّا كان من غدٍ نفق . وبعث إليه يدعوه بعد ذلك ، فكتب : أنا لا أمضي إلى من يعرف آجال الدوابّ ، فيهب ما قرب أجله منها .
قال : واستوهب من بعض الرؤساء وبرا ، فأعطاه سموراً قد قرع بعضه ، فردّه وقال : ليس هذا سموراً ، هذا أشكر¹ .

صوت

[من الطويل]

أجدك ما تغفوكلوم مضيبة على صاحب إلا فجعته بصاحب
تقطع أحشائي إذا ما ذكرتهم وتنهل عيني بالدموع السواكب
عروضه من الطويل ، الشعر لسلمة بن عيّاش ، والغناء لحكم ، وله في الحنان : رمل
بالبنصر ، وهزج بالوسطى .

1 أشكر : لعلها أشكر . بضمّ الهمزة والكاف ، وهو الأديم الأبيض .

[427] - أخبار سلمة بن عيَّاش¹

سلمةُ بن عيَّاش مولى بني حِسل بن عامر بن لؤي . شاعرٌ بصريٌّ من مخضرمي الدولتين ، وكان يتدبَّر ويتصوَّن ، وانقطع إلى جعفر ، ومحمد ابني سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، ومدحهما فأكثر وأجاد . ومِمَّا مدحهما به وفيه غناء قوله : [من الطويل]

صوت

أرقتُ وطالت ليلتي بأبانٍ ليرقُ سرى بعد الهدوءِ يمانٍ²
يضيءُ بأعلامِ المدينة هُمداً إلى أمجٍ فالطلح طلح قنانٍ³
غنى في هذين البيتين دحمان ، ولحنه ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، قال : وفيه لحن لعطرد يقول فيها :

وردتُ خليجي جعفرٍ ومحمدٍ وكلَّ بديءٍ من نداءه سقاني⁴
وإني لأرجو جعفرًا ومحمدًا لأفضل ما يُرجى له مكانٍ
هُما أبنا رسولِ اللهِ وابنا ابنِ عمِّه فقد كرمَ الجدَّانِ والأبوانِ
ومنها ما ذكره محمد بن داود بن الجراح قوله :

صوت

أنازُ بدتُ وهنَّا لعينك تُرمضُ ببغدادَ أم سارٍ من البرقِ مومضٍ⁵
يضيءُ سناه مكفهرًا كأنه حناتِمُ سودٍّ أو عشارٌ تمخضُ⁶
غنى فيهما عطرد ثقيلًا أول ؛ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق يقول فيها :

1 ترجمة سلمة بن عيَّاش في الوافي 15 : 325 وانظر الحماسة الصغرى : 156 وابن الشجري : 80 وأعلام الزركلي .
2 أبان : جبل .
3 أمج موضع : والطلح : موضع بين المدينة وبدر ، وهناك موضع آخر بين مكة واليمامة .
4 بديء : عجيب .
5 ترمض : تشتعل .
6 الحناتم : جمع حنتم ، وهو السحابة السوداء .

وَلَوْلَا انتظاري جعفرًا ونواله لَمَا كَانَ فِي بَغْدَادَ مَا أَتَبْرَضُ¹
وقد وَجَدْتُ هَذَا الشَّعْرَ لِابْنِ الْمَوْلَى فِي جَامِعِ شَعْرِهِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ ، وَأَظَنَّ ذَلِكَ الصَّحِيحَ ،
لَا مَا ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ أَنَّهَا لِسَلْمَةَ بْنِ عِيَّاشَ :
[أعطى الفرزدق بيتاً]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ شَبَّةَ وَغَيْرُهُ ، قَالَ : قَالَ
سَلْمَةُ بْنُ عِيَّاشَ ، وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ دَاوُدَ ، عَنْ عَسَلِ بْنِ ذِكْوَانَ ، عَنْ أَبِي حَاتِمٍ ، عَنْ
الْأَصْمَعِيِّ ، عَنْ سَلْمَةَ بْنِ عِيَّاشَ مَوْلَى بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ
السَّجْنَ ، وَهُوَ مَحْبُوسٌ ، وَقَدْ قَالَ قَصِيدَتَهُ² :

إِنَّ الَّذِي سَمَّكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَغْرُ وَأَطْوَلُ
وقد أُفْجِمَ وَأُجْبِلَ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَلَا أُرْفِدُكَ ؟ فَقَالَ : وَهَلْ ذَاكَ عِنْدَكَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ ، ثُمَّ
قُلْتُ :

بَيْتٌ زُرَّارَةٌ مُحْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشِيعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ
فَاسْتَجَادَ الْبَيْتَ وَغَاضَهُ قَوْلِي لَهُ ، فَقَالَ لِي : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ قَرِيشٍ ، فَقَالَ : كُلُّ أَيْرٍ
حَمَارٌ مِنْ قَرِيشٍ ! فَمِنْ أَيِّهَا أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، قَالَ : لِمَا وَاللَّهِ رَضَعَةٌ³ ،
جَاوَرْتُهُمْ بِالْمَدِينَةِ فَمَا أَحْمَدْتُهُمْ . فَقُلْتُ : الْأُمُّ وَاللَّهِ مِنْهُمْ قَوْمُكَ وَأَرْضُكَ . جَاءَ رَسُولُ مَالِكِ بْنِ
النَّذْرِ وَأَنْتَ سَيِّدُهُمْ وَشَاعِرُهُمْ ، فَأَخَذَ بِأُذُنِكَ يَقُودُكَ حَتَّى احْتَبَسَكَ فَمَا اعْتَرَضَهُ أَحَدٌ ، وَلَا
نَصْرَكَ . فَقَالَ : قَاتَلَكَ اللَّهُ مَا أَنْكَرَكَ ! وَأَخَذَ الْبَيْتَ ، فَأَدْخَلَهُ فِي قَصِيدَتِهِ .
[غزله ببربر المغنية]

أخبرنا وكيع ، قال : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدِ الْكَرَّانِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي الْعُتْبِيُّ ، قَالَ : كَانَ سَلْمَةُ بْنُ عِيَّاشَ وَأَبُو سَفْيَانَ بْنِ الْعَلَاءِ عِنْدَ مُحَمَّدِ بْنِ سَلِيمَانَ ،
وَجَارِيَةٌ تَغْنِيهِمْ وَتَسْقِيهِمْ يُقَالُ لَهَا : بَرْبِرُ ، فَقَالَ سَلْمَةُ⁴ :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَا الْآقِي مِنَ الْقَلِي لِأَهْلِي وَمَا لَاقَيْتُ مِنْ حَبِّ بَرْبِرٍ
عَلَى حِينٍ وَدَعْتُ الصَّبَابَةَ وَالصَّبَا وَفَارَقْتُ أَخْدَانِي وَشَمَّرْتُ مِثْرِي

1 يتبرض : يتبلى بالقليل من العيش ، يأخذ الشيء قليلاً قليلاً .

2 بيت الفرزدق والبيت الذي رفته به سلمة في ديوان الفرزدق .

3 رضعة : لثام .

4 أكثر الشعر المنسوب إلى سلمة في بربر سبق أن ورد لمطيع بن إياس في جوهر ضمن ترجمته 13 : 193 .

نأى جعفرُ عنَّا وكان لِثُلِّهَا وَأنتَ لنا في النائباتِ كجعفرِ

[رثاء محمد بن سليمان]

قال : فقال محمد بن سليمان لِسَلْمَةَ : خذها ، هي لك ، فاستحيا وارتدع ، وقال : لا أريدها فألح عليه في أخذها . فقال : أعتق ما أملاك إن أخذتها ، فقال له أبو سفيان : يا سخين العين ، أعتق ما تملك وخذها ، فهي خير من كل ما تملك ، فلما مات أبو سفيان رثاه سلمة فقال :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ لا تَعْفُو كَلُومَ مَصِيبَةٍ على صاحبٍ إلا فُجِعْتُ بصاحبٍ
تَقَطَّعُ أَحْشَائِي إِذَا ما ذَكَرْتَكُم وتَنَهَّلَ عَيْنِي بالدموعِ السواكِبِ
وَكَنتُ امْرَأً جَلِداً على ما يُؤُونِي ومَعْتَرِفاً بالصبرِ عِنْدَ المصائبِ
فَهَدَّ أَبُو سَفِيانَ رُكْنِي ولم أَكُنْ جَزوعاً ولا مُسْتَكْرِراً للنوائِبِ
غَنِينا مَعاً بِضِعاً وَسْتِنَ حِجَّةً خَلِيلِي صَفاءً وَدُنا غيرُ كاذِبِ
فَأَصْبَحْتُ لَمَّا حَالَتِ الأَرْضُ دُونَهُ على قُرْبِهِ مِنِّي كَمَنْ لم أَصاحبِ

وذكر محمد بن داود عن عسل بن ذكوان أن محمد بن سليمان قال له : اختر ما شئت غيرها ، لأن أبا أيوب قد وطئها .

[بينه وبين أبي حية النميري]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثني محمد بن يزيد النحوي ، قال : حدثت من غير وجه عن سلمة بن عياش أنه قال : قلت لأبي حية النميري أهزأ به : ويحك يا أبا حية ! أتدري ما يقول الناس ؟ قال : لا ، قلت : يزعمون أنني أشعر منك ، قال : إنا لله ! هلك والله الناس .

[شعر ينسب إليه في بربر]

وفي بربر هذه يقول سلمة بن عياش ، وفيه غناء ، وذكر عمر بن شبة أنه لمطيع بن إياس :

[من مجزوء الوافر]

صوت

أظنُّ الحبَّ من وجدي سيقْتُلُنِي على بربر

1 الوافي :

صحبت أبا سفيان عشرين حجة خليلي صفاء ودنا غير كاذب

وَبَرِيرُ دُرَّةُ الْغَوَا صِ مَنْ يَمْلِكُهَا يُحْبِرُ
فَخَافِي اللَّهِ يَا بَرِيرُ فَقَدْ أَفْتَنْتِ ذَا الْعَسْكَرُ
يُحْسِنُ الدَّلَّ وَالشَّكْلَ وَرِيحَ الْمَسْكِ وَالْعَنْبِرُ
وَوَجْهِ يُشْبِهُ الْبَدْرَ وَعَيْنِي جُوذُرُ أَحْوَرُ

فيه لحكم ثلاثة ألحان : رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وخفيف رمل عن هارون بن الزيات ، وهزج عن أبي أيوب المدني .

[مطيع يهجو جوهر جارية بربر]

أخبرني إسماعيل بن يونس ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : بربر جارية آل سليمان أعتقت ، وكان لها جوار مغنيات ، فيهم جارية اسمها جوهر ، وكان في البصرة فتى يُعرف بالصحاف ، حسن الوجه ، فبلغ مطيع بن إياس أنه بات مع جوهر جارية بربر ، فغاضه ذلك ، فقال :

نَاكَ وَاللَّهِ جَوْهَرَ الصَّحَافُ وَعَلَيْهَا قَمِيصُهَا الْأَفْوَافُ¹
شَامَ فِيهَا أَيْراً لَهُ ذَا ضَلَاغ لَمْ يَخُنْهُ نَقْصٌ وَلَا إِخْطَافُ²
زَعَمُوهَا قَالَتْ وَقَدْ غَابَ فِيهَا قَائِماً فِي قِيَامِهِ اسْتِحْصَافُ³
وَهُوَ فِي جَارَةٍ اسْتَهَا يَتَلَطَّى وَبِهَا شَهْوَةٌ لَهُ وَالتَّهَافُ
بَعْضَ هَذَا مَهلاً تَرَفَّقَ قَلِيلاً مَا كَذَا يَا فَتَى تَنَاكَ الظَّرَافُ

قال : وقال فيها ، وقد وجهت بجواريتها إلى عسكر المهدي : [من مجزوء الوافر]

خَافِي اللَّهِ يَا بَرِيرُ فَقَدْ أَفْسَدْتِ ذَا الْعَسْكَرُ
أَفْضَتِ الْفِسْقَ فِي النَّاسِ فَصَارَ الْفِسْقُ لَا يُنْكَرُ
وَمَنْ ذَا يَمْلِكُ النَّاسِ إِذَا مَا أَقْبَلْتُ بَرِيرُ
وَأَعْطَافُ جَوَارِيهَا كَرِيحَ الْمَسْكِ وَالْعَنْبِرُ
وَجَوْهَرُ دُرَّةُ الْغَوَا صِ مَنْ يَمْلِكُهَا يُحْبِرُ
أَلَا يَا جَوْهَرَ الْقَلْبِ لَقَدْ زِدْتِ عَلَى الْجَوْهَرُ

1 الثوب الأفواف : الرقيق .

2 في ترجمة مطيع : ذا ضلوع . اخطاف : خطأ .

3 استحصاف : شدة وانتصاب ، واستحصف الحبل : قتله .

وقد أكملك الله بحسن الدلّ والمنظر
 إذا غيّت يا أحسَّ من خلق الله بالمزهر¹
 فهذا حزنًا يبكي وهذا طربًا يكفر
 وهذا يشرب الكأس وذا من فرح ينعر
 ولا والله ما المهديّ أولى منك بالمنبر
 فما عشتِ فقي كفيّ لك خلعُ ابن أبي جعفر

قال : فبلغ ذلك المهدي ، فضحك وأمر لمطيع بصلة ، وقال : أنفق هذا عليها وسلها ألا
 تخلعنا ما عاشت .

قال : وفي جوهر يقول مطيع :

[من السريع]

جارية أحسن من حليها وفيه فضل الدرّ والجوهر
 وجرمها أطيب من طيبها والطيب فيه المسك والعنبر
 جاءت بها ببر مكمورة² يا حبذا ما جابت بربر²

قال : وقال فيها :

[من الرمل]

أنت يا جوهر عندي جوهره في بياض الدرّة المشتهرة
 وإذا غنت فنار أضرمت قدححت في كل قلب شررة

صوت

[من الخفيف]

يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياء وجود
 إن يوماً أراك فيه ليوم طلعت شمسُه بسعد السعود
 الشعر لأبي العتاهية³ يمدح محمد الأمين ، والغناء لإسحاق ، ثقیل أول بالنصر عن
 عمرو بن بانة وإسحاق .

1 المزهري : العود .

2 مكمورة : ممتلئة الساقين .

3 ديوان أبي العتاهية : 526 .

[428] - أخبار لأم جعفر

[أبو العتاهية ينشدها]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي ، قال : حدثنا العلاءي ، قال : حدثني محمد بن أبي العتاهية ، قال : لما جلس الأمين في الخلافة أنشده أبو العتاهية¹ :

[من الخفيف]

يا ابن عم النبي خير البرية إنما أنت رحمة للرعية
يا إمام الهدى الأمين المصفي بلباب الخلافة الهاشمية
لك نفس أمارة لك بالخير ر وكف بالمكرمات نديه
إن نفساً تحملت منك ما حمداً لت للمسلمين نفس قوية

قال : ثم خرج إلى دار أم جعفر ، فقالت له : أنشدني ما أنشدت أمير المؤمنين ، فأنشدها .

فقالت : أين هذا من مدائحك في المهدي والرشد ؟ فغضب وقال : إنما أنشدت أمير

[من الخفيف]

المؤمنين ما يستملح ، وأنا القائل فيه :

يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياؤه وجود
والذي فيه ما يسلي ذوي الأح زان عن كل هالك مفقود
إن يوماً أراك فيه ليوم طلعت شمسُه بسعد السعود

فقالت له : الآن وفيت المدح حقّه ، وأمرت له بعشرة آلاف درهم .

[أبو العتاهية يستنجز أم جعفر وظيفته]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدثني محمد بن موسى اليزيدي ، قال : حدثني محمد بن الفضل ، قال : كان المأمون يوجهه إلى أم جعفر زبيدة في كل سنة بمائة ألف دينار جدد وألف ألف درهم ، فكانت تعطي أبا العتاهية منها مائة دينار وألف درهم ، فأغفلته سنة ، فدفع إلي رقعة وقال : ضعها بين يديها فوضعتها ، وكان فيها² :

[من الرمل]

خيروني أن في ضرب السنه جدداً بيضاً وصفراً حسنه
سيككاً قد أحدثت لم أرها مثل ما كنت أرى كل سنه

فقالت : إنا لله ! أغفلناه . فوجهت إليه بوظيفة على يدي .

[استعطاف المأمون لأم جعفر]

حدثني محمد بن موسى ، قال ، حدثنا جعفر بن الفضل الكاتب ، قال : أحست زبيدة

1 ديوان أبي العتاهية : 680 .

2 ديوان أبي العتاهية : 650-649 .

من المأمون بجفاء ، فوجهت إلى أبي العتاهية تُعلمه بذلك ، وتأمره أن يعمل فيه أبياتاً تعطّفه عليها ، فقال¹ :

[من الطويل]

صوت

ألا إن ريبَ الدهرِ يُدني ويُعدُّ ويؤنس بالألآف طوراً ويُفقدُ
أصابتُ لريبِ الدهرِ مني يدي يدي فسلمتُ للأقدارِ واللهُ أحمَدُ
وقلتُ لريبِ الدهرِ إن ذهبَت يدُ فقد بقيتُ والحمدُ لله لي يدُ
إذا بقي المأمونُ لي فالرشيدُ لي ولي جعفرٌ لم يفقدوا ومحمدُ
الغناء لعلويه .

قال : فحسُن موقع الأبيات منه ، وعاد لها المأمون إلى أكثر مما كان لها عليه .

وجدت في كتاب محمد بن الحسن الكاتب :

حدّثني هارونُ بنُ مُخارق ، قال : حدّثني أبي ، قال : ظهرتُ لأُمّ جعفر جفوة من المأمون ، فبعثت إليّ أبيات وأمرتني أن أغنيّ فيها المأمون إذا رأيته نشيطاً وأسنت لي الجائزة ، وكان كاتبها قال الأبيات ، ففعلت . فسألني المأمون عن الخبر فعرّفته ، فبكى ورق لها ، وقام من وقته فدخل إليها فأكبّ عليها ، وقبلت يديه ، وقال لها : يا أمّه ، ما جفوتك تعمداً ، ولكن شعلت عنك بما لا يمكن إغفاله . فقالت : يا أمير المؤمنين ، إذا حسن رأيك لم يوحشني شغلك ، وأتمّ يومه عندها ، والأبيات :

[من الطويل]

ألا إن ريبَ الدهرِ يُدني ويُعدُّ ويؤنس بالألآف طوراً ويُفقدُ
وذكر باقي الأبيات مثل ما في الخبر الأول .

[أبو العتاهية ينظم على لسانها]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحسن بن عليّ الرازي ، قال : حدّثني أبو سهل الرازقي عن أبيه ، قال : عمل أبو العتاهية شعراً على لسان زبيدة بأمرها لما قدّم المأمون بغداد ، أوّلُه² :

[من الطويل]

لخيرِ إمامٍ قامَ من خيرِ عنصرٍ وأفضلِ راقٍ فوقَ أعوادِ منبرٍ³

فذكر محمد بن أحمد بن المرزبان عن بعض كتّاب السلطان : أن المأمون لما قدّم مدينة السلام ، واستقرّت به الدار ، وانتظمت له الأمور ، أمرت أمّ جعفر كاتباً لها فقال هذه الأبيات ، وبعثت بها

1 ديوان أبي العتاهية : 518-519 .

2 ديوان أبي العتاهية : 549 .

3 الديوان : وأفضل بسم على . . .

إلى علويّه ، وسألته أن يصنع فيها لحناً ، ويغني فيه المأمون ففعل ، وكان ذلك ممّا عطفه عليها ، وأمرت لعلويّه بعشرين ألف درهم . وقد روي أن الأبيات التي أولها :
يا عمود الإسلام خير عمود

لعيسى بن زينب المراكبي .

[تنفس عيسى المراكبي]

أخبرني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحسين بن يحيى الكاتب ، قال : حدّثنا علي بن نجيج ، قال : حدّثني صالح بن الرشيد ، قال : كنّا عند المأمون يوماً وعقيد المغني وعمرو بن بانه يغنيان ، وعيسى بن زينب المراكبي حاضر ، وكان مشهوراً بالأبنة ، فتغنى عقيد بشعر عيسى :

يا عمود الإسلام خير عمود والذي صيغ من حياءٍ وجودٍ
لك عندي في كلِّ يومٍ جديدٍ طرفةٌ تستفادُ يا ابن الرشيدِ

فقال المأمون لعقيد : أنشد باقي هذا الشعر ، فقال : أصونُ سمعَ أمير المؤمنين عنه ، فقال :

هاتِه ويحك ! فقال :

كنتُ في مجلسٍ أتيقُ وريحا نِ وراحٍ ومُسمِعاتٍ وعودٍ
فتغنى عمرو بن بانه إذ ذا كَ وهو ممسكٌ بأبر عقيدِ
يا عمود الإسلام خير عمودٍ والذي صيغ من حياءٍ وجودٍ
فتنفستُ ثم قلتُ كذا كلُّ محبٌّ صبَّ الفؤاد عميدِ

فقال المأمون لعيسى بن زينب : والله لا فارتكت حتى تخبرني عن تنفسك عند قبض عمرو على أبر عقيد : لأي شيء هو ؟ لا بدّ من أن يكون ذلك إشفاقاً عليه ، أو على أن تكون مثله ، لعن الله تنفسك هذا يا مريب ! قال : وإنما سُمي المراكبي لتوليّه مراكب المنصور ، وأمه زينب بنت بشر ، صاحب طاقات بشر بباب الشام .

صوت

[من المتقارب]

لقيتُ من الغانيات العُجبا لو ادرك مَّسي العذارى الشببا
علامَ يُكحلن حُورَ العيون ويُحدثنَ بعد الخضابِ الخضابا
ويُترقن إلا لما تعلمون فلا تمنعن النساءُ الضرابا

الشعر لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي ، والغناء لإبراهيم الموصلي ، ولحنه من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية الهشامي .

[429] - أخبار أيمن بن خريم¹

[اعتزل حرب الجمل وصفين]

وأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي لأبيه صُحبة برسول الله ﷺ ، ورواية عنه ، وينسب إلى فاتك ، وهو جد أبيه . وهو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن فاتك بن القليب بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار . وكان أيمن يتشيع ، وكان أبوه أحد من اعتزل حرب الجمل وصفين وما بعدهما من الأحداث ، فلم يحضرها .

[يهول قوته فيحسده عبد الملك]

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدثني النوشجاني عن العمري عن الهيثم بن عدي ، عن عبد الله بن عياش ، عن مجالد ، قال² : كان عبد الملك شديد الشغف بالنساء ، فلما أسنَّ ضعُف عن الجماع وازداد غرامه بهنّ ، فدخل إليه يوماً أيمن بن خريم فقال له : كيف أنت ؟ فقال : بخير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قوتك ؟ قال : كما أحبّ ، والله الحمد ، إني لآكل الجذعة³ من الضأن بالصاع من البرّ ، وأشرب العسّ المملوء ، وأرتحل البعير الصعب وأنصبه⁴ ، وأركب المهر الأرن⁵ فأذله ، وأفترع العذراء ، ولا يُفعدني عنها الكبير ، ولا يمنعي منها الحصر⁶ ، ولا يُروني منها الغمر⁷ ولا ينقضي مني الوطر . فغاض عبد الملك قوله وحسده ، فمنعه العطاء وحجبه ، وقصده بما كره حتى أثر ذلك في حاله . فقالت له امرأته : ويحك ! أصدقتني عن حالك ؟ هل لك جرم ؟ قال : لا والله ، قالت : فأي شيء دار بينك وبين أمير المؤمنين آخر ما لقيته ؟ فأخبرها ؛ فقالت : إنا لله ! من هاهنا أتيت . أنا أحتال لك في ذلك حتى أزيل ما جرى عليك ، فقد حسدك الرجل على ما وصفت به نفسك . فتهيأت ولبست ثيابها ودخلت على عاتكة زوجته ، فقالت : أسألك أن تستعدي لي أمير المؤمنين على زوجي ، قالت : وما له ؟ قالت :

1 ترجمة أيمن بن خريم في الشعر والشعراء : 453-455 وإصابة 1 : 94 وتهذيب ابن عساكر 3 : 187

وانظر طبقات ابن سلام 6 : 38-39 والمختار من شعر بشار : 211 والتذكرة الحمدونية 8 : 230-231 .

2 وردت هذه الحكاية في المختار من شعر بشار والتذكرة الحمدونية ، والخبر فيهما عن معاوية .

3 الجذعة : الصغيرة من الضأن .

4 أنصبه : أتعبه .

5 الأرن : النشيط .

6 الحصر : الضعف عن النساء .

7 الغمر : القدح الصغير .

والله ما أدري أنا مع رجلٍ أو حائطٍ؟ وإنَّ له لسنين ما يعرف فراشي، فسليه أن يفرِّق بيني وبينه. فخرجت عاتكة إلى عبد الملك فذكرت ذلك له، وسأته في أمرها. فوجه إلى أيمن بن خريم فحضر، فسأله عما شكته منه فاعترف به. فقال: أولم أسألك عاماً أول عن حالك فوصفت كيت وكيت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن الرجل ليتجمل عند سلطانه، ويتجلد عند أعدائه بأكثر مما وصفته نفسي به، وأنا القائل¹:

لَقِيتُ مِنَ الْغَانِيَاتِ الْعُجَابَا لَوْ أَدْرَكَ مِنِّي الْغَوَانِي الشَّبَابَا
وَلَكِنَّ جَمَعَ النِّسَاءِ الْحَسَانِ عَنَاءٌ شَدِيدٌ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا
وَلَوْ كَلَّتْ بِالْمَدِّ لِلْغَانِيَاتِ وَضَاعَفَتْ فَوْقَ الثِّيَابِ الثِّيَابَا
إِذَا لَمْ تُنْلِهَنَّ مِنْ ذَاكَ ذَاكَ جَحَدُنْكَ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْكِتَابَا
يَذُدُّنَ بِكُلِّ عَصَا ذَائِدِ وَيَصْبِحْنَ كُلَّ غَدَاةٍ صِعَابَا
إِذَا لَمْ يُخَالِطَنَّ كُلَّ الْخُلَا طِ أَصْبَحْنَ مُخْرَنْطَمَاتٍ غَضَابَا²
عِلَامٌ يُكْحَلْنَ حُورَ الْعِيُونِ وَيُحَدَّثْنَ بَعْدَ الْخَضَابِ الْخَضَابَا
وَيَعْرُكْنَ بِالْمَسْكِ أَجْيَادَهُنَّ وَيُدْرَيْنَ عِنْدَ الْحِجَالِ الْعِيَابَا
وَيُفْرِقْنَ إِلَّا لِمَا تَعْلَمُونَ فَلَا تَحْرَمُوا الْغَانِيَاتِ الضَّرْبَابَا

قال: فجعل عبد الملك يضحك من قوله، ثم قال: أولى لك يا ابن خريم! لقد لقيت منهنَّ ترحاً، فما ترى أن تصنع فما بينك وبين زوجتك؟ قال: تستأجلها إلى أجل العنين، وأدائها لعلِّي أستطيع إمساكها. قال: أفعل ذلك. وردّها إليه، وأمر له بما فات من عطائه، وعاد إلى برّه وتقريبه.

[يعتزل المتنازعين من بني أمية]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دؤف، قال: حدثنا الرياشي، قال: ذكر العُتبي أن منازعة وقعت بين عمرو بن سعيد وعبد العزيز بن مروان، فتعصب لكل واحد منهما أخواله، وتداعوا بالسلاح واقتتلوا، وكان أيمن بن خريم حاضراً للمنازعة فاعتزلهم هو ورجل من قومه، يقال له: ابن كوز، فعاتبه عبد العزيز وعمرو جميعاً على ذلك، فقال: [من الوافر]

أَقْتُلْ بَيْنَ حَجَّاجِ بْنِ عَمْرٍو وَبَيْنَ خَصِيمِهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

1 الأبيات في الشعر والشعراء والمختار من شعر بشّار وعيون الأخبار 4 : 102 مع تفاوت في العدد واختلاف في اللفظ.

2 اخرنطم: رفع أنفه في استكبار وغضب.

أَقْتَلْ ضَلَّةً فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَيَقْبِي بَعْدَنَا أَهْلُ الْكَنُوزِ
لِعَمْرٍ أَيْبِكَ مَا أُوتَيْتُ رَشْدِي وَلَا وَقُفْتُ لِلحِرْزِ الحَرِيرِ
فَأَيْبِي تَارِكٌ لهُمَا جَمِيعاً وَمَعْتَرٌ كَمَا اعْتَزَلَ ابْنُ كَوْزِ

[غضبه من يحيى بن الحكم]

أخبرني عمي قال : حدثني الكرائي ، عن العمري ، عن الهيثم بن عدي ، قال : أصاب يحيى بن الحكم جاريةً في غزاة الصائفة¹ ، بها وضح² ، فقال : أعطوها أيمن بن خريم ، وكان موضحاً ، فغضب وأنشأ يقول³ :

[من الطويل]

تَرَكْتُ بَنِي مِرْوَانَ تَنْدَى أَكْفَهُمْ وَصَاحِبْتُ يَحْيَى ضَلَّةً مِنْ ضَلَالِيَا
فَأَنَّكَ لَوْ أَشْبَهْتَ مِرْوَانَ لَمْ تَقُلْ لِقَوْمِي هُجْرًا أَنْ أُتُوكَ وَلَا لِيَا
وَانصَرَفَ عَنْهُ ، فَأَتَى عَبْدَ العَزِيزِ بْنِ مِرْوَانَ ، وَكَانَ يَحْيَى مُحَمَّمًا .

[شعره في بني هاشم]

حدثني محمد بن العباس اليزيدي ، قال : حدثني عمي الفضل ، قال : حدثني مُصْعَبُ الزُّبَيْرِيِّ عَنْ أَشْيَاخِهِ أَنَّ عَبْدَ المَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الشُّعْرَاءِ تُشَبِّهُونَنَا مَرَّةً بِالأَسَدِ الأَبْحَرِ ، وَمَرَّةً بِالجِبَلِ الأَوْعَرِ ، وَمَرَّةً بِالْبَحْرِ الأُجَاجِ ، أَلَا قَلْتُمْ فِينَا كَمَا قَالَ أَيْمَنُ بْنُ خَرِيمٍ فِي بَنِي هَاشِمٍ :

[من الوافر]

نَهَارِكُمْ مَكَابِدَةٌ وَصَوْمٌ وَلَيْلُكُمْ صَلَاةٌ وَاقْتِرَاءٌ⁴
وَلَيْتُمْ بِالقُرَانِ وَبِالتَزَكِّي فَاسْرِعَ فَيْكُمْ ذَاكَ البَلَاءُ
بَكِي نَجْدٌ غَدَاةٌ غَدٍ عَلَيْكُمْ وَمَكَّةُ وَالمَدِينَةُ وَالجِوَاءُ⁵
وَحَقٌّ لِكُلِّ أَرْضٍ فَارِقُوهَا عَلَيْكُمْ لَا أَبَا لَكُمْ البِكَاةُ
أَجْعَلِكُمْ وَأَقْوَامًا سِوَاءَ وَبَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ الهِوَاءُ
وَهُمْ أَرْضٌ لِأَرْجُلِكُمْ وَأَنْتُمْ لِأَرْوُوسِهِمْ وَأَعْيُنِهِمْ سِوَاءُ

1 غزاة الصائفة : الغزوة في الصيف .

2 وضح : برص .

3 في الشعر والشعراء ثلاثة أبيات .

4 اقتراء : قراءة .

5 الجواء : اليمامة ، ويطلق على أماكن أخرى .

[عبد الملك يؤدّي عنه الدية]

أخبرني الحسن بن عليّ ، عن أحمد بن زهير ، عن أبي همام الوليد بن شجاع ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، قال : أصاب أيمن بن خريم امرأة له خطأ ، يعني قتلها ، فوداها عبد الملك بن مروان : أعطى ورثتها ديتها ، وكفّر عنه كفارة القتل ، وأعطاه عِدَّةَ جَوار ، ووهب له مالا ، فقال أيمن :

رَأَيْتُ الْغَوَانِيَّ شَيْئًا عَجَابًا	لَوَ انْسَ مِنْي الْغَوَانِيَّ الشَّبَابَا
وَلَكِنَّ جَمَعَ الْعَذَارَى الْحَسَانِ	عَنَاءٌ شَدِيدٌ إِذَا الْمَرْءُ شَابَا
وَلَوْ كِلْتَا بَأْمَدٌ لِلْغَانِيَاتِ	وَضَاعَفْتَ فَوْقَ الثِّيَابِ ثِيَابَا
إِذَا لَمْ تُتْلِهَنَّ مِنْ ذَاكَ ذَاكَ	بَغَيْنَكَ عِنْدَ الْأَمِيرِ الْكَذَابَا
يَذُدْنَ بِكُلِّ عَصَا ذَائِدِ	وَيُصْبِحْنَ كُلَّ غَدَاةٍ صِعَابَا
إِذَا لَمْ يُخَالَطَنَّ كُلَّ الْخِلَاطِ	تَرَاهَنَّ مُخْرَنْطِمَاتٍ غِضَابَا
عَلَامٌ يُكْحَلْنَ حُورَ الْعِيُونِ	وَيُحْدِثْنَ بَعْدَ الْخَضَابِ الْخَضَابَا
وَيَعْرُكْنَ بِالْمَسْكِ أَجْيَادَهَنَّ	وَيَدْنَيْنَ عِنْدَ الْحِجَالِ الْعِيَابَا
وَيَغْمِزْنَ إِلَّا لَمَّا تَعْلَمُونَ	فَلَا تَحْرَمُوا الْغَانِيَاتِ الضَّرْبَا

قال : فبلغني أنّ عبد الملك أنشد هذا الشعر ، فقال : نعم الشفيح أيمن لهنّ .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبة وإبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، قال : قال له عبد الملك لما أنشده هذا الشعر : ما وصف النساء أحدٌ مثل صفتك ، ولا عرفهن أحدٌ معرفتك . قال : فقال له : لئن كنتُ صدقتُ في ذلك لقد صدق الذي يقول¹ : [من الطويل]

صوت

فإن تسألوني بالنساء فإنني	خبيرٌ بأدواء النساء طيبٌ
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله	فليس له في ودّه ن نصيبٌ
يُرَدُّ ثَرَاءُ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمَهُ	وشرخُ الشبابِ عندهنّ عجيبٌ

فقال له عبد الملك : قد لعمرى صدقتما وأحسنتما ، الشعر لعلقمة بن عبدة ، والغناء لبسباسة ، ولحنه خفيف ثقيل أول بالوسطى عن حبش . وهذه الأبيات يقولها علقمة بن عبدة يمدح بها الحارث ويسأله إطلاق أخيه شأس . وخبره يُذكر وخبر الحارث بعد انقضاء أخبار أيمن بن خريم .

رجع الحديث إلى أخبار أيمن

[يهجر عبد العزيز إلى بشر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني المدائني عن أبي بكر الهذلي ، قال : دخل نصيب يوماً إلى عبد العزيز بن مروان ، فأنشده قصيدة له امتدحها بها فأعجبته ، وأقبل على أيمن بن خريم فقال : كيف ترى شعر مولاي هذا ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . فقال : هو أشعر والله منك . قال أيمن أيها الأمير ؟ فقال : إي والله ، قال : لا والله ، ولكنك طرف ملول . فقال له : لو كنت كذلك ما صبرت على مؤاكتك منذ سنة وبك من البرص ما بك . فقال : ائذن لي أيها الأمير في الانصراف ، قال : ذلك إليك . فمضى لوجهه حتى لحق ببشر بن مروان ، وقال فيه : [من الوافر]

ركبتُ من المقطم في جمادى	إلى بشر بن مروان البريدا
ولو أعطاك بشر ألف ألف	رأى حقاً عليه أن يزيدا
أمير المؤمنين أقم ببشر	عمود الدين إن له عمودا
ودع بشراً يقومهم ويحدث	لأهل الزيف إسلاماً جديدا
وإنا قد وجدنا أم بشر	كأم الأسد مذكاراً ولودا
كان التاج تاج أبي هرقل	جلاؤه لأعظم الأيام عيدا
يُحالف لونه ديباج بشر	إذا الألوان حالفت الخدودا

يُعرض بنمش كان بوجه عبد العزيز ، فقبله بشر بن مروان ووصله ، ولم يزل أثيراً عنده . أخبرني عمي ، قال : حدثني الكراني وأبو العيلاء عن العتبي ، قال : لما أتى أيمن بن خريم بشر بن مروان نظر الناس يدخلون عليه أفواجا ، فقال من يؤذن لنا الأمير أو يستأذن لنا عليه ؟ فقبل له : ليس على الأمير حجاب ولا ستر ، فدخل وهو يقول : [من الطويل]

يُرى بارزاً للناس بشر كأنه	إذا لاح في أثوابه قمر بدراً
ولو شاء بشر أغلق الباب دونه	طماطم سود أو صقالبة شقراً ²
أبي ذا ولكن سهل الإذن للتي	يكون له في غيها الحمد والشكر

فضحك إليه بشر ، وقال : إنا قوم نحب الحرم ، وأما الأموال والطعام فلا ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .

1 طرف : لا يثبت على صحبه .

2 طماطم : جمع طمطم ، وهو الذي في لسانه عجمة .

[قلة غناء أهل العراق في الحرب]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دُلف ، قال : حدّثني الرياشي ، قال : حدّثنا الأصمعي عن المعتمد بن سليمان ، قال : لما طالت الحرب بين غزاة وبين أهل العراق وهم لا يُغنون شيئاً ، قال أيمن بن خريم :

أتى منهم مائتا فارسٍ	من السافكين الحرام العبيط ¹
وخمسون من مارقات النساء	و يسجن للمنديات المروطا ²
وهم مائتا ألف ذي قونسٍ	يخط العراقان منهم أطيطا ³
رأيتُ غزاةً إن طرّحت	بمكة هودجها والغبيط
سمتُ للعراقين في جمعها	فلاقي العراقان منها بطيطا ⁴
ألا يستحي الله أهل العرا	ق إن قلدوا الغانيات السموطا
وخيلُ غزاة تسي النساء	وتحوي النهاب وتحوي النيطا ⁵
ولو أن لوطاً أميراً لكم	لأسلمتم في الملمات لوطا

صوت

[من الطويل]

تصايبت أم هاجت لك الشوق زينب	وكيف تصابي المرء والرأس أشيب
إذا قربت زادتك شوقاً يقربها	وإن جانبت لم يسر عنها التجنب
فلا اليأس إن أملت يبدو فترعوي	ولا أنت مردود بما جئت تطلب
وفي اليأس لو يبدو لك اليأس راحة	وفي الأرض عمّن لا يواتيك مذهب

الشعر لحجّة بن المضرب الكندي ، فيما ذكره إسحاق والكوفيون . وذكر الزبير بن بكّار أنّه لإسماعيل بن يسار ، وذكر غيره أنّه لأخيه أحمد بن يسار . والغناء ليونس الكاتب ، ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى البصير ، وفيه ثقل أول بالبصير . ذكر حبش أنّه لمالك ، وذكر غيره أنّه لمعبد .

1 العبيط : الدم الطري .

2 المنديات : المخزيات . والمروط : جمع مرط ، وهو كساء يؤتزر به .

3 القوس : أعلى الخوذة . ويخط : يصوت .

4 بط الجرح : شفه .

5 النهاب : الغنائم . والنبيط : النبط ، وهم قوم كانوا ينزلون أرياف الحيرة .

[430] - أخبار حجية بن المضرب¹

[منال في تربية الأيتام]

حدَّثني ابن عمّار ، قال : حدَّثنا سعيد بن يحيى الأمويّ ، وأخبرنا به وكيع عن إسماعيل بن إسحاق ، عن سعيد بن يحيى الأمويّ : قال : حدَّثني الحخير بن قحذم ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما قديم القاسم بن محمد بن أبي بكر وأخته من مصر ، وأخبرني بهذا الخبر محمد بن أبي الأزهر ، قال : حدَّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن عوانة ، قال : كان القاسم بن محمد بن أبي بكر يحدث ، قال : لما قتل معاوية بن حُذَيج الكنديّ وعمرو بن العاص أبي ، يعني محمد بن أبي بكر بمصر ، جاء عمّي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني وأختاً لي من مصر . وقد جمعتُ الروايتين واللفظ لابن أبي الأزهر ، وخبره أتمُّ قال .

فقدِم بنا المدينة ، فبعثت إلينا عائشة ، فاحتملتنا من منزل عبد الرحمن إليها ، فما رأيت والدةً قطّ ولا والدًا أبرَّ منها . فلم نزل في حجرها حتى إذا كان ذات يوم وقد ترعرعنا ألبستنا ثياباً بيضاء ، ثم أجلستُ كلَّ واحدٍ منّا على فخذيها ، ثم بعثتُ إلى عمّي عبد الرحمن ، فلما دخلَ عليها تكلمتُ فحمدتُ الله ، عزَّ وجلَّ ، وأنتتُ عليه . فما رأيتُ متكلمًا ولا متكلمةً قبلها ولا بعدها أبلغَ منها ، ثم قالت : يا أخي إنِّي لم أزلُ أراك مُعْرِضًا عني منذ قبضتُ هذين الصبيَّين منك ، ووالله ما قبضتهما تطاولاً عليك ، ولا تُهمّةً لك فيهما ، ولا لشيءٍ تكرهه ، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء ، وكانا صبيَّين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً ، فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقدرن به من قبيح أمر الصبيان ، فكنتُ أطفَ لذلك وأحقُّ بولايته ، فقد قويا على أنفسهما وشبا ، وعرفا ما يأتيان ، فهاهما هذان فضمُّهما إليك ؛ وكن لهما كحجّية بن المضرب أخي كندة ، فإنه كان له أخ يقال له : معدان ، فمات وترك أصيبيةً صغاراً في حجر أخيه ، فكان أبرَّ الناس بهم وأعطفهم عليهم ، وكان يؤثرهم على صبيانه ، فمكث بذلك ما شاء الله . ثم إنه عرض له سفرٌ لم يجد بداً من الخروج فيه ، فخرج وأوصى بهم امرأته ، وكانت إحدى بنات عمّه ، وكان يقال لها : زينب ؛ فقال : اصنعي ببني أخي ما كنتُ أصنعُ بهم . ثم مضى لوجهه فغاب أشهراً ، ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيّرت ؛ فقال لامرأته : ويلك ! مالي أرى بني معدان مهزليل ، وأرى بني سيماناً ؟ قالت :

1 ترجمة حجية بن مضرب في السمط : 204-205 وانظر خبره وأبياته في شرح الحماسة للرزوقي :

قد كنت أواصي بينهم ، ولكنهم كانوا يعشون ويلعبون . فخلا بالصبيان فقال : كيف كانت زينبُ لكم ؟ قالوا : سيئةٌ ، ما كانت تعطينا من القوت إلا مِلءَ هذا القَدَحِ من لبن ، وأروهُ قدحاً صغيراً ، فغضب على امرأته غضباً شديداً وتركها حتى إذا أراح¹ عليه راعيا إليه قال لهما : اذهبا ، فأنتما وإيلكما لبني معدان . فغضبت من ذلك زينبُ وهجرته ، وضربت بينه وبينها حجاباً ؛ فقال : والله لا تذوقين منها صَبوحاً ولا غبوقاً أبداً ، وقال في ذلك .
[شعره في امرأته حين عرف سوء معاملتها لصغار أخيه]

[من الطويل]

لججنا ولججت هذه في التغضبِ	ولط الحجابِ بيننا والتجنبِ ²
وخطتُ بفردي إثمدي جفنَ عينها	لتقتلني وشدَّ ما حُبُّ زينبِ
تلومُ على مالِ شفاني مكانه	فلومي حياتي ما بدا لك واغضبي ³
رحمتُ بني معدانَ أن قلَّ ما لهم	وحق لهم مني وربُّ المحصبِ ⁴
وكان اليتامى لا يسدُّ اختلالهم	هدايا لهم في كلِّ قَعْبٍ مشعبِ ⁵
فقلتُ لعبدينا : أريحنا عليهم	سأجعل بيتي بيتَ آخرٍ مُعزبِ
وقلتُ خذوها واعلموا أن عمكم	هو اليومَ أولى منكم بالتكسبِ
عيالي أحقُّ أن ينالوا خصاصةً	وأن يشربوا رنقاً إلى حين مكسي
أحابي بها من لو قصدتُ لماله	حريباً لآساني على كلِّ موكبِ ⁶
أخي والذي إن أدعته لعظيمة ⁷	يُجئني وإن أغضبَ إلى السيفِ يغضبِ

إلى هاهنا رواية ابن عمار .

[بمحاوّل رد زينب]

وفي خير إسحاق قال : فلما بلغ زينبَ هذا الشعرُ وما وهب زوجها خرجت حتى أتت المدينة فأسلمت ، وذلك في ولاية عمر بن الخطاب . فقدم حُجّية المدينة فطلب زينب أن تُردَّ

1 أراح : رد الإبل في الرواح .

2 الحماسة (المرزوقي) : وشد . . . والتنقب . ولط : لزم .

3 إليك واغضبي في الحماسة : إليك فلومي .

4 المحصب : مكان رمي الجمار .

5 الحماسة : رأيت . . . لا تسد فقورهم . والمشعب : المجبور .

6 الحماسة : ذكرت بهم عظام من لو أتته . . . كل مركب .

7 الحماسة : للممة .

عليه ، وكان نصرانياً . فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته ؛ فقال له : إياك وأن يبلغ هذا عنك عمر فتلقني منه أذى . وانتشر خبر حُجَّية وفشا بالمدينة وعُلمَ فيمَ كان مقدّمه . فبلغ ذلك عمر ، فقال للزبير : قد بلغني قصة ضيفك ، ولقد هممتُ به لولا تحرُّمه بالنزول عليك .
[مدحه الزبير]

فرجع الزبيرُ إلى حُجَّية فأعلمه قول عمر ، فقال حُجَّية في ذلك : [من البسيط]

إنَّ الزُّبَيْرَ بَنَ عَوَامٍ تَدَارِكُنِي مِنْهُ بَسِيبٌ كَرِيمٌ سَيِّئُهُ عِصْمٌ¹
نَفْسِي فِدَاؤُكَ مَأْخُودًا بِحُجْرَتِهَا إِذْ شَاطَ لِحْمِي وَإِذْ زَلَّتْ بِي الْقَدَمُ²
إِذْ لَا يَقُومُ بِهَا إِلَّا فَتَى أَنْفٍ عَارِي الْأَشَاجِعِ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ³

ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده ، آيساً من زينب كثيراً حزينا ، فقال في ذلك :

تصابيت أم هاجت لك الشوق زينبُ

الآيات المذكور فيها الغناء .

صوت

[من الطويل]

خَلِيلِي هُبَّا نَصْطَبِحْ بِسَوَادِ وَنُرُو قُلُوبًا هَامُهُنَّ صَوَادِ
وَقَوْلًا لِسَاقِينَا زِيَادِ يُرْقُهَا فَقَدْ هَزَّ بَعْضَ الْقَوْمِ سَقِي زِيَادِ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالنصر .

1 عصم : جمع عصمة ، وهي المنع والصيانة .

2 الحجزة : معقد الإزار . وشاط لحمي : استبيح قتلي .

3 الأشاجع : أصول الأصابع المتصلة بعصب ظاهر الكف .

[431] - خبر إسحاق مع غلامه زياد

هذا الشعر يقوله إسحاق في غلام له مملوكٍ خِلاسي¹ ، يقال له : زياد . كان مولدًا من مولدي المدينة ، فصيحاً ظريفاً ، فجعله ساقيةً ، وذكره هو وغيره في شعره . فممن ذكره من الشعراء دَعْبِلٌ ، وله يقول :

أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش ، عن أبي سعيد السُّكريّ قال : كان زياد الذي يذكره إسحاق في عدّة مواضع ، منها قوله :

وقولا لساقينا زيادٍ يُرَقِّها

وكان نظيفَ السَّقْيِ لَبِقاً ، فقال فيه دَعْبِلٌ² :

يقول زيادٌ قِفْ بِصَحِيكَ مَرَّةً عَلَى الرَّبْعِ ، مَا لِي وَالْوَقُوفَ عَلَى الرَّبْعِ !

صوت

[من الطويل]

أدْرِها على فَقْدِ الحَبِيبِ فَرَمًا شَرِبْتُ على نَائِي الأَحْيَةِ والفَجْعِ
فَمَا بَلَّغْتَنِي الكَأْسُ إِلَّا شَرِبْتُها وَالْأَسْقِيْتُ الأَرْضَ كَأْساً من الدَّمْعِ
غَنَى في البيتِ الثَّانِي والثَّالِثِ من هذِهِ الأَبْيَاتِ مُحَمَّدُ بنُ العَبَّاسِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ طاهرِ الحنَّانِ
من خفيفِ الثَّقِيلِ الأوَّلِ بالبِنَصْرِ .

[نسبة الصوت إلى غير إسحاق]

قال أبو الحسن : وقد قيل : إن هذين البيتين يعني :

خَلِيلِيَّ هُبًّا نَصْطِيحُ بِسِوَادِ

لِلأَخْطَلِ³ .

[زياد لا يراجع]

أخبرني عليّ بن سليمان ، قال : حدّثني أبي ، قال : قال لي جعفر بن معروف

1 الخلاسيّ : المولود من أبوين أبيض وأسود .

2 ديوان دعبيل (نجم) : 105 عن الأغاني .

3 انظر حاشية القصيدة 136 في ديوان الأخطل ، وسيؤكّد إسحاق أن الشعر له ، وإنما اختلط الأمر على الراوي لورود اسم زياد في قصيدة الأخطل .

الكاتب - وكان قد جاوز مائة سنة - : لقد شهدتُ إسحاق يوماً في مجلس أنس وهو يتغنّى هذا الصوت :

خليلي هباً نصطبغ بسوادٍ
وغلامه زياد جالسٌ على مسورةٍ يسقي ، وهو يومئذٍ غلامٌ أمردٌ أصفر ، رقيق البدن حلو
الوجه . ثم أخذ يراجعهُ ولا أحدٌ يستطيع يقول له : زدني ولا أنقصني .
[المنغني يحب أن يقال له أحسنت]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم الأنباري ، قال : حدثني أحمد بن الهيثم ، يعني جدَّ أبي ،
رحمه الله ، قال : كنت ذات يوم جالساً في منزلي يسرّ من رأي وعندي إخوان لي ، وكان
طريق إسحاق في مضيئه إلى دار الخليفة ورجوعه منها على منزلي ؛ فجاءني الغلام يوماً وعندي
أصدقاء لي فقال لي : إسحاق بن إبراهيم الموصلي بالباب ، فقلت له : قل له ، ويلك !
يدخل ، أو في الخلق أحدٌ يستأذن عليه لإسحاق ؟

فذهب الغلامُ وبادرتُ أسعى في أثره حتى تلقيته ، فدخل وجلس منبسطاً أنساً ، فعرضنا
عليه ما عندنا ، فأجاب إلى الشرب ، فأحضرناه نبذاً مشمساً فشرب منه ، ثم قال : أتجبن أن
أغنيكم ؟ قلنا : إي والله أطل الله بقاءك ، إنا نحبُّ ذلك . قال : فلم لم تسألوني ؟ قلنا : هينك
والله ! قال : فلا تفعلوا ، ثم دعا بعود فأحضرناه ، فاندفع فغاناً ، فشرينا وطربنا . فلما فرغ
قال : أحسنتُ أم لا ؟ قلنا : بلى والله ، جعلنا الله فداك ، لقد أحسنت . قال : فما منعكم أن
تقولوا لي : أحسنت !

قلنا : الهيبةُ والله لك . قال : فلا تفعلوا هذا فيما تستأنفون ، فإن المنغني يحبُّ أن يقال له :
غن ، ويحبُّ أن يقال له إذا غنى : أحسنت ، ثم غننا صوته :

خليلي هباً نصطبغ بسوادٍ

[إسحاق يعنى زياداً ويزوجه]

فقلنا له : يا أبا محمد ، من هو زياد الذي عنيته ؟ قال : هو غلامي الواقف بالباب ، ادعوه يا
غلمان . فادخل إلينا ، فإذا غلامٌ جلاسي ، قيمته عشرون ديناراً أو نحوها . فأمسكنا عنه ، فقال :
أتسألوني عنه فأعرفكم إياه ويخرجُ كما دخل ، وقد سمعتم شعري فيه وغنائي ؟ أشهدكم أنه حرٌّ
لوجه الله ، وأني زوجته أمتي فلانة ، فأعينوه على أمره . قال : فلم يخرج حتى أوصلنا إليه
عشرين ألف درهم ، أخرجناها له من أموالنا .

[رثاء إسحاق لزياد]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال : حدثني أبي ، قال : توفي زياد غلام إسحاق الذي يقول فيه :

وقولا لإساقينا زيادٍ يُرَقِّها

فقال إسحاق يرثيه : [من الطويل]

فَقَدْنَا زياداً بعد طول صحابة فلا زال يسقي الغيثُ قبرَ زيادِ
ستبكيك كأسٌ لم تجدْ من يُديرُها وطمآنٌ يستبطي الرجاجةَ صادِ

[إسحاق يغني الأمين في شعر الأخطل]

أخبرني عمي ، قال : حدثني ابن المكِّي عن أبيه ، قال : اصطحب محمد الأمين ذات يوم ، وأمر بالتوجه إلى إسحاق ، فوجه إليه عدة رسل ، كلهم لا يصادفه ، حتى جاء أحدهم به ، فدخل منتشياً ومحمد مغضب . فقال له : أين كنت وملك ؟ قال : أصبحتُ يا أمير المؤمنين نشيطاً ، فركبت إلى بعض المتنزهات ، فاستطبت الموضع وأقمت فيه وسقاني زياد ، فذكرتُ أبياتاً للأخطل وهو يسقيني ، فدار لي فيها لحنٌ حسن فصنعتة فيها ، وقد جئتكَ به . فتبسّم ، ثم قال : هات ، فما تزال تأتي بما يُرضي عنك عند السخط ، فغنّاه :

صوت

إذا ما زيادٌ علّني ثم علّني ثلاثٌ زجاجات لهنّ هدِيرُ
خرجتُ أجرُّ الذيلِ زهواً كأنني عليك أميرَ المؤمنين أميرُ

قال : بلّ على أبيك ، قَبَّحَ اللهُ فِعْلَكَ ، فما يزال إحسانك في غنائك يمحو إساءتك في فِعْلِكَ ، وأمر له بألف دينار .

الشعرُ في هذين البيتين للأخطل¹ ، والغناء لإسحاق ، رمل بالبنصر . ورواية شعر الأخطل :

إذا ما نديمي علّني ثم علّني

وإنما غيرَه إسحاق فقال : «إذا ما زياد» .

أخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يزيد النحوي : أنَّ عبدَ الملك بن مروان قال للأخطل : ما يدعوك إلى الخمر ؟ فوالله إنَّ أولها لَمُرٌّ ، وإنَّ آخرها لَسُكْرٌ ! قال : أجل ، ولكن بينهما حالة ، ما مُلُكُك عندها بشيء ، وقد قلتُ في ذلك :

1 المقطوعة 154 في ديوان الأخطل .

إذا ما نَدِيمِي عَنِّي ثمَّ عَنِّي
 خَرَجْتُ أُجْرُ الذَّيْلِ زَهْواً كَأَنِّي
 ثلاثَ زجاجاتٍ لهنَّ هَدِيرُ
 عليكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرُ
 قال : فجعل عبد الملك يضحك .

صوت¹

[من الطويل]

أشارتُ بِطَرْفِ العَيْنِ خَيْفَةَ أَهْلِهَا
 فَأَيَقُنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَباً
 إِشَارَةً مَحْزُونٍ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ
 وَأَهْلاً وَسَهْلاً بِالْحَبِيبِ الْمُسْلِمِ
 هَنِيئاً لَكُمْ حُبِّي وَصَفْوُ مَوَدَّتِي
 فَقَطَّ سَيْطاً مِنْ لَحْمِي هَوَاكُ وَمِنْ دَمِي²
 الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر ، وفيه لدحمان ثقيل أول بالبنصر . ويقال : إنه لابن سُريج ، وقيل : إنَّ الثقيل الأوَّل لابن عائشة ، والثقل الثاني لابن سُريج ، وفيه خفيف ثقيل أول ، ينسب إلى ابن سُريج وإلى علي بن الجواري .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 345 .

2 الديوان : هنيئاً لكم قتلي . . . ، وسيط : خلط .

[432] - خبر لحبابة مع ابن عائشة

[نحوال لتسمع غناء]

أخبرني الحسن بن يحيى وابن أبي الأزهر، عن حماد بن إسحاق، عن أبيه، عن المدائني، قال: كانت حبابة جارية يزيد بن عبد الملك مُعجبةً بغناء ابن عائشة، وكان ابن عائشة حديث السن، فلما طال عهداها به اشتاقت إلى أن تسمع غناها، فلم تدر كيف تصنع، فاختلفت هي وسلامة في صوت لمعبد، فأمر يزيد بإحضاره ووجهه في ذلك رسوياً. فبعثت حبابة إلى الرسول سراً فأمرته أن يأتي ابن عائشة وأمير المدينة في خفاء، ويبلغهما رسالتها بالخروج مع معبد سراً، وقالت: قل لهما يستران ذلك عن أمير المؤمنين.

فلما قدم الرسول إلى عامل المدينة أبلغه ما قالت حبابة، فأمر ابن عائشة بالرحلة مع معبد، وقال لمعبد: انظر ما تأمرك به حبابة فاتبه إليه، فقال: نعم. فخرجا حتى قدما على يزيد، وبلغ الخبر حبابة فلم تدر كيف تصنع في أمر ابن عائشة. فلما حضر معبد حاكمت سلامة إليه، فحكمت لها، فاندفعت فغنت صوتاً لابن عائشة، وفيه لابن سريج لحن، ولحن ابن عائشة أشهرهما، وهو:

أشارت بطرف العين خيفةً أهلها

فقال يزيد: يا حبيبتى؛ أتى لك هذا ولم أسمع منك، وهو على غاية الحسن؟ إن لهذا لثاناً. فقال: يا أمير المؤمنين، هذا لحن كنت أخذته عن ابن عائشة، قال: ذلك الصبي! قالت: نعم، وهذا أستاذها، وأشارت بيدها إلى معبد، فقال لمعبد: أهذا لحن ابن عائشة أو انتحلته؟ فقال معبد: هذا، أصلح الله الأمير، له. فقال يزيد: لو كان حاضراً ما كرهنا أن نسمع منه، فقال معبد: هو والله معي لا يفارقتي، فقال يزيد: ويحك يا معبد! احتملنا الساعة أمرك، فزدتنا ما كرهنا، ثم قال لحبابة: هذا والله عملك، قالت: أجل يا سيدي، قال لها: هذه الشام، ولا تحمل لنا ما تحمله المدينة. قالت: يا سيدي أنا والله أحب أن أسمع من ابن عائشة. فأحضر، فلما دخل قال له: هات صوتاً غنته حبابة:

أشارت بطرف العين خيفةً أهلها

فغناه، فقال: هو والله يا حبابة منه أحسن منه منك: قالت: أجل يا سيدي. ثم قال يزيد: هات يا محمد ما عندك، فغنى:

[من الكامل]

صوت

قِفْ بالنازِلِ قبلُ أنْ تَتَفَرَّقَا واستنطقَ الرَبْعَ المُحِيلَ المُخْلِقا
 عن عِلْمٍ ما فَعَلَ الخَلِيطُ لَعَلَّهُ بجوابِ رَجْعِ حَدِيثِهِمْ أنْ يَنْطَلِقَا
 فَيَبِينُ مِنْ أَخْبَارِهِمْ لِمُتَيِّمٍ أَمْسَى وَأَصْبَحَ بِالرَّسُومِ مَعْلَقَا
 كَلِفًا بِهَا أَبْدًا تَسْحُ دَمُوعُهُ وَسَطَ الدِّيَارِ مَسَائِلًا مُسْتَنْطَقَا
 ذَرَفَتْ لَهُ عَيْنٌ يُرَى إِنْسَانُهَا فِي لُجَّةٍ مِنْ مَائِهَا مَغْرُورَقَا
 تُذْرِي مَحَايِرُهَا الدَّمُوعَ كَأَنَّهَا دُرٌّ وَهَيَّ مِنْ سَلِكِهِ مُسْتَوْسِقَا¹

الغناء لابن عائشة ، ولحنه من الثقيل الأول بالوسطى ، وفيه لشارية خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ، ويقال : إن فيه لابن جندب وحنين الحنين ، قال : فقال له يزيد : أهلاً وسهلاً بك يا ابن عائشة ، فأنت والله الحسن الوجه ، الحسن الغناء . وأحسن إليه ووصله .

ثم لم يره يزيد بعد هذا المجلس ، وبعثت إليه حباة بئرٍ وألطف وأتبعها سلامة في ذلك .

صوت²

[من الكامل]

لَمَّا سَمِعْتُ الدِيكَ صَاحَ بِسُحْرَةٍ وَتَوَسَّطَ النِّسْرَانِ بَطْنَ العَقْرَبِ
 وَبَدَأَ سُهَيْلٌ فِي السَّمَاءِ كَأَنَّهُ نُورٌ وَعَارِضُهُ هِجَانُ الرَّبْرِبِ
 نَبَّهْتُ نَدْمَانِي وَقَلْتُ لَهُ اصْطَبِخْ يَا ابْنَ الكِرَامِ مِنَ الشَّرَابِ الطَّيِّبِ
 صَفْرَاءُ تَبْرُقُ فِي الزَّجَاجِ كَأَنَّهَا حَدَقُ الجِرَادَةِ أَوْ لُعَابُ الجُنْدَبِ

الشعر لأبي الهندي ، والغناء لإبراهيم الموصلي ، ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

1 مستوسق : مجتمع .

2 ديوان أبي الهندي : 15 .

[433] - أخبار أبي الهندي ونسبه¹

[شاعريته واستفراغ شعره في الخمر]

اسمه غالب بن عبد القدوس بن شَبَث بن رِبعي . وكان شاعراً مطبوعاً ، وقد أدرك الدولتين : دولة بني أمية ، وأول دولة ولد العباس . وكان جَزُل الشعر ، حسن الألفاظ ، لطيف المعاني . وإتماً أُخمله وأمات ذِكْرَه بُعْدهُ من بلاد العرب ، ومُقامه بِسِجِسْتان وبخراسان . وشغفه بالشراب ومعاقرته إيّاه ، وفسقه وما كان يتهم به من فساد الدّين . واستفرغ شِعْرَه بصفة الخمر ، وهو أوّل مَنْ وصفها من شعراء الإسلام ، فجعل وصفها وَكْذَه وَقْصْده ، ومن مشهور قوله فيها ومختاره :

سَقَيْتُ أبا المَطْرَحِ إِذْ أَتَانِي وَذو الرِّعْثَاتِ مَتَّصِبٌ يَصِيحُ²
شَرَاباً يَهْرُبُ الذُّبَابُ مِنْهُ وَيَلْتَفِعُ حِينَ يَشْرِبُهُ الفَصِيحُ

[أبو نواس وغيره يأخذون معانيه في الخمر]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ، قال حدّثني فضل اليزيدي أنّه سمع إسحاق الموصلي يوماً يقول : وأنشد شعراً لأبي الهندي في صفة الخمر ، فاستحسنه وقرّظه ، فذكر عنده أبو نواس ، فقال : ومن أين أخذ أبو نواس معانيه إلا من هذه الطبقة ؟ وأنا أوجدكم سلخه هذه المعاني كلّها في شعره ، فجعل ينشد بيتاً من شعر أبي الهندي ؛ ثم يستخرج المعنى والموضع الذي سرّقه الحسن فيه حتى أتى على الأبيات كلّها واستخرجها من شعره .

أخبرني الحسن بن علي : قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعد . قال : حدّثني شيخ من أهل البصرة ، قال : كنا عند أبي عبيدة ، فأنشد منشداً شعراً في صفة الخمر ، أنسيه الشيخ ، فضحك ثم قال : هذا أخذه من قول أبي الهندي³ : [من الطويل]

1 ترجمة أبي الهندي في الشعر والشعراء : 572-573 وطبقات ابن المعتز : 136-137 والفوات : 169-171 والسمط : 168 و208 وفي اسمه خلاف فهو غالب بن عبد المؤمن (أو ابن عبد القدوس) أو عبد المؤمن أو عبد السلام أو عبد الملك أو أزهر بن عبد العزيز أو عبد الله بن ربعي بن شبت بن ربعي . وانظر مواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع عبد الله الجبوري شعره (بغداد - 1970) .

2 ذو الرعئات : الديك . والرعة : عثونه .

3 ديوان أبي الهندي : 29-32 .

سَيَّغِي أبا الهندي عن وَطْبِ سالم
مُقَدِّمَةٌ قُرّاً كَانَ رِقَابَهَا
جَلَّتْهَا الجوالي حين طاب مِزاجها
تَمَجَّ سُلَافاً في الأباريقِ خالِصاً
أَبَارِيقُ لم يعلُقْ بها وَصَرَ الزُّبْدُ
رِقَابُ بناتِ الماءِ تَفَرَّغُ للرَّعْدِ
وَطَيَّبَتْهَا بالمِسْكِ والعنبرِ الوَرْدُ
وفي كلِّ كأسٍ من مَهْأُ حَسَنِ القَدِّ
تَضَمَّنْهَا زِقُّ أَرْبَ كَأَنَّهُ
صَرِيحٌ من السُّودانِ ذُو شَعْرٍ جَعْدِ⁴

[يسكر ثلاثة أيام]

نسخت من كتاب ابن النطاح ، حدّثني بعض أصحابنا : أن أبا الهندي انتهى الصُّبوح في الحانة ذات يوم ، فأتى خَمَّاراً بِسِجِسْتانٍ في محلّة يقال لها : كوه زيان ، وتفسيره : جبل الخُسران ، يباع فيها الخمر والفاحشة ، ويأوي إليها كلُّ خاربٍ وَزَانٍ وبِغْيَةٍ ، فدخل إلى الخَمَّارِ فقال له : اسقني ، وأعطاه ديناراً ، فكالَ له ، وجعل يشرب حتى سَكِرَ ، وجاء قومٌ يسألون عنه فصادفوه على تلك الحال . فقالوا للخَمَّارِ : ألحقنا به ، فسقاهم حتى سَكروا ، فانتبه فسأل عنهم ، فعرفه الخَمَّارُ خبرهم ، فقال له : هذا الآن وقت السكر ، الآن طاب ، ألحقني بهم ، فجعل يشرب حتى سكر ، وانتبهوا فقالوا للخَمَّارِ : ويحك ! هذا نائم بعد ! فقال : لا ، ولقد انتبه ، فلما عَرَفَ خبرَكم شرب حتى سَكِرَ ، فقالوا : ألحقنا به ؛ فسقاهم حتى سَكروا . وانتبه فسأل عن خبرهم ، فعرفه فقال : والله لألحقنَّ بهم ، فشرب حتى سَكِرَ . ولم يزل ذلك دأبه وذابهم ثلاثة أيّام لم يلتقوا وهم في موضع واحد ، ثم تركوا هم الشرب عمداً حتى أفاق ، فلَقَّوه .

وهذا الخبر بعينه يُحكى لوالبة بن الحُباب مع أبي نواس ، وقد ذُكِرَ في أخبارِ والبة ، والصحيحُ أنه لأبي الهندي ، وفي ذلك يقول⁵ :

ندامى بَعْدَ ثالِثَةِ تَلاقٍ
يَضُمُّهُمُ بِكُوهِ زِيانِ راحُ
وقد باكرتُها فتركتُ منها
قتيلاً ما أصابتنسي جِراحُ

1 الوطب : سقاء اللين . والوضر : وسخ الدسم .

2 مقدّمة : عليها الفدام ، وهو مصفاة صغيرة . والقز : البعد من كل ما يستقدر . وبنات الماء : الطير ونحوه .

3 رواية الديوان :

تمجّ سلافاً من أباريق صفتت وطاسات صفر كلّها حسن القدّ

4 أرب : ذو شعر .

5 ديوان أبي الهندي : 20-22 .

وقالوا أيها الخمار من ذا
فقالوا هات راحك الحقنا
فما إن لبثتهم أن رمتهم
وحان تنبهي فسألت عنهم
رأوك مجدلاً فاستخبروني
فقلت بهم فألحقني فهبوا
فقال : نعم فقالوا الحقنا
فما إن زال ذاك الداب منّا
نبيت معاً وليس لنا لقاء

[مات مختنقاً أو من البرد]

أخبرني عمي الحسن بن أحمد ، قال : حدثني الحسن بن عليّ العنزيّ ، قال : قال صدقة بن إبراهيم البكريّ : كان أبو الهنديّ يشرب معنا بمرو ، وكان إذا سكر يتقلب تقلباً قبيحاً في نومه ، فكنا كثيراً ما نشدُّ رجله لئلا يسقط من السطح . فسكر ليلة وشددنا رجله بجبل . وطولنا فيه ليقدر على القيام إلى البول وغير ذلك من حوائجه ، فتقلب وسقط من السطح ، وأمسكه الجبل فبقي منكساً وتختق بما في جوفه من الشراب ، فأصبحنا فوجدناه ميتاً . قال صدقة : فمررت بقبوره بعد ذلك فوجدت عليه مكتوباً⁴ : [من مخلع البسيط]

اجعلوا إن مت يوماً كفني ورق الكرم وقبري معصرة
إنني أرجو من الله غداً بعد شرب الراح حسن المغفرة

قال : فكان الفتيان بعد ذلك يجيئون إلى قبره ، ويشربون ويصبون القدح إذا انتهى إليه على قبره .

قال حماد بن إسحاق عن أبيه في وفاة أبي الهنديّ : إنه خرج وهو سكران في ليلة باردة من حانة خمار وهو ريان ، فأصابه ثلج فقتله ، فوجد من غدٍ ميتاً على الطريق .

1 الديوان : فقال هات ألقنا براح .

2 الديوان : فلم يتمهلوا حتى رمتهم ،

3 الديوان :

فقلت له فسرحتني إليهم حثيثاً والسراح هو النجاح

4 ديوان أبي الهندي : 34 .

[امتنع عن الخمر أيام الحج]

وروى حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال : حجَّ نصر بن سيار وأخرج معه أبا الهندي ، فلما حضرت أيام الموسم قال له : يا أبا الهندي ، إنا بحيث ترى ، وفدُّ الله وزوار بيته ، فهب لي التبيد في هذه الأيام واحتكم علي ، فلولا ما ترى ، ما منعتك . فضمن له ذلك وغلظ عليه الاحتكام ، ووكل به نصر بن سيار بعض نقبائه فلما انقضى الأجل مضى في السحر قبل أن يلقي نصراً ، فجلس في أكمة يشرف منها على فضاء واسع ، فجلس عليها ووضع بين يديه إداوة ، وأقبل يشرب ويكي ، ويقول¹ :

أديرا علي الكأس إني فقدتها كما فقد المفطوم درّ المراضع
حليف مدام فارق الراح روحه فضل عليها مستهل المدامع²

قال : وعاتب قوم أبا الهندي على فسقه ومعاقرة الشراب ، فقال³ :

إذا صليتُ خمسا كل يوم فإن الله يغفر لي فسوقي
ولم أشرك برّب الناس شيئا فقد أمسكت بالدين الوثيق
وجاهدتُ العدو ونلتُ مالا يبلغني إلى البيت العتيق
فهذا الدين ليس به خفاء دعوني من بنيات الطريق⁴

[لا يدفع للعواهر أجرهن]

قال إسحاق : وشرب يوماً أبو الهندي بكوه زيان عند خمارة هناك ، وكان عندها نسوة عواهر ، ففجر بهنّ ولم يعطهنّ شيئا ، فجعلن يطالبنه بجعل فلم ينفعهنّ ، فقال في ذلك⁵ :

آلى يمينا أبو الهندي كاذبة ليُعطين زواني لست ماشينا⁶
وغرهنّ فلما أن قضى وطرا قال ارتحلن فأخرى الله ذا دينا

[سرعة جوابه]

أخبرني عمي عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، عن أبي محلم ، قال : خطب أبو الهندي

1 ديوانه : 44 بعكس الترتيب .

2 حليف مدام في الديوان : رضيع مدام .

3 ديوانه : 45-46 .

4 بنيات الطريق : الطرق المتشعبة من الجادة .

5 ديوانه : 53 .

6 لست : موضع بعينه .

غالبُ بنُ القُدُوس بن شَبَّث بن ربيعٍ إلى رجل من بني تميم ، فقال : لو كنتَ مثلَ أبيك لروَّجتك ، فقال له غالب : لكنك لو كنتَ مثلَ أبيك ما خطبتَ إليك .
قال أبو محلم : ومرَّ نصر بن سيَّار بأبي الهندي ، وهو سكرانٌ يتمايل ، فوقف عليه فعذَّله وسبَّه ، وقال : ضيَّعتُ شرفك ، وفضحتُ أسلافك . فلمَّا طال عتابه التفتَ إليه فقال : لولا أنَّي ضيَّعتُ شرفي لم تكن أنت على خراسان ، فأنصرف نصر خَجلاً .
قال أبو محلم : وكان بسجستان رجل يقال له : برزين ناسكاً ، وكان أبوه صليب في خرابة¹ فجلس إليه أبو الهندي ، فطَفِقَ يعذله ويُعرض له بالشراب . فقال له أبو الهندي : أحذُّكم يري القذاة في عين أخيه ، ولا يرى الخشبة في است أبيه² ! فأحججه .
قال أبو محلم : وكان أسرع الناس جواباً .

صوت

[من المتقارب]

لقد قلتُ حينَ قرَّ بتِ العيسُ يا نوارُ
قفوا فاربعوا قليلاً فلم يربعوا وساروا
فنفسي لها حنينُ وقلبي له انكسارُ
وصدري به غليلُ ودمعي له انحذارُ

الشعر لسعيد بن وهب ، والغناء لسليم رمل بالوسطى عن الهشامي ، ومن جامع سليم ونسخة عمرو الثانية .

1 الخرابة : سرقة الإبل .

2 من المثل : « كيف تبصر القذى في عين أخيك وتدع الجذع المعترض في حلقك » . انظر مجمع الميداني 2 :

[434] - أخبار سعيد بن وهب¹

[نسبه]

سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بني سلمة بن لؤي بن نصر ، مولده ومنشؤه بالبصرة ، ثم سار إلى بغداد فأقام بها . وكانت الكتابة صناعته ، فتصرف مع البرامكة فاصطنعوه ، وتقدم عندهم .

[شغفه بالعلمان والشراب ثم توبته]

وكان شاعراً مطبوعاً ، ومات في أيام المأمون ، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالمدكر ، وكان مشغوقاً بالعلمان والشراب .

ثم تنسك وتاب ، وحج راجلاً على قدميه ، ومات على توبة وإقلاع ومذهب جميل . ومات وأبو العتاهية حي ، وكان صديقه فرثاه .

[رثاء أبي العتاهية له]

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش . عن محمد بن يزيد . قال : حدثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية . قال : جاء رجل إلى أبي العتاهية ، ونحن عنده ، فسارّه في شيء فبكى أبو العتاهية ، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا إسحاق فأبكاك ؟ فقال ، وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعراً² :

[من الخفيف]

قال لي مات سعيد بن وهب رحم الله سعيد بن وهب

يا أبا عثمان أبكيت عيني يا أبا عثمان أوجعت قلبي

قال : فعجبنا من طبعه وأنه تحدث ، فكان حديثه شعراً موزوناً .

[توبة وترهد]

وأخبرني الحسن بن علي الخفاف . قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني سيبويه أبو محمد ، قال : كان سعيد بن وهب الشاعر البصري ، مولى بني سلمة قد تاب وترهد ، وترك قول الشعر . وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات ، فكان إذا وجد شيئاً من شعره خرقه وأحرقه . وكان امرأاً صدق ، كثير الصلاة ، يزكي في كل سنة عن جميع ما عنده ، حتى إنه ليزكي عن فضة كانت على امرأته .

1 ترجمة سعيد بن وهب في طبقات ابن المعتز : 256-261 والوافي 15 : 272-273 والفهرست : 123 وتاريخ بغداد 9 : 73 والموشح 400-401 والنجوم الزاهرة 2 : 188 وانظر أعلام الزركلي ومواقع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 ديوان أبي العتاهية : 415 .

[غزله بالعلمان]

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عليُّ بن الحسين بن عبد الأعلى ، قال : حدَّثني أبو عثمان الليثي ، قال : كان سعيد بن وهب يتعشَّق غلاماً يتشطرَّ ، يقال له : سعيد ، فبلغه أنَّه توعدَّه أن يجرَّحه ، فقال فيه :

[من مجزوء الرمل]

مَنْ عذيري مِنْ سَمِيٍّ مَنْ عذيري من سعيدٍ ؟
أنا باللحمِ أَجَاهِ ويجاني بالحديدِ

حدَّثني جحظة ، قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : نظر سعيد بن وهب إلى قوم من كتابِ السُّلطان في أحوال جميلة ، فأنشأ يقول¹ :

[من السريع]

مَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا لَهُ شَارَةٌ فنحنُ مِنَ نَظَارَةِ الدُّنْيَا
نَرْمُقُهَا مِنْ كَتَبِ حَسْرَةٍ كأننا لفظٌ بلا مَعْنَى
يَعْلُو بِهَا النَّاسُ وَأَيَّامُنَا تذهب في الأردلِ والأدْنَى

أخبرني عمِّي ، قال : حدَّثني عبدُ الله بن أبي سعد ، قال : حدَّثني محمدُ بن عبد الله بن يعقوب بن داود ، قال : حدَّثني عبد الله بن أبي العلاء المغنِّي ، قال : نظرَ إليَّ سعيدُ بن وهب ، وأنا على باب ميمون بن إسماعيل ، حين احضرَّ شاربِي ، ومعه إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فسلمت على إسحاق فأقبل عليه سعيد ، وقال : مَنْ هذا الغلام ؟ فتبسَّم ، وقال : هذا ابن صديق لي ، فأقبل عليَّ وقال :

[من الكامل]

لا تخرجنَّ مع الغزيِّ لمغنم إنَّ الغزيَّ يراكَ أفضلَ مغنم²
في مثل وجهك يستحلُّ ذوو الثقي والدينُ والعلماءُ كلُّ محرمٍ
ما أنتَ إلاَّ غادةٌ ممكورةٌ لولا شواربُك المِطْلَةُ بالفمِ

أخبرني محمدُ بن خلف بن المرزبان ، قال : حدَّثني أحمد بن أبي طاهر ، عن أبي دعامة ، قال : مرَّ سعيد بن وهب الكسائي ، فلحقا غلاماً جميل الوجه ، فاستحسنه الكسائي وأراد أن يستميله ، فأخذ يذاكره بالنحو ويتكلَّم به ، فلم يملُ إليه . وأخذ سعيد بن وهب في الشعر ينشده ، فمال إليه الغلامُ ، فبعث به إلى منزله ، وبعث معه بالكسائي ، وقال له : حدِّثه وأنسه إلى أن أجيء ، وتشاغل بحاجة له . فمضى به الكسائي ، فما زال يداريه حتى قضى حاجته

1 الأبيات في الروافي 15 : 272 .

2 الغزي : الجيش الغازي .

وَأَرَبَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : انصرف ، وجاء سعيد فلم يره ، فقال ¹ :

[من المتقارب]

أَبُو حَسَنٍ لَا يَفِي فَمَنْ ذَا يَفِي بَعْدَهُ
أَثَرْتُ لَهُ شَادِنًا فصَايَدَهُ وَحَدَهُ
وَأَظْهَرَ لِي غَدْرَةً وَأَخْلَفَنِي وَعَدَهُ
سَأَطْلُبُ مَا سَاءَ كَمَا سَاءَ نِي جُهْدَهُ

[جزعه على ابنه]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سعيد بن وهب لي صديقاً ، وكان له ابنٌ يكنى أبا الخطاب ، من أكيس الصبيان وأحسبهم وجهاً وأدباً ، فكان لا يكاد يفارقه في كلِّ حال ، لشدة شغفه به ، ورقته عليه . فمات وله عشرُ سنين ، فجزعَ عليه جزعاً شديداً ، وانقطع عن لذاته . فدخلتُ إليه يوماً لأعاتبه على ذلك ، وأستعطفهُ ، فحينَ رأى ذلك في وجهي فاضتْ دموعُهُ ، ثم انتحبَ حتى رحمتُهُ ، وأنشدني :

[من الخفيف]

عَيْنُ جُودِي عَلَى أَبِي الْخَطَّابِ إِذ تَوَلَّى غَضًّا بِمَاءِ الشَّبَابِ
لَمْ يُقَارِفْ ذَنْبًا وَلَمْ يُبْلَغِ الْحَدَّ ثَمَّ مَرَجَّى مُطَهَّرِ الْأَثَابِ
فَقَدَّتْهُ عَيْنِي إِذَا مَا سَعَى آتٍ رَابَهُ مِنْ جَمَاعَةِ الْأَثْرَابِ
إِنْ غَدَا مُحِشًّا لِدَارِي فَقَدْ أَصَدَّ بِيحِ أَنْسِ الثَّرَى وَزِينِ الثُّرَابِ
أَحْمَدُ اللَّهِ يَا حَبِيبِي فَإِنِّي بِكَ رَاجٍ مِنْهُ عَظِيمِ الثَّوَابِ

ثم ناشدني ألا أذكره بشيء ، مما جئتُ إليه ، فقمْتُ ولم أخاطبه بحرف .

وقد رأيت هذه الأبيات بعينها بخط إسحاق في بعض دفاتره ، يقول فيه : أنشدني سعيد بن وهب لنفسه يرثي ابناً له صغيراً ، وهي على ما ذكره جعفر بن قدامة عن حماد سواء .

[غلامان يختكمان إليه]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق ، قال : حدثني أبو هيفان ، قال : حدثني أبو دعامه ، قال : كان سعيد بن وهب مألُفَةً لكلِّ غلامٍ أمرَدَ ، وفتى ظريف ، وقينةٌ مُحسنة . فحدثني رجل كان يعاشره ، قال : دخل إليه يوماً وأنا عندهُ غلامانِ أمردان ، فقالا له : قد تحاكمتنا إليك : أيُّنا أجمل وجهاً ، وأحسن جسمًا ؟ وجعلنا لك أجرَ حُكْمِكَ أن تختار أيُّنا حكمتَ له ، فتقضي حاجتك منه . فحكمت لأحدهما ، وقام فقضى حاجته واحتبسَهُمَا فشربا عنده

نبيذاً ، ثم مالَ على الآخر أيضاً ، وقيمتُ معه . فداخلتهما حتى فعلتُ كفعله ، فقال لي سعيد : هذا يومُ الغاراتِ في الحاراتِ ، ثم قال :

[من المنسرح]
 رثمانِ جاء فحكَّمانِي لا حُكْمَ قاضٍ ولا أميرٍ
 هذا كشمسِ الضحى جمالاً وذا كبدِ الدُّجى المُنيرِ
 وفضلُ هذا كذا على ذا فضلُ خميسٍ على عَشيرِ
 قالا أَشْرُ بَيْننا برأِي ونجعلُ الفضلُ للمشيرِ
 تبادلا ثمَّ قمتُ حتى أَخذتُ فضلي من الكبيرِ
 وكان عيباً بأنْ أراني أُحْرِمُ حَظِّي من الصغيرِ
 فكان منِّي ومنْ قريني إليهما وثبَّتُ المغيرِ
 فمنْ رأى حاكِماً كحكِّمي أعظمَ جوراً بلا نكيرِ

وقال : وشاعتُ الأبيات حتى بلغت الرشيدي ، فدعا به فاستنشه إياها ، فتلكأ ، فقال له : أنشدُ ولا بأس عليك ، فأنشده . فقال له : ويلك ! اخترتَ الكبير سنّاً أو قدراً ؟ قال : بل الكبير قدراً . قال : لو قلت غير هذا سقطتَ عندي واستخففتُ بك . ووصله . [مدح الفضل بن يحيى]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدَّثني أبو العيناء ، قال : دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يومٍ قد جلسَ فيه للشعراء ، فجعلوا ينشدونه ويأمرُهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد . فالتفت إلى سعيد بن وهب كالمستنطق ، فقال له : أيها الوزير ، إني ما كنت استعددتُ لهذه الحال ، ولا تقدّمتُ لها عندي مقدّمة فأعرِفها ، ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن ينوبا عن قصيدة ، فقال : هاتهما فربّ قليلٍ أبلغ من الكثير ، فقال سعيد : [من الخفيف]

مدح الفضلُ نفسه بالفعالِ فعلا عن مدِّحنا بالمقالِ
 أمروني بمدِّحه قلتُ كلا كبر الفضل عن مدِّح الرجالِ

قال : فطرب الفضلُ ، وقال له : أحسنتَ والله وأجدتَ ! ولئن قلَّ القولُ ونَزَرَ لقد اتسع المعنى وكثُر .

ثم أمر له بمثل ما أعطاه كلٌّ من أنشده مدِّحاً يومئذٍ ، وقال : لا خير فيما يجيء بعد بيتك ؛ وقام من المجلس وخرج الناس يومئذٍ بالبيتين لا يتناشدون سواهما .

حدَّثني عمِّي قال : حدَّثني ميمون بن هارون ، قال : حدَّثت عن الخريمي ، قال : كان الفضل بن يحيى ينافس أخاه جعفرأ ، وينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبي شيخ خاصاً بجعفر ، ينادمه ويأنس به في خلواته ، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل .

فدخلت يوماً إلى جعفر ، ودخل إليه سعيد بن وهب ، فحدثته وأثنى له ، وحكى عن المتنادرين ، وأتى بكل ما يسرُّ ويُطرب ويُضحك ، وجعفر ساكت ينظر إليه لا يزيد على ذلك .

فلما خرج سعيد من عنده تجاهلتُ عليه ، وقلت له : مَنْ هذا الرجل الكثير الهديان ؟ قال : أوما تعرفه ؟ قلت : لا ؛ قال : هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العباس وخلصانه وعشيقه . قلت : وأي شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيء والله إلا القدرُ والبردُ والغثاءُ .

ثم دخلتُ بعد ذلك إلى الفضل ، ودخل أنس بن أبي شيخ فحدثتُ وندر ، وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريفة ، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد . فقلت له بعد أن خرج من حضرته : مَنْ هذا المبرد ؟ قال : أولاً تعرفه ؟ قلت : لا . قال : هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي أبي الفضل وعشيقه وخاصته . قلت : وأي شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله ، إلا القدرُ والبردُ وسوء الاختيار .

قال : وأنا والله أعرفُ بسعيد وأنسٍ من الناس جميعاً ، ولكني تجاهلتُ عليهما وساعدتهما على هواهما .

[وفاء في النكبة]

حدثني عمي ، قال : حدثني ميمون بن هارون ، قال : قال إبراهيم بن العباس : قال لي الفضل بن الربيع ذات يوم : عرفتنا أيام النكبة مَنْ كنا نجهله من الناس ، وذلك أننا احتجنا إلى أن نودع أموالنا ، وكان أمرها كثيراً مفرباً ، فكنا نلقيناها على الناس إلقاءً ، ونودعها الثقة وغير الثقة . فكان ممن أودعته سعيد بن وهب ، وكان رجلاً صعلوكاً لا مال له ، إنما صحبنا على البطالة : فظننت أن ما أودعته ذاهب ، ثم طلبته منه بعد حين ، فجاءني والله بخواتيمه .

وأودعتُ علي بن الهيثم كاتبنا جملة عظيمة ، وكان عندي أوثق مَنْ أودعته . فلما أمنتُ طالبته بالودعية ، فجددتها وبهتني وحلف على ذلك . فصار سعيد عندي في السماء ، وبلغتُ به كل مبلغ ، وسقط علي بن الهيثم ، فما يصل إلي ولا يلقاني .

[بجاجة جارية رجل من البرامكة]

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه ، حدثني عمرو بن بانه . قال : كان في جوارى رجل من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة طريفة ، يقال لها : حسناء ، يدخل إليها الشعراء ويسألونها عن المعاني ، فتأتي بكل مستحسن من الجواب ، فدخل إليها سعيد بن وهب يوماً ، وجلس إليها فحدثها طويلاً ، ثم قال لها بعد ذلك : [من الهزج]

حاجيتك يا حسنا ء في جنس من الشعر
 وفيما طوله شير وقد يوفي على الشبر
 له في رأسه شق نطوف بالندی يجري
 إذا ما جف لم يجر لدى بر ولا بحر
 وإن بل أتى بالعد جب العاجب والسحر
 أجيبني لم أرد فحشا ورب الشفع والوتر
 ولكن صغت أبياتا لها حظ من الزجر

قال : فغضب مولاها وتغير لونه ، وقال أتفحش على جاريتي وتخاطبها بالخنا !
 فقالت له : خفض عليك ، فما ذهب إلى ما ظننت ، وإنما يعني القلم ، فسري عنه ،
 وضحك سعيد وقال : هي أعلم منك بما سمعت .

صوت¹

[من الرجز]

دأبت أروى والديون تقضى فمطلت بعضاً وأدت بعضاً
 يا ليت أروى إذ لوتك القرضا جادت بقرض فشكرت القرضا
 الشعر لرؤية بن العجاج ، والغناء لعمر بن بانة ، رمل بالوسطى .

[435] - أخبار رؤبة ونسبه¹

[نسبه]

هو رؤبة بن العجاج ، واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن حنيفة ، وهو أبو جُذَيْمُ بن مالك بن قدامة بن أسامة بن الحارث بن عوف بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم . من رُجَّاز الإسلام وفصحائهم ، والمذكورين المقدمين منهم ، بدويّ نزل البصرة ، وهو من مُحَضَّرَمِي الدولتين .

مدح بني أمية وبني العباس ، ومات في أيام المنصور ، وقد أخذ عنه وجوه أهل اللغة ، وكانوا يقتدون به ، ويحتجون بشعره ، ويجعلونه إماماً ؛ ويكنى أبا الجحَّاف وأبا العجاج .

[رأي في فصاحته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وأحمد بن عمّار ، واللفظ له ، قال : حدّثنا عمر بن شبة : قال : حدّثنا خلاد بن يزيد ، قال : حدّثني يونس بن حبيب ، قال : كنتُ جالساً مع أبي عمرو بن العلاء ، إذ مرّ بنا شُبَيْلُ بن عَزْرَةَ الضَّبْعِيّ ، قال أبو يزيد : وكان علامةً ، فقال : يا أبا عمرو ، أشعرتَ أني سألت رؤبة عن اسمه فلم يدر ما هو وما معناه ؟ قال يونس : فقلت له : والله لرؤبة أفسح من معدّ بن عدنان ، وأنا غلام رؤبة ، أفَتَعْرِفُ أنت روبة وروبة وروبة وروبة وروبة ؟ قال : فضربَ بغلته وذهب ، فما تكلم بشيء : قال يونس : فقال لي أبو عمرو : ما يسرني أنك نَقَصْتَنِي منها .

قال ابنُ عمّار في خبره : والرؤبة : اللبن الخائر ، والرؤبة : ماء الفحل ، والرؤبة : الساعة تمضي من الليل ، والرؤبة : الحاجة ، والرؤبة : شعب القدح ، قال : وأنشدني بعد ذلك² :

فأمّا تميمٌ تميمٌ بنُ مرٍّ فالفاهم القومُ روي نياما
حدّثني ابن عمّار ، قال : حدّثني عبد الله بن أبي سعد ، قال : حدّثني يحيى بن محمد بن أعين

1 ترجمة رؤبة بن العجاج في طبقات ابن سلام : 761-767 والشعر والشعراء : 495-500 وخزاعة البغدادي 42-47 والمؤتلف والمختلف : 175-177 ولسان الميزان 2 : 464 وابن خلكان 2 : 303-305 وبنية الطلب 7 : 114 وسير الذهبي 6 : 162 والوافي 14 : 147 ، وله أخبار منشورة في كتب الأدب كثر الدرّ والبيان والتبيين وعيون الأخبار والعقد والبصائر والتذكرة الحمدونية . . . إلخ . وقد نشر وليم بن الورد البروسي ديوانه سنة 1903 .

2 ديوان بشر بن أبي خازم : 190 .

المَرُوزِيُّ ، قال : حَدَّثَنِي أَبُو عبيدة ؛ قال : شهدت شَيْبَةَ الصُّبُعِيِّ وَأَبَا عمرو ، فذكر نحوه .
أخبرني أبو خليفة في كتابه إليَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ ، قال : قلت ليونس : هل رأيت عربياً
قطُّ أفصحَ من رؤبة ؟ قال : لا ، ما كان معدُّ بن عدنان أفصح منه .

قال يونس : قال لي رؤبة : حتى متى أزعرف لك كلام الشيطان ؟ أما ترى الشيب قد
بلغ في لحيتك !
[رواية الحديث]

وقد روى رؤبة بن العجاج الحديث المسند عن رسول الله ﷺ ، ورواه أبوه أيضاً .
أخبرني عبد الله بن أبي داود السجستاني ، قال : حَدَّثَنَا عبد الله بن محمد بن خلاد ،
قال : حَدَّثَنَا يعقوب بن محمد الزهري ، قال : حَدَّثَنَا محمد بن إبراهيم ، عن يونس بن
حبيب ، عن رؤبة بن العجاج ، عن أبيه قال : أنشدتُ أبا هريرة¹ : [من الرجز]

الحمدُ لله الذي تَعَلَّتْ بِأَمْرِه السماءُ واستقلَّتْ
بإذنه الأرضُ وما تغيَّتْ أرسى عليها بالجمال الثبتِ
الباعثِ الناسَ ليومِ الموقتِ

قال أبو هريرة : أشهد أنك تؤمن بيوم الحساب .
أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، عن ابن شبة ، عن أبي حرب البابي ، من آل
الحجاج بن باب ، قال : حَدَّثَنَا يونس بن حبيب ، عن رؤبة بن العجاج ، عن أبي الشعثاء ،
عن أبي هريرة ، قال : كنّا مع النبي ﷺ في سفرٍ واحدٍ يحدُّو : [من الرجز]

طافَ الخيالنِ فهاجا سَقَمًا خيالُ لُبْنَى وخيالُ تَكْتُمَا
قامتْ تريكَ خشيةً أنْ تصرِمَا ساقاً بَخْنَدَةً وكعباً أَدْرَمًا²
والنبي ﷺ يسمعُ ولا ينكرُ .

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حَدَّثَنَا عبد الله بن عمرو ، عن محمد بن إسحاق
السهمي ، عن أبي عبيدة الحداد ، قال : حَدَّثَنَا رؤبة بن العجاج عن أبيه ، قال : سمعتُ أبا
عبيدة يقول : السَّوَاكُ يُدْهِبُ وَضَرَ³ الطعامِ .

1 لم ترد في ديوان رؤبة ولا زياداته .

2 الساق البخنداة : الممتلئة . والأدرم : المستوي .

3 الوضر : وسخ الدسم .

[أبو مسلم يستشهده]

أخبرني عمي ، قال : حدثنا محمد بن سعد الكرّاني ، قال : حدثنا أبو حاتم والأشناداني أبو عثمان ، عن أبي عبيدة ، عن ربيعة بن العجاج ، قال : بعث إليّ أبو مسلم لما أفضت الخلافة إلى بني هاشم ، فلما دخلتُ عليه رأى مني جَزَعاً ، فقال : اسكن فلا بأس عليك ، ما هذا الجَزَعُ الذي ظهر منك ؟ قلت : أخافك ، قال : ولم ؟ قلت : لأنّه بلغني أنّك تقتل الناس ، قال : إنّما أقتل من يقاتلني ويريد قتلي ، أفأنت منهم ؟ قلت : لا ، قال : فهل ترى بأساً ؟ قلت : لا . فأقبلَ على جلسائه ضاحكاً ، ثم قال : أمّا ابن العجاج فقد رخص لنا ، ثم قال : أنشدني قولك :

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المخترق¹

فقلت : أو أنشدك ، أصلحك الله أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته² :

قلتُ قولي مستجدٌ حوكاً لبيك إذ دعوتني لبيكا
أحمدُ ربّاً ساقني إليكا

قال : هات كلمتك الأولى ، قلت : أو أنشدك أحسن منها ؟ قال : هات ، فأنشدته³ :

ما زال يئني خندقاً ويهدمه ويستجيشُ عسكراً ويهزمه
ومغنماً يجمعه ويقسمه مروان لما أن تهاوت أنجمه
وخانه في حكمه منجمه

قال : دع هذا وأنشدني : وقاتم الأعماق ، قلت : أو أحسن منه ؟ قال : هات ، فأنشدته⁴ :

رفعت بيتاً وخفضت بيتاً وشدت ركن الدين إذ بنيتا
في الأكرمين من قريش بيتا

قال : هات ما سألتك عنه ، فأنشدته⁵ :

ما زال يأتي الأمر من أقطاره على اليمين وعلى يساره

1 الأعماق : البعيد وأطراف المفاوز . والمخترق : مكان اختراق المفازة .

2 ديوانه : 181 .

3 ديوانه : 186 .

4 ديوانه : 171 .

5 ديوانه : 174 .

مشمراً لا يُصطلى بناره حتى أقرَّ الملكَ في قراره

وفرَّ مروانُ على حماره

قال : ويحك ! هات ما دعوتك له وأمرتك بإنشاده ، ولا تنشد شيئاً غيره ،

فأنشدته : [من الرجز]

وقاتم الأعماقِ خاوي المخترق

فلما صرت إلى قولي :

يرمي الجلاميدَ بجلمودٍ مدق

قال : قاتلك الله ! كشدُّ ما استصلبت الحافر ! ثم قال : حسبك . أنا ذلك الجلمود المدق .

قال : وجيء بمنديل فيه مال فوضع بين يدي ، فقال أبو مسلم : يا رؤية ، إنك أتيتنا

والأموال مشفوهة¹ ، وإن لك لعودةً إلينا وعلينا معولاً ، والدَّهرُ أطرقُ مُستتبٌ ، فلا تجعل
بجنتيك الأسيدة² .

قال رؤية : فأخذت المنديل منه ، وتالله ما رأيتُ أعجمياً أفصحَ منه ، وما ظننتُ أن أحداً

يُعرف هذا الكلام غيري ، وغير أبي .

قال الكرائي : قال أبو عثمان الأشناداني خاصة : يقال : اشتف ما في الإناء ، وشفهه : إذا

أتى عليه ، وأنشد : [من الوافر]

وكاذ المال يشفهه عيالي وما ذو عيَلي من لا أعولُ

[يفضل الفأر على الدواجن]

أخبرني علي سليمان الأحفش ، قال : حدَّثني : محمد بن يزيد ، وأخبرني إبراهيم بن

أيوب ، قال : حدَّثني ابن قتيبة ، قال : كان رؤية يأكل الفأر ، ف قيل له في ذلك وعوتب ،

فقال : هو والله أنظفُ من دواجنكم ودجاجكم اللواتي يأكلن القدر ، وهل يأكل الفأر إلا

نقي البرِّ ولُبَّاب الطعام ؟

[رحلة للقاء الوليد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد ، قال : حدَّثنا أبو حاتم ، عن أبي عبيدة ، عن رؤية ،

قال : لما ولي الوليد بن عبد الملك الخلافة بعث بي الحجاج مع أبي للنقاه ، فاستقبلنا الشمال

حتى صرنا بباب الفرديس³ .

1 مشفوهة : نافده .

2 المثل «لا تجعلن بجنتك الأسيدة» في مجمع الميداني 2 : 233 . والأسدة : العيوب كالعمى والصمم والبكم .

ومعنى المثل : لا يضيقن صدرك فتسكت عن الجواب كمن به صمم أو بكم .

3 باب الفرديس : أحد أبواب دمشق .

قال : وكان خروجنا في عامٍ مُخصِبٍ ، وكنتُ أصليّ الغداة ، وأجتني من الكمأة ما شئت ، ثم لا أجاوز إلا قليلاً حتى أرى خيراً منها ، فأرمي بها وآخذ الآخر ، حتى نزلنا بعض المياه ، فأهدي لنا حملٌ مُخرَفَجٌ¹ ووطب لبينٍ غليظٍ وزبدة كأنها رأس نعجة حوشية² . فقطّعنا الحملَ آراباً³ ، وكررنا عليه اللبن والزبدة ، حتى إذا بلغ إناه انتشلنا اللحم بغير خبز .

ثم شربتُ من مرقه شربة لم تزل لها ذفرياي⁴ ترشحان ؛ حتى رجعنا إلى حجر . فكان أولٌ من لقينا من الشعراء جريراً ، فاستعهدنا ألا نعين عليه . فكان أولٌ من أذن له من الشعراء أبي ثم أنا . فأقبل الوليد على جرير فقال له : ويلك ! ألا تكون مثل هذين ؟ عقدا الشفاه عن أعراض الناس ، فقال : إني أظلمُ فلا أصير .

ثم لقينا بعد ذلك جرير فقال : يا بني أم العجاج ، والله لئن وضعتُ كلكلي عليكما ما أغت عنكما مقطعاتكما ، فقلنا : لا والله ما بلغه عنا شيء ، ولكنه حسدنا لما أذن لنا قبله ، واستنشدنا قبله .

[جرير يتوعد بالهزاء]

وقد أخبرني ببعض هذا الخبر الحسن بن عليّ ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ ، قال : قال روح بن فلان الكلبيّ : كنتُ عند عبد الملك بن بشر بن مروان فدخل جرير ، فلما رأى العجاج أقبل عليه ثم قال له : والله لئن سهرتُ لك ليلة ليقلن عنك نفعُ مقطعاتك هذه ، فقال العجاج : يا أبا خزرة ، والله ما فعلت ما بلغك ، وجعل يعتذر ويخلف ويخضع ؛ فلما خرج قال له رجل : لشد ما اعتذرت إلى جرير ؛ قال : والله لو علمتُ أنه لا ينفعني إلا السلاح لسلحتُ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدثنا عمر بن شبة ، عن أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ ، عن سليمان بن أخضر ، عن ابن عون ، قال : ما شبهتُ هجة الحسن البصريّ إلا بلهجة روية ، ولم يوجد له ولا لأبيه في شعرهما حرفٌ مُدغمٌ قطّ .

[أشعر الناس]

أخبرني محمد بن الحسن بن ذرّيد ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه ، قال : قيل ليونس : من أشعر الناس ، قال : العجاجُ وروية ؛ فقيل له لِمَ ولم نعن الرّجاز ؟ فقال :

1 الحمل المخرَفَج : السمين .

2 الحوشية : نسبة إلى الحوش ، وهو عندهم أرض الجنّ ، وإليه تنسب الإبل وغيرها .

3 الآراب : جمع إرب ، وهو العضو .

4 الذفري : العظم البارز خلف الأذن .

هما أشعر من أهل القصيد ، إنما الشعرُ كلامٌ : فأجوده أشعره ، قد قال العجاج :
قد جبرَّ الدينَ إلهةً فجبر

وهي نحو من مائتي بيت موقوفة القوافي ولو أطلقت قوافيها كانت كلها منصوبة ،
وكذلك عامّة أراجيزهما .

[اللغويون يقعدون له]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ عن محمد بن سلام : عن أبي زيد الأنصاريّ والحكم بن قنبر :
قالا : كنّا نقعد إلى رؤية يوم الجمعة في رحة بني تميم : فاجتمعنا يوماً فقطعنا الطريق ، ومرت بنا
عجوزٌ فلم تقدر على أن تجوزَ في طريقها ، فقال رؤية بن العجاج¹ :

[من الرجز]

تَنَحَّ للعُجُوزِ عن طَريقِها
إذا أَقبلتْ رائحةً من سُووقِها
دَعَّها فما النحويُّ من صديقِها

[يسنعين بالوالي على الصبيان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عمّار ، قالا : حدّثنا
عمر بن شبة ، قال : حدّثنا أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاريّ النحويّ ، قال : دخل رؤية بن
العجاج السوق وعليه برنكان² أخضر ، فجعل الصبيان يعبثون به ، ويغرزون شوك النخل في
برنكائه ويصيحون به : يا مرذوم يا مرذوم ! فجاء إلى الوالي فقال : أرسل معي الوزعة ، فإن
الصبيان قد حالوا بيني وبين دخول السوق ، فأرسلَ معه أعواناً فشدّ على الصبيان ، وهو
يقول³ :

[من الرجز]

أنحى على أمك بالمرذوم أعورُ جعدٌ من بني تميم
شرابُ البانِ خلايا الكوم⁴

ففرّوا من بين يديه فدخلوا داراً في الصيارفة ، فقال له الشرطُ : أين هم ؟ قال : دخلوا دارَ
الظالمين ، فسميت دار الظالمين إلى الآن لقول رؤية ، وهي في صيارفة سوق البصرة .

[الرجز المتحدّي]

وذكر أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ ، قال : قديم البصرة راجزٌ من أهل المدينة ،
فجلس إلى حلقةٍ فيها الشعراء ، فقال : أنا أرجز العرب ، أنا الذي أقول :

[من الرجز]

1 ديوانه : 181 .

2 برنكان : كساء .

3 لم ترد في ديوانه ولا زياداته .

4 الخلايا : المخلاة للحلب . والكوم : جمع كوما ، وهي الناقة العظيمة السنام .

مَرَوَانُ يُعْطِي وَسَعِيدٌ يَمْنَعُ مَرَوَانٌ نَبْعٌ وَسَعِيدٌ خِرْوَعٌ¹

وَدِدْتُ أَتَى رَامِيَتْ مَنْ أَحَبُّ فِي الرِّجْزِ يَدَا بَيْدٍ ، وَاللَّهُ لَأَنَا أَرْجَزُ مِنَ الْعَجَّاجِ ، فَلَيْتَ الْبَصْرَةَ
جَمَعْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . قَالَ : وَالْعَجَّاجُ حَاضِرُ وَابْنِ رَوْثَةَ مَعَهُ . فَأَقْبَلَ رَوْثَةَ عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ : قَدْ
أَنْصَفَكَ الرَّجُلُ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ الْعَجَّاجُ وَقَالَ : هَاأَنْذَا الْعَجَّاجُ ، فَهَلَمْ ! وَزَحَفَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَأَيُّ
الْعَجَّاجِينَ أَنْتَ ؟ قَالَ : مَا خَلْتُكَ تَعْنِي غَيْرِي ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ الطَّوِيلُ ، وَكَانَ يُكْنَى بِذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ
الْمَدَنِيُّ : مَا غَيَّبْتِكَ وَلَا أَرَدْتِكَ ؛ فَقَالَ : وَكَيْفَ وَقَدْ هَنَفْتَ بِي ؟ قَالَ : وَمَا فِي الدُّنْيَا عَجَّاجٌ
سِوَاكَ ؟ قَالَ : مَا عَلِمْتُ ، قَالَ : لَكُنِّي أَعْلَمُ ، وَإِيَّاهُ غَنَيْتُ . قَالَ : فَهَذَا ابْنِي رَوْثَةَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ
غَفْرًا ، مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمَا عَمَلٌ ؛ وَإِنَّمَا مَرَادِي غَيْرُكُمْ ، فَضَحِكُ أَهْلَ الْحَلْقَةِ مِنْهُ ، وَكَفَّ عَنْهُ .

[مخاطبة زائرين]

أَخْبَرَنِي أَبُو خَلِيفَةَ فِي كِتَابِهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَلَامٍ : عَنْ يُونُسَ ، قَالَ : غَدَوْتُ يَوْمًا أَنَا
وَأِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدِ الْعَطَّارِ دِيٍّ عَلَى رَوْثَةَ : فَخَرَجَ إِلَيْنَا كَأَنَّهُ نَسْرٌ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ نُوحٍ : أَصْبَحْتَ
وَاللَّهُ كَقَوْلِكَ² :

كَالْكُرْزِ الْمَشْدُودِ بَيْنَ الْأَوْتَادِ سَاقَطَ عَنْهُ الرِّيشَ كَرُّ الْإِبْرَادِ³
فَقَالَ لَهُ رَوْثَةَ : وَاللَّهُ يَا ابْنَ نُوحٍ مَا زَلْتُ لَكَ مَاقِتًا ، فَقُلْتَ : بَلْ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا الْجَحَّافِ
كَمَا قَالَ الْآخَرُ :

فَأَبْقِينَ مِنْهُ وَأَبْقَى الطَّرَا دُ بَطْنًا حَمِيصًا وَصُلْبًا سَمِينًا
فَضَحِكُ : وَقَالَ : هَاتِ حَاجَتَكَ .

[من رجزه وقد استأذن فلم يؤذن له]

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَوَقَفَ رَوْثَةَ عَلَى بَابِ سَلِيمَانَ بْنِ عَلِيٍّ يَسْتَأْذِنُ : فَقِيلَ لَهُ : قَدْ أَخَذَ
الْإِذْرِيطُوسَ⁴ فَقَالَ رَوْثَةَ⁵ :

يَا مُنْزَلَ الْوَحْيِ عَلَى إِدْرِيسِ وَمُنْزَلَ اللَّعْنِ عَلَى إِبْلِيسِ
وَخَالِقَ الْإِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ بَارِكْ لَهُ فِي شَرْبِ إِذْرِيطُوسِ

1 النبع : شجر صلب تتخذ منه القسي والسهام . والخروع : شجر ضعيف هش المكسر .

2 ديوانه : 28 .

3 الكرّز : البازي سقط ريشه . والإبراد : من أبرده : أي فتره .

4 الأذريطوس : دواء .

5 لم ترد في ديوانه ولا زياداته .

[يخطئه سلم بن قتيبة]

أخبرني الحسن بن يحيى قال : قال حماد : أخبرني أبي عن الأصمعي قال : أنشد رؤية سلم بن قتيبة في صفة خيل :

يَهْوِينَ شَتَّى وَيَقَعْنَ وَقْفًا

فقال له : أخطأت يا أبا الجحاف : جعلته مقيداً فقال : أذني أيها الأمير ذنب البعير أصفه لك كما يجب .

[جاء الخوان فارفعا]

أخبرني أبو خليفة في كتابه إليّ ، عن محمد بن سلام ، عن عبد الرحمن بن محمد ، عن علقمة الضبيّ ، قال : خرج شاهين بن عبد الله الثقفي بروية إلى أرضه ، فقعدهوا يلعبون بالنرد فلما أتوا بالخوان قال رؤية¹ :

[من الرجز]

يا إخوتي جاء الخوان فارفعا حنانة كعابها تُقعَعُ

لم أدر ما ثلاثها والأربعُ

قال : فضحكنا ورفعناها ، وقُدِّمَ الطَّعام .

[بموته دفن الشعر واللغة والفصاحة]

أخبرني الحسن بن عليّ ، قال : حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه ، قال : حدّثنا عبد الله بن أبي سعد ، عن محمد بن عبد الله بن مالك عن أبيه عن يعقوب بن داود ، قال : لقيت الخليل بن أحمد يوماً بالبصرة فقال لي : يا أبا عبد الله دَفَّنَّا الشعرَ واللغةَ والفصاحةَ اليوم ، فقلتُ : وكيف ذلك ؟ قال : قال : هذا حين انصرفتُ من جنازة رؤية .

صوت

[من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ صَاحَ الْغَرَابُ بَيْنَهُمْ فَأَوْجَعَ قَلْبِي بِالْحَدِيثِ الَّذِي يُبْدِي

فقلتُ له أَفصَحْتَ لا طِرتَ بعدها بِرِيشِ فَهَلْ لِلْبَيْنِ وَيْحَ مِنْ رَدِّ

الشعر لقيس بن ذريح² ، وقد تقدّمت أخباره والغناء لعمر بن أبي الكنات ، ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

1 لم ترد في ديوانه ولا زياداته .

2 ديوان قيس لبني (صادر) : 42 .

[436] - أخبار عمرو بن أبي الكنّات¹

[أحسن الناس غناء]

هو عمرو بن عثمان بن أبي الكنّات ، مولى بني جُمَح ، مكي مغزٍ ، محسنٌ موصوفٌ بطيب الصوت من طبقة ابن جامع وأصحابه ، وفيه يقول الشاعر : [من الخفيف]

أحسنُ النَّاسِ فاعلموه غناءً رجلٌ من بني أبي الكنّاتِ
وله في هذا الشعر غناء مع أبيات قبله لحنٌ ابتداؤه :

صوت

عَفَتِ الدَّارَ بِالْهَضَابِ اللّوَاتِي بَسَوَارٍ ؛ فمَلْتَقَى عِرْفَاتٍ²
فَالجُرَيَّانَ أَوْحِشَا بَعْدَ أَنْسِ فِدْيَارٌ بِالرَّبْعِ ذِي السَّلِمَاتِ
إِنَّ بِالْبَيْتِ مَرَبِعاً مِنْ سَلِيمِي فإِلى مُحَضَّرِينَ فَالْخَلَاتِ

وبعده البيت الأول المذكور .

الغناء في هذا الشعر لعمرو بن أبي الكنّات ، وطريقته من الرمل بالوسطى . وقيل : إنه لابن سُرَيْج ، وقيل : بل لحن ابن سُرَيْج غير هذا اللحن ، وليس فيه البيت الرابع الذي فيه ابن أبي الكنّات .

ويكنى عمرو بن أبي الكنّات أبا عثمان ، وذكر ابن خرداذبه أنه كان يكنى أبا معاذ ؛ وكان له ابن يغني أيضاً يقال له : درّاج ؛ ليس بمشهور ولا كثير الغناء .

[الرشيد يفضله على سائر المغنين]

فذكر هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات في الخبر الذي حكاه عنه من أخباره أن محمد بن عبد الله المخزومي حدّثه قال : حدّثني محمد بن عبد الله بن فروة قال : قلت لابن جامع يوماً : هل غلبك أحد من المغنين قطّ ؟ قال : نعم ؛ كنت ليلة ببغداد إذ جاءني رسول الرشيد

1 لعمرو بن أبي الكنّات ترجمة في نهاية الأرب 4 : 308-312 وهي قرية مما في الأغاني .

2 رواية في نهاية الأرب :

عفت الدار بالهضاب اللواتي بين ثور وملتقى عرفات

سوار : من قرى البحرين . وثور : جبل بمكة . والباقي : أسماء مواضع . والسلمات : الحجارة .

يأمرني بالركوب ؛ فركبتُ حتى إذا صيرتُ إلى الدار ، فإذا أنا بفضلِ بنِ الربيعِ معه زلزلُ العوادِ وبرصوماً ؛ فسلمتُ وجلستُ قليلاً ، ثم طلع خادم فقال للفضل : هل جاء ؟ فقال : لا ، قال : فابعث إليه ؛ ولم يزل المغنون يدخلون واحداً بعد واحد حتى كنا ستة أو سبعة .

ثم طلع الخادم فقال : هل جاء ؟ فقال : لا ، قال : قم فابعث في طلبه ؛ فقام فغاب غير طويل ، فإذا هو قد جاء بعمرو بن أبي الكنات ؛ فسلم وجلس إلى جنبي فقال لي : من هؤلاء ؟ قلتُ مغنون ؛ وهذا زلزل ، وهذا برصوماً . فقال : والله لأغنينك غناء يخرق هذا السقف وتجيبه الحيطان ولا يفهمون منه شيئاً . قال : ثم طلع الخصي فدعا بكراسي ؛ وخرجت الجواري . فلما جلس قال الخادم للمغنين : شدوا¹ ، فشدوا عيدانهم ، ثم قال : تغن يا ابن جامع ؛ فغنى سبعة أو ثمانية أصوات . ثم قال : اسكت وليغن إبراهيم الموصلي ؛ فغنى مثل ذلك أو دونه . ثم سكت ؛ فلم يزل يمر القوم واحداً واحداً حتى فرغوا .

ثم قال : لابن أبي الكنات : غن ، فقال لزلزل : شدّ طبقتك ، فشدّ . ثم أخذ العود من يده فجسّه حتى وقف على الموضع الذي يريد ؛ ثم قال : على هذا وابتدأ بصوت أوله : ألا لا ؛ فوالله لقد خيل لي أن الحيطان تجاوبه ، ثم رجّع النغم فيه . فطلع الخصي فقال له : اسكت ، لا تتم الصوت ، فسكت .

ثم قال : يُحيس عمرو بن أبي الكنات ، وينصرف باقي المغنين ، فقمنا بأكسف حال وأسوا بال ، لا والله ما زال كل واحد منا يسأل صاحبه عن كل شعر يرويه من الغناء الذي أوله : ألا لا ، طمعاً في أن يعرفه أو يوافق غنائه ، فما عرفه منا أحد ، ويات عمرو ليلته عند الرشيد ، وانصرف من عنده بجوائز وصيلات وطُرف سنية .

[يزحم بغنائه الحاج في عرفة]

قال هارون : وأخبرني محمد بن عبد الله عن موسى بن أبي المهاجر قال : خرج ابن جامع وابن أبي الكنات حين² دفعا من عرفة حتى إذا كانا بين المأزمين جلس عمرو على طرف الجبل : ثم اندفع يغني ، فوقف القطارات ، وركب الناس بعضهم بعضاً حتى صاحوا واستغاثوا : يا هذا ، الله الله . اسكت عنا يجر الناس ، فضبط إسماعيل بن جامع بيده على فيه حتى مضى الناس إلى مُردلفة .

[يحتشد الناس على العصور لغنائه]

قال هارون : وحدثني عبد الرحمن بن سليمان عن علي بن أبي الجهم قال : حدثني من

1 ل : سوا .

2 نهاية الأرب : حين دفع الإمام .

أثق به قال¹ : واقفتُ ابنَ أبي الكَنَنَاتِ المدينيِّ على جَسَرِ بَغدَادِ أَيَّامِ الرَشِيدِ ، فحدَّثته بِمَحْدِثِ اتَّصَلَ بي عن ابنِ عَائِشَةَ أَنَّهُ فَعَلَهُ أَيَّامَ هِشَامِ ، وَهُوَ أَنَّ بَعْضَ أَصْحَابِنَا حَدَّثَنِي قَالَ : وَقَفَ ابْنُ عَائِشَةَ فِي الْمَوْسِمِ فَمَرَّ بِهِ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَعْمَلُ ؟ فَقَالَ : إِنِّي لِأَعْرِفُ رَجُلًا لَوْ تَكَلَّمْتُ لِحَيْسِ النَّاسِ ، فَلَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ وَلَمْ يَجِئْ . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَنْ هَذَا الرَّجُلُ ؟ قَالَ : أَنَا ، ثُمَّ انْدَفَعَ يَغْنِي² :

[من الوافر]

صوت

جَرَتْ سُنْحًا فَقُلْتُ لَهَا أَجِيزِي نَوَى مَشْمُولَةٌ فَمَتَى اللَّقَاءُ ؟

بِنَفْسِي مَن تَذَكَّرَهُ سَقَامٌ أَعَالَجَهُ وَمَطْلُبُهُ عَنَاءٌ

قال : فَجَبَسَ النَّاسُ ، وَاضْطَرَبَتِ الْحَامِلُ ، وَمَدَّتِ الْإِبِلُ أَعْنَاقَهَا ، وَكَادَتِ الْفِتْنَةُ تَقَعُ . فَأَتَيْتُ بِهِ هِشَامَ فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَرَدْتَ أَنْ تَفْتَنَ النَّاسَ ؟ فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَكَانَ تِيَاهًا . فَقَالَ لَهُ هِشَامُ : أَرَفُقَ بَتِيهِكَ . قَالَ : فَقَالَ ابْنُ عَائِشَةَ : حَقٌّ لِمَنْ كَانَتْ هَذِهِ قَدْرَتَهُ عَلَى الْقُلُوبِ أَنْ يَكُونَ تِيَاهًا . فَضَحِكَ وَأَطْلَقَهُ . قَالَ : فَتَزَقَّ ابْنُ أَبِي الْكَنَنَاتِ ، وَكَانَ مَعْجَبًا بِنَفْسِهِ ، وَقَالَ : أَنَا أَفْعَلُ كَمَا فَعَلَ ، وَقَدَّرْتِي عَلَى الْقُلُوبِ أَكْثَرَ مِنْ قَدْرَتِهِ كَانَتْ ، ثُمَّ انْدَفَعَ فَغَنَى فِي هَذَا الصَّوْتِ وَنَحْنُ عَلَى جَسَرِ بَغدَادِ .

وَكَانَ إِذْ ذَاكَ عَلَى دَجَلَةِ ثَلَاثَةِ جَسُورٍ مَعْقُودَةٍ ، فَانْقَطَعَتِ الطَّرِيقُ ، وَامْتَلَأَتِ الْجَسُورُ بِالنَّاسِ ، وَازْدَحَمُوا عَلَيْهَا ، وَاضْطَرَبَتِ حَتَّى خَيفَ عَلَيْهَا أَنْ تَنْقَطِعَ لِثِقَلِ مَنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ . فَأَخِذْتُ فَأَتَيْتُ بِهِ الرَشِيدَ ، فَقَالَ : يَا عَدُوَّ اللَّهِ أَرَدْتَ أَنْ تَفْتَنَ النَّاسَ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَكِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّ ابْنَ عَائِشَةَ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا فِي أَيَّامِ هِشَامِ ، فَأُحِبِّبْتُ أَنْ يَكُونَ فِي أَيَّامِكَ مِثْلَهُ فَأَعْجَبَ مِنْ قَوْلِهِ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْنِي ، فَسَمِعَ شَيْئًا لَمْ يَسْمَعْ مِثْلَهُ فَاحْتَبَسَهُ عِنْدَهُ شَهْرًا يَسْتَزِيدُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ اسْتَأْذَنَهُ فِيهِ فِي الْإِنْصِرَافِ يَوْمًا آخَرَ حَتَّى تَمَّ لَهُ شَهْرٌ . فَقَالَ هَذَا الْمُخْبِرُ عَنْهُ : وَكَانَ ابْنُ أَبِي الْكَنَنَاتِ كَثِيرَ الْغَشِيَانِ لِي : فَلَمَّا أَبْطَأَ تَوَهَّمْتُهُ قَدْ قَتَلَ ، فَصَارَ إِلَيَّ بَعْدَ شَهْرٍ بِأَمْوَالِ جَسِيمَةٍ ، وَحَدَّثَنِي بِمَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَشِيدِ .

[سمع غناؤه على بعد ثلاثة أميال]

قال هارونُ : وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْخَزُومِيُّ عَنْ عَثْمَانَ بْنِ مُوسَى مَوْلَانَا قَالَ : كُنَّا يَوْمًا بِاللَّاحِجَةِ وَمَعَنَا عَمْرُو بْنُ أَبِي الْكَنَنَاتِ ، وَنَحْنُ عَلَى شَرَابِنَا إِذْ قَالَ لَنَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ : مَنْ تَحِبُّونَ أَنْ يَجِيئَكُمْ ؟ قُلْنَا : مَنْصُورُ الْحَجَبِيِّ . فَقَالَ : أَمَهَلُوا حَتَّى يَكُونَ الْوَقْتُ الَّذِي

1 تقدم خبر ابن عائشة وإيقافه الناس في الموسم في ترجمته 2 : 132 . ونقل ابن حمدون هذا الخبر وخبر إيقاف ابن أبي الكننات الناس على جسور بغداد في التذكرة الحمدونية 9 : 12-13 .
2 تقدم البيتان والشرح في ترجمة ابن عائشة ، والأول منهما لزهير في شرح ديوانه : 59 .

ينحدر فيه إلى سوق البقر ، فمكثنا ساعة ثم اندفع يغني : [من الخفيف]

أَحْسَنُ النَّاسِ فَاعْلَمُوهُ غِنَاءَ رَجُلٌ مِّنْ بَنِي أَبِي الْكِنَاتِ
عَفَتِ الدَّارَ بِالْمُضَابِ اللُّوَاتِي بِسَوَارٍ فَمَلْتَقَى عَرَفَاتِ

فلم نلبث أن رأينا منصوراً من بُعد قد أقبل يركض دابته نحونا ، فلما جلس إلينا قلنا له : من أين علمت بنا ؟ قال : سمعتُ صوت عمرو يغني كذا وكذا وأنا في سوق البقر ، فخرجتُ أركضُ دابتي حتى صيرتُ إليكم ، قال : وبيننا وبين ذلك الموضع ثلاثة أميال .

قال هارون ، وأخبرني محمد بن عبد الله ، قال : أخبرني يحيى بن يعلى بن سعيد قال : بينا أنا ليلة في منزلي في الرمضة أسفل مكة إذ سمعتُ صوت عمرو بن أبي الكنات كأنه معي ، فأمرتُ الغلامَ فأسرج لي دابتي ، وخرجتُ أريده ، فلم أزل أتبع الصوت حتى وجدته جالساً على الكتيب العارض ببطن عرنة¹ يغني :

[من الطويل]

صوت

خَذِي الْعَفْوَ مَنِّي تَسْتَدِيمِي مَوَدَّتِي وَلَا تَنْطَقِي فِي سَوْرَتِي حِينَ أَغْضِبُ
وَلَا تَنْقِرِي نَقْرَةَ الدُّفِّ مَرَّةً فَإِنَّكَ لَا تَدْرِينَ كَيْفَ الْمَغِيبُ
فَإِنِّي وَجَدْتُ الْحَبَّ فِي الصَّدْرِ وَالْأَذَى إِذَا اجْتَمَعَا لَمْ يَلْبَثِ الْحَبُّ يَذْهَبُ

عروضه من الطويل ، ولحنه من الثقيل الثاني بالوسطى من رواية إسحاق . والشعر لأسماء بن خارجة الفزاري ، وقد قيل : إنه لأبي الأسود الدؤلي ، وليس ذلك بصحيح . والغناء لإبراهيم الموصلي ، وفيه لحنٌ قديمٌ للغريض من رواية حماد عن أبيه .

[437] - أسماء بن خارجة وابنته هند

[وصيه لابنته]

أخبرني اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزبير بن بكار قال¹ : زوّج أسماء بن خارجة الفزاري بنته هنداً من الحجاج بن يوسف ، فلمّا كانت ليلة أراد البناء بها ، قال لها أسماء بن خارجة : يا بنيّة ، إنّ الأمّهات يؤدّبن البنات ، وإنّ أمك هلكت وأنت صغيرة ، فعليك بأطيب الطيب الماء ، وأحسن الحُسن الكحل . وإياك وكثرة المعاتبه ، فإنّها قطيعة للودّ ، وإياك والغيرة فإنّها مفتاح الطلاق . وكوني لزوجك أمةً يكن لك عبداً ، واعلمي أنّي القائل لأُمك : [من الطويل]

خذني العفو منّي تستديمي مودّتي

وذكر الأبيات . قال : وكانت هند امرأةً مجرّبةً قد تزوّجها جماعة من أمراء العراق ، فقبلت من أيها وصيته . وكان الحجاج يصفها في مجلسه بكلّ خير ، وفيها يقول بعض الشعراء يخاطب أباهما² : [من الوافر]

جزاك الله يا أسماء خيراً	كما أرضيت فيشلة الأمير
بصدع قد يفوح المسك منه	عليه مثل كركرة البعير ³
إذا أخذ الأمير بمشعبيها	سمعت لها أزيزاً كالصيرير
إذا لفتحت بأرواح تراها	تجيد الرّهب من فوق السرير

[واحدة بواحدة]

قال مؤلف هذا الكتاب : الشعر لعقبة الأسدي . أخبرني الجوهرى وحبيب المهلبى عن ابن شبة قال⁴ : لما قدم الحجاج الكوفة أشار عليه محمد بن عمير بن عطارد أن يخطب إلى أسماء ابنته هند ، فخطبها فزوجه أسماء ابنته ، فأقبل عليه محمد متمثلاً يقول : [من الوافر]

أمن حذر الهزال نكحت عبداً فصهر العبد أدنى للهزال

1 الوصية والشعر في التذكرة الحمدونية 3 : 339 .

2 التذكرة الحمدونية 4 : 75 .

3 كركرة البعير : القرص الصلب في صدره الذي يترك عليه .

4 انظر الخبر مفصلاً في التذكرة الحمدونية 8 : 234-235 .

فاحتملها عليه أسماء وسكت عن جوابه . ثم أقبل على الحجّاج يوماً وهندٌ جالسةٌ ، فقال : ما يمنعك من الخطبة إلى محمد بن عمير ابنته فإن من شأنها كيت وكيت . فقال : أتقول هذا وهندٌ اسمعُ ؟ فقال : موافقتك أحبُّ إليّ من رضا هند . فخطبها إلى محمد بن عمير ، فزوجها إياها ، فقال أسماءٌ لمحمد بن عمير ، وضربَ بيده على منكبه : [من الطويل]

دونك ما أسديته يا ابن حاجب
بقولك للحجّاج إن كنت ناكحاً
فإن أباه لا يرى أن خاطباً
فزوجتها الحجّاج لا متكارهاً
أردتَ ضراري فاعتمدتَ مسرتي
فإن ترها عاراً فقد جئتَ مثلها

سواء كعين الديك أو قذّة النسر¹
فلا تعدّ هنداً من نساء بني بدر
كفاً له إلا المتسوج من فهير
ولا راغباً عنه ونعم أخو الصهير
وقد يُحسِنُ الإنسانُ من حيث لا يدري
وإن ترها فخراً فهل لك من شكر

[حبّها لعبيد الله بن زياد]

قال المدائني حدثني الحرمازي عن الوليد بن هشام القحذمي وكان كاتب خالد القسريّ ويوسف بن عمر أن هنداً بنت أسماء كانت تحت عبيد الله بن زياد ، وكان أباً عذرها ، فلما قتل ، وكانت معه ، لبست قباء ، وتقلدت سيفاً ، وركبت فرساً لعبيد الله كان يقال لها : الكامل ، وخرجت حتى دخلت الكوفة ليس معها دليلٌ ، ثم كانت بعد ذلك أشد خلق الله جزعاً عليه ، ولقد قالت يوماً : إني لأشتاق إلى القيامة لأرى وجه عبيد الله بن زياد .

[بشر بن مروان يتزوجها]

فلما قدم بشر بن مروان الكوفة دلّ عليها ، فخطبها ، فزوجها ، فولدت له عبد الملك بن بشر . وكان ينال من الشراب ويكتم ذلك ، وكان إذا صلى العصر خلا في ناحية من داره ليس معه أحد إلا أعين مولاة صاحب حمام أعين بالكوفة ، وأخذ في شأنه . فلم تزل هند تتجسس خبره حتى عرفته . فبعثت مولى لها ، فأحضرها أطيب شراب وأحدّه وأشدّه وأرقّه وأصفاه ، وأحضرت له طعاماً علمت أنه يشتهي ، وأرسلت إلى أخويها : مالك وعيينة . فأتياها ، وبعثت إلى بشر واعتلت عليه بعلّة ، فجاءها فوضعت بين يديه ما أعدته ، فأكل وشرب ، وجعل مالك يسقيه ، وعيينة يحدّثه ، وهند تربه وجهها . فلم يزل في ذلك حتى أمسى ، فقال : هل عندكم من هذا شيء نعود عليه غداً ؟ فقالت : هذا دائم لك ما أردته ، فلزمها وبقي أعين يتبع الديار بوجهه

1 المثل «أصفي من عين الديك» في مجمع الميداني 1 : 417 والدرّة الفاخرة 1 : 250 وجمهرة العسكري 1 : 538 ومستقصى الزمخشري 1 : 210 . وقذّة النسر : ريشه . ولعلّه بشير إلى المثل «جزيته» القذّة بالقذّة .

ولا يرى بشراً ، إلا أن يبحث عن أمره فعرّفه ، وعلم أنه ليس فيه حظّ بعدها . قال ومات عنها بشر فلم تجزع عليه ، فقال الفرزدق في ذلك¹ :

[من الطويل]

فإن تك لا هندٌ بكته فقد بكت عليه الثريا في كواكبها الزهر

[يخلف عليها الحجاج]

ثم خَلَفَ عليها الحجاج ، وكان السبب في ذلك فيما ذكره المدائني عن الجرمازي عن القحذمي ، وأخبرني به من هاهنا أحمد بن عبد العزيز عن ابن شبة عن عثمان بن عبد الوهاب عن عبد الحميد الثقفي قالاً : كان السبب في ذلك أنه بعث أبا بردة بن أبي موسى الأشعري ، وهو قاضيه ، إلى أسماء يقول له : إن قبيحاً بي مع بلاء أمير المؤمنين عندي أن أقيم بموضع فيه ابنا أخيه بشر لا أضمههما إليّ ، وأتولى منهما مثل ما أتولى من ولدي . فاسأل هنداً أن تطيب نفسها عنهما .

وقال عمر بن شبة في خبره : وأعلمها أنه لا بد من التفرقة بينها وبينهما حتى أودبهما . قال أبو بردة : فاستأذنت فأذن لي وهو يأكل وهند معه ، فما رأيت وجهاً ولا كفّاً ولا ذراعاً أحسن من وجهها وكفّها وذراعها ، وجعلت تُتحفني وتضع بين يدي .

قال أبو زيد في خبره : فدعاني إلى الطعام ، فلم أفعَلْ ، وجعلت تعبت بي وتضحك ، فقلت : أما والله لو علمت ما جئت له لبكيت . فأمسكت يدها عن الطعام فقال : أسماء : قد منعتها الأكل فقل ما جئت له . فلما بلغت أسماء ما أرسلتُ به ، بكت ، فلم أرَ والله دموعاً قطّ سائلة من محاجر أحسن من دموعها على محاجرها . ثم قالت : نعم أرسل بهما إليه ، فلا أحد أحقّ بتأديبهما منه .

وقال أسماء : إنّما عبد الملك ثمره قلوبنا ، يعني عبد الملك بن بشر ، وقد أنسنا به ، ولكن أمر الأمير طاعة ، فأتيت الحجاج ، فأعلمته جوابها وما رأيته من جوابها وهيئتها . فقال : ارجع فاخطبها عليّ فرجعتُ وهما على حالهما . فلما دخلتُ قلت : إني جئتُ بغير الرسالة الأولى . قال : اذكر ما أحببت . قلت : قد جئتُ خاطباً . قال : أعلى نفسك فما بنا عنك رغبة ؟ قلت : لا ، على من هو خير لها مني ، وأعلمته ما أمرني به الحجاج . فقال : ها هي تسمع ما أدت ، فسكّنتُ فقال أسماء : قد رضيت ، وقد زوجتها إياه .

فقال أبو زيد في حديثه : فلما زوجها أبوها قامت مبادرةً وعليها مطرف ، ولم تستقلّ قائمة من ثقل عجيزتها حتى انثنت ومالت لأحد شقيها من شحمها ، فانصرفتُ بذلك إلى

الحجاج ، فبعث إليها بمائة ألف درهم وعشرين تختاً من ثياب وقال : يا أبا بردة ، إني أحبُّ أن تسلمها إليها ، ففعلتُ ذلك وأرسلتُ من سلمه إليها ، فأرسلتُ إليّ : جئتُ قاضياً ورجعتُ دلالاً فأرسلتُ إليّ من المال بعشرين ألفاً ، ومن الثيابِ تختين . فقلت : ما أقبل شيئاً حتى أستطلع رأي الأمير . ثم انصرفتُ إليه فأعلمته ، فأمرني بقبضة ووصلني بمثله .

وقال : أبو زيد في حديثه : فأرسل إليها بثلاثين غلاماً مع كلِّ غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية مع كلِّ جارية تختٌ من ثياب ، وأمر لي بثلاثين ألفاً وثياباً لم يذكر عددها . فلما وصل ذلك إلى هند أمرت بمثل ما أمر لي به الحجاج ، فأبيتُ قبوله ، وقلت : ليس الحجاج ممن يُتعرَّضُ له بمثل هذا . وأتيت الحجاج فأخبرته . فقال : قد أحسنت وأضعف الله لك ذلك ، وأمر له بستين ألفاً ، ويضعف تلك الثياب ، وكان أول ما أصبته مع الحجاج . وأرسل إليها : إني أكره أن أبيت خلواً ولي زوجة . فقالت : وما احتباس امرأة عن زوجها وقد ملكها وآتاها كرامته وصداقها ، فأصلحت من شأنها ، وأتته ليلاً .

قال : المدائني : فسمعتُ أن ابن كنانة ذكر أن رجلاً من أهل العلم حدثه عن امرأة من أهله قالت : كنتُ فيمن زفها . فدخلنا عليه وهو في بيتٍ عظيم في أقصاه ستارة ، وهو دون الستارة على فرشته ، فلما أن دخلت سلمتُ ، فأومأ إليها بقضيب كان في يده . فجلستُ عند رجله ، ومكثت ساعة وهو لا يتكلَّم ونحن وقوف ، فضربتُ بيدها على فخذه ، ثم قالت : ألم تبعد من سوء الخلق ؟ قال : فتبسّم ، وأقبل عليها ، واستوى جالساً . فدعونا له وخرجنا وأرخصتُ الستور .

[طلاق هند]

قال : ثم قديم الحجاج البصرة ، فحملها معه . فلما بنى قصره الذي دون المحدث¹ الذي يقال له : قصر الحجاج اليوم قال لها : هل رأيت قط أحسن من هذا القصر ؟ قالت : ما أحسنه ! قال : أصدقيني ، قالت : أمّا إذ أبيت فوالله ما رأيت أحسن من القصر الأحمر . وكان فيه عبيد الله بن زياد ، وكان دار الإمارة بالبصرة ، وكان ابن زياد بناه بطينٍ أحمر . فطلق هنداً غضباً بما قالته ، وبعث إلى القصر فهدمه ، وبناه بلين . ثم تعهده صالح بن عبد الرحمن في خلافة سليمان بن عبد الملك ، فبناه بالآجر ، ثم هُدِم بعد ذلك فأدخل في المسجد الجامع .

[الحجاج يحن إلى هند]

قال : القحذمي عن محمد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي : فخرجنا يوماً نعود عبد الملك بن بشر ، فسلمنا عليه وعُدناه معه . ثم خرجنا وتخلف الحجاج ، فوقفنا

نتظره ، فلمَّا خرجَ التفت فرآني ، فقال : يا محمدُ وَيْحَكَ ! رأيتُ هندا الساعةَ فما رأيتها قطَّ أجمل ولا أشبَّ منها حينَ رأيتها ، وما أنا بمُمسٍ حتى أراجعها . فقلتُ : أصلح اللهُ الأميرَ ، امرأةٌ طَلَّقَتْها علي عتبَ يرى النَّاسُ أنَّ نفسكَ تتبعها ، وتكون لها الحجَّةُ عليك . قال : صدقت ، الصبرُ أحجبي .

قال : محمدُ : والله ما كان منِّي ما كان نظراً ولا نصيحةً ، ولكنِّي أُنِفْتُ لرجلٍ من قريشٍ أنَّ تداسَّ أمه في كلِّ وقت .

[الحية في النار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جويرية بن أسماء عن عمه قال : حججتُ ، فأني لفي رُفقةٍ من قومي إذ نزلنا منزلاً ومعنا امرأةٌ ، فنامت وانتهتُ وحيةٌ مطويةٌ عليها ، قد جمعت رأسها وذنبها بين ثديها ، فهالنا ذلك وارتحلنا . فلم تزل منطوية عليها لا تضيروها حتى دخلنا الحرم فانسابت ، فدخلنا مكة وقضينا نُسكنا ، فرآها الغريض فقال : أي شقية ، ما فعلت حيتك ؟ فقالت : في النار : قال : ستعلمين من أهل النار ؟ ولم أفهم ما أراد ، وظننتُ أنه مازحها ، واشتقتُ إلى غنائها ، ولم يكن بيني وبينه ما يوجب ذلك . فأتيتُ بعضَ أهله ، فسألتهُ ذلك ، فقال : نعم ، فوجَّهَ إليه أن اخرج بنا إلى موضع كذا ، وقال لي : اركب بنا ، فركبنا حتى سيرنا قدرَ ميل ، فإذا الغريضُ هناك ، فنزلنا ، فإذا طعامٌ مُعدُّ ، وموضعٌ حسنٌ . فأكلنا وشرينا ، ثم قال : يا أبا يزيد ، هات بعض طرائفك فاندفع يعني ، ويوقع بقضيب¹ :

مرضتُ فلم تحفلُ عليَّ جنوبُ وأدنفستُ والممشى إليَّ قريبُ

فلا يُبعد اللهُ الشبابَ وقولنا إذا ما صبونا صبوةً سنتوبُ

فلقد سمعنا شيئاً ظننتُ أنَّ الجبالَ التي حولي تنطقُ معه : شجاً صوت ، وحُسنُ غناء . وقال لي : أحبُّ أن تزيدك ؟ فقلت : إي والله . فقال : هذا ضيفك وضيفنا ، وقد رغبَ إليك وإلينا ، فأسعفه بما يريد . فاندفع يعني شعر مجنون بني عامر² :

عفا اللهُ عن ليلى الغداةَ فأتها إذا وكيستُ حكماً عليَّ تجورُ

أتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ ؟ إنني إذاً لصبورُ

فما عقَلتُ لِمَا غَنَى من حسنه إلا بقول صاحبي : نجور عليك يا أبا يزيد . فقلت : وما

1 ديوان حميد بن ثور (صادر) : 8 .

2 ديوان مجنون ليلى : 139 وديوان أبي دهبل : 77-78 .

معناك في ذلك؟ فقال: إن أبا يزيد عرضَ بَأَنِّي لَمَّا وليت الحكم عليه جُرْتُ في سُؤالي إِيَّاهُ أَكْثَرَ من صوت واحد. فقلت له، بعد ساعة، سرّاً: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنِّي أريدُ المضيِّ وأصحابي يريدون الرحلة، وقد أَبْطَأْتُ عليهم، فإن رأيت أن تسأله، حاطه الله من السوء والمكروه، أن يزودني لحناً واحداً. فقال لي: يا أبا يزيد، أتعلّم ما أنهى إلينا ضيفنا؟ قال: نعم، أراذك أن تكلمني في أن أغنيته قلت: هو والله ذلك، فاندفع يغني: [من الطويل]

خذي العفو مني تستديمي مودّتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضبُ
فإني رأيتُ الحبَّ في الصدرِ والأذى إذا اجتمعاً لم يلبثِ الحبُّ يذهبُ

[نسبة وصية أسماء لابنته إلى أبي الأسود]

فقال: قد أخذنا العفو منك، واستدمننا مودّتك، ثم أقبل علينا فقال: ألا أحدثكم بحديث حسن؟ فقلنا: بلى. قال: قال شيخ العلم وفقه الناس وصاحب عليّ، صلوات الله عليه، وخليفة عبد الله بن العباس على البصرة أبو الأسود الدؤليّ لابنته ليلة البناء: أي بُنيّة، النساء كنّ بوصيتك وتأديك أحقّ مني، ولكن لا بدّ مما لا بدّ منه. يا بُنيّة، إن أطيبَ الطيب الماء، وأحسن الحسن الدهن، وأحلى الحلاوة الكحل. يا بُنيّة، لا تكثري مباشرة زوجك فيملكك، ولا تباعدي عنه فيجفوك ويعتلّ عليك، وكوني كما قلتُ لأُمّك: [من الطويل]

خُذِي العفو مني تستديمي مودّتي ولا تنطقي في سورتني حين أغضبُ

فقلت له: فدتك نفسي، ما أدري أيهما أحسن: أحديتك أم غناؤك؟ والسلام عليكم. ونهضتُ فركبتُ وتخلّف الغريضة وصاحبه في موضعهما، وأتيت أصحابي وقد أَبْطَأْتُ، فرحلنا منصرفين حتى إذا كنا في المكان الذي رأيت فيه الحيّة منطوية على صدرِ المرأة ونحن ذاهبون، رأيتُ المرأة والحيّة منطوية عليها، فلم ألبث أن صفرت الحيّة، فإذا الوادي يسيل علينا حيات فنهشها حتى بقيت عظاماً. فطال تعجّبنا من ذلك، ورأينا ما لم نر مثله قط. فقلتُ لجارية كانت معها: ويحك! أخيرينا عن هذه المرأة، قالت: نعم أثقلت ثلاث مرّات، كلّ مرّة تلد ولداً، فإذا وضعته سجرت التنور ثم ألقته فيه: فذكرت قول الغريضة حين سألتها عن الحيّة، فقالت: في النار. فقال: ستعلمين من في النار.

نسبة ما في هذه الأصوات من الغناء

[من الطويل]

فمنها:

صوت

مرّضتُ فلم تحفلُ عليّ جنوبُ وأذنقتُ والممشى إليّ قريبُ

فلا يُبعد الله الشبابَ وقولنا إذا ما صبونا صبوةً ستوبُ
عروضه من الطويل . الشعر لحُميد بن ثورِ الهلالي ، والغناء للغريص من رواية حماد
عن أبيه ، وفيه لعلُّويه ثقيلٌ أوّلٌ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانه
ومنها :

صوت

عفا الله عن ليلى الغداةَ فإنَّها إذا وليتَ حكماً عليّ تجورُ
أتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنِّي إذاً لصبورُ !
عروضه من الطويل ، والشعر ، يقال : لأبي ذهبلِ الجُمحي ، ويقال : إنّه لمجنون بني
عامر ، ويقال : إنّه لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيْجٍ خفيف رملٌ بالوسطى ، عن
عمرو بن بانه ، وفيه للغريص ثاني ثقيلٌ بالوسطى ، وفي الثاني والأوّل خفيف ثقيلٌ أوّلٌ
بالبنصر مجهول .

أخبرني الحرّميّ عن الزبير عن محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : قال أبو ذهبلٍ : [من الطويل]

أتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنِّي إذاً لصبورُ
هبوني امرءاً منكم أضلُّ بعيره له ذمّةٌ إنَّ الذمّامَ كبيرُ
ولصاحبِ المتروكِ أعظمُ حرمةً على صاحبٍ من أن يضلَّ بعيرُ

قال الزبير وقال عمّي : هذه الأبيات لمجنون بني عامر .

قال أحمدُ بنُ الحارثِ الخرازُ عن المدائنيّ عن أبي محمدٍ الشيبانيّ قال : قال عبد الملك بن

مروان لعمر بن أبي ربيعة : أنت القائل :

أتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنِّي إذاً لصبورُ !
قال : نعم . قال فيبس الحبّ أنت : تركتها وبينها وبينك غدوة . قال : يا أمير المؤمنين ،
إنّها من غدوات سليمان ، غدوها شهر ، ورواحها شهر .

أخبرني اليزيديّ عن أحمد بن يحيى وابن زهير قال حدّثني عمر بن القاسم بن المعتمر

الزهريّ قال : قلت لأبي السائب المخزوميّ : أما أحسن الذي يقول : [من الطويل]

أتركُ ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلةٍ إنِّي إذاً لصبورُ
هبوني امرءاً منكم أضلُّ بعيره له ذمّةٌ إنَّ الذمّامَ كبيرُ
ولصاحبِ المتروكِ أعظمُ حرمةً على صاحبٍ من أن يضلَّ بعيرُ ؟

فقال : بآبي أنت ، كنتُ واللهُ أُجَنِّبُكَ وتثقل عليّ ، فأنا الآن أُحِبُّكَ وتخفّ عليّ ، حيث تعرف هذا .

صوت

[من الوافر]

مِنَ الخَفِرَاتِ لم تَفْضَحْ أْحَاها ولم تَرْفَعْ لوالدها شَنَارَا
كَأَنَّ مَجَامِعَ الأَرْدافِ مِنْها نَقاً دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ هَارَا
يَعَافُ وَصَالَ ذاتَ البَدَلِ قَلْبِي وَيَتَّبِعُ المَمْنَعَةَ النُّوَارَا

الخِيفَةُ : الحَيِيَّةُ ، وَالخَفَرُ : الحَيَاءُ . وَالشَّنَارُ : العَارُ . وَالنَقَا : الكَثِيبُ مِنَ الرَّمْلِ . دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ : مَرَّتْ . هَارُ : تَهَافَتَ وَتَدَاعَى . قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾¹ وَيَعَافُ : يَكْرَهُ . وَالنُّوَارُ : الصَّعْبَةُ المَمْتَنَعَةُ الشَّدِيدَةُ الإِبَاءِ .

عروضه من الوافر : الشعر للسُّلَيْكِ بنِ السُّلُكَةِ² ، والغناء لابن سُرَيْجٍ ، رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن الهُرَيْدِ لحن من رواية بَدَلٍ ، ولم يذكر طريقته . وفيه لابن طنبورة لحن ذكره إبراهيم في كتابه ولم يجنسه .

1 سورة التوبة ، الآية : 109

2 شعر السليك : 55 .

[438] - أخبار السُّليكَ بنِ السُّلَكةِ ونسبه¹

هو السُّليكَ بنُ عمرو ، وقيل : بنُ عميرِ بنِ يثربِ ، أحدُ بني مُقاعس ، وهو الحارثُ بنُ عمرو بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميم . والسُّلَكةُ : أمّه ، وهي أمةٌ سوداءٌ .
[من الصعاليك العدائين]

وهو أحدُ صعاليك العربِ العدائين الذين كانوا لا يُلحِقون ، ولا تعلقُ بهم الخيلُ إذا عدّوا . وهم : السُّليكَ بنُ السُّلَكةِ ، والشَّنْفَرى ، وتَأبَطُ شراً ، وعمرو بنُ بَرّاق ، ونفيل بنِ بَراقة . وأخبارهم تذكر على تواليها هاهنا إن شاء الله تعالى في أشعارهم يُغنى فيها ؛ لتتصل أحاديثهم .

فأمّا السُّليكَ فأخبرني بخبره الأُخفشُ عن السكريِّ عن ابنِ حبيبٍ عن ابنِ الأعرابيِّ ، قال : وقرىء لي خبره وشعره على محمدِ بنِ الحسنِ الأحول عن الأثرم عن أبي عبيدة . أخبرني ببعضه اليزيديُّ عن عمّه عن ابنِ حبيبٍ عن ابنِ الأعرابيِّ عن المفضلِّ ، وقد جمعتُ رواياتهم ، فإذا اختلفت نسبتُ كلِّ مرويٍّ إلى روايه .
[يستودع بيض النعام ماء في الشتاء ليشره في الصيف]

قال أبو عبيدة : حدّثني المنتجعُ بنُ نَبهان قال : كان السُّليكَ بنُ عميرِ السعديُّ إذا كان الشتاء استودع بييض النعام ماء السماء ثم دفنه ، فإذا كان الصيف وانقطعت إغارة الخيل أغار . وكان أدلَّ من قِطاة² ، يجيء حتى يقف على البيضة . وكان لا يغير على مُضَر ، وإنما يغيرُ على اليمن ، فإذا لم يمكنه ذلك أغار على ربيعة .

وقال المفضل في روايته : وكان السُّليكَ من أشدَّ رجال العرب وأنكرهم وأشعرهم ، وكانت العرب تدعوه سليكَ المقانِب³ . وكان أدلَّ الناس بالأرض ، وأعلمهم بمسالكها ، وأشدهم عدوّاً على رجله ، لا تعلقُ به الخيل ؛ وكان يقول : اللهم إنك تهتئ ما شئت لما

1 ترجمة السليكَ بن السُّلَكة في الشعر والشعراء : 281-285 والمؤتلف والمختلف : 202-203 وشرح مقامات الحريري للشريشي 1 : 388-393 وأمثال الضبي : 13-14 وفصل المقال : 270 ، 307 وكتب الأمثال الأخرى تحت الأمثال الواردة في قصته ، وانظر أعلام الزركلي ومواقع متفرقة من الكامل للمبرّد والتذكرة الحمدونية .

2 المثل «أهدى من قِطاة» في مجمع الميداني 2 : 409 وجمهرة العسكري 2 : 353 .

3 المقانِب : جمع مقنب ، وهو جماعة من الخيل للغارة .

شئت إذا شئت . اللهمَّ إِنِّي لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أمة . اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخَيْبَةِ ، فَأَمَّا الْهَيْبَةُ فلا هَيْبَةَ .

[غارة]

فذكروا¹ أَنَّهُ أَمَلَقَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ فَخَرَجَ عَلَى رِجْلَيْهِ رَجَاءً أَنْ يَصِيبَ غِرَّةً مِنْ بَعْضِ مَنْ يَمُرُّ بِهِ فَيَذْهَبَ بِإِيْلِهِ ، حَتَّى أَمْسَى فِي لَيْلَةٍ مِنْ لَيْلِي الشِّتَاءِ بَارِدَةٍ ، مُقَمَّرَةً فَاشْتَمَلَ الصَّمَاءَ ، ثُمَّ نَامَ ، وَاشْتَمَلَ الصَّمَاءَ : أَنْ يَرُدَّ فَضْلَةَ ثَوْبِهِ عَلَى عَضُدِهِ الْيَمْنَى ، ثُمَّ يَنَامُ عَلَيْهَا ، فَبَيْنَا هُوَ نَائِمٌ إِذْ جَثِمَ رَجُلٌ فَقَعَدَ عَلَى جَنْبِهِ فَقَالَ : اسْتَأْسِرْ ، فَرَفَعَ السُّلَيْكُ إِلَيْهِ رَأْسَهُ ، وَقَالَ : اللَّيْلُ طَوِيلٌ وَأَنْتَ مَقْمَرٌ² . فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، فَجَعَلَ يَلْهَزه³ وَيَقُولُ : يَا حَبِيثُ اسْتَأْسِرْ . فَلَمَّا آذَاهُ بِذَلِكَ أَخْرَجَ السُّلَيْكُ يَدَهُ ، فَضَمَّ الرَّجُلُ إِلَيْهِ ضَمَّةً ضَرَطَ مِنْهَا وَهُوَ فَوْقَهُ ، فَقَالَ السُّلَيْكُ : أَضْرَطُّ وَأَنْتَ الْأَعْلَى⁴ ؟ فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : أَنَا رَجُلٌ افْتَقَرْتُ ، فَقُلْتُ : لِأَخْرَجَنَّ فَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي حَتَّى أُسْتَعْنَى ، فَآتَيْهِمْ وَأَنَا غَنِيٌّ ؛ قَالَ : انْطَلِقْ مَعِي . فَاَنْطَلَقَا ، فَوَجَدَا رَجُلًا قَصَّتهُ مِثْلَ قَصَّتِهِمَا ، فَاصْطَحَبُوا جَمِيعًا حَتَّى أَتَوْا الْجَوْفَ : جَوْفَ مَرَادٍ .

فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَيْهِ إِذَا فِيهِ نَعَمٌ قَدْ مَلَأَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ كَثْرَتِهِ ، فَهَابُوا أَنْ يُغَيِّرُوا فَيَطْرُدُوا بَعْضُهَا ، فَيَلْحَقَهُمُ الطَّلَبُ . فَقَالَ لَهَا سُلَيْكُ : كُونَا قَرِيبًا مِنِّي حَتَّى آتِيَ الرَّعَاءُ فَأَعْلَمَ لَكُمْ عِلْمَ الْحَيِّ ، أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ . فَإِنْ كَانُوا قَرِيبًا رَجَعْتَ إِلَيْكُمَا ، وَإِنْ كَانُوا بَعِيدًا قَلْتُ لَكُمْ قَوْلًا أَوْمِيًّا⁵ إِلَيْكُمَا بِهِ فَأَغْيِرَا . فَاَنْطَلَقَ حَتَّى أَتَى الرَّعَاءَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَسْتَنْطِقُهُمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ بِمَكَانِ الْحَيِّ ، فَإِذَا هُمْ بَعِيدٌ ، إِنْ طَلَبُوا لَمْ يُدْرِكُوا . فَقَالَ السُّلَيْكُ لِلرَّعَاءِ : أَلَا أُغْنِيكُمْ ؟ فَقَالُوا : بَلَى غَنَّنَا ، فَرَفَعَ صَوْتَهُ وَغَنَّى⁶ :

يا صاحبيَّ أَلَا لا حَيِّ بِالوَادِي سَوَى عَبِيدٍ وَأَمِّ بَيْنَ أَذْوَادِ⁷

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 136 .

2 المثل «الليل طويل وأنت مقمر» في مجمع الميداني وجمهرة العسكري 2 : 189 ومستقصى الرمخشري 1 : 344 وفصل المقال 339 وأمثال العرب للمفضل الضبيّ : 62 .

3 يلهزه : يضربه بجمع يديه .

4 المثل «أضراطاً وأنت الأعلى» في مجمع الميداني 1 : 284 وجمهرة العسكري 1 : 86 وأمثال الضبيّ : 13 وفصل المقال : 339 .

5 ل : أوحى إليكما .

6 شعره : 51 .

7 أم : جمع أمة .

أَنْظُرَانِ قَرِيباً رَيْثَ غَفْلَتِهِمْ أَمْ تَعْدَوَانِ فَإِنَّ الرِّيحَ لِلْغَادِي¹
 فلَمَّا سَمِعَا ذَلِكَ أَتِيَا السُّلَيْكَ ، فَطَرَدُوا الْإِبِلَ فَذَهَبُوا بِهَا وَلَمْ يَبْلُغِ الصَّرِيخُ الْحَيَّ حَتَّى فَاتَوْهُم
 بِالْإِبِلِ .
 [غارة أخرى]

قال المفضل : وزعموا أَنَّ سُلَيْكاً خَرَجَ وَمَعَهُ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ
 زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ يُقَالُ لهُمَا : عَمْرُو وَعَاصِمٌ وَهُوَ يَرِيدُ الْغَارَةَ ؛ فَمَرَّ عَلَى حَيِّ بَنِي شَيْبَانَ فِي
 رِيحٍ وَالنَّاسُ مَخْضَبُونَ فِي عَشِيَّةٍ فِيهَا ضَبَابٌ وَمَطَرٌ ، فَإِذَا هُوَ بِبَيْتٍ قَدْ انْفَرَدَ مِنَ الْبُيُوتِ وَقَدْ
 أَمْسَى . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : كُونُوا بِمَكَانٍ كَذَا حَتَّى آتِيَّ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ ، فَلَعَلِّي أَنْ أُصِيبَ لَكُمْ
 خَيْراً ، أَوْ آتِيَكُمْ بِطَعَامٍ . قَالُوا : افْعَلْ ، فَاَنْطَلَقَ وَقَدْ أَمْسَى وَجَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ، فَإِذَا الْبَيْتُ بَيْتُ
 رُوَيْمٍ ، وَهُوَ جَدُّ حَوْشَبِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ رُوَيْمٍ ، وَإِذَا الشَّيْخُ وَأَمْرَأَتُهُ بِنَفْسِ الْبَيْتِ .
 فَآتَى السُّلَيْكَ الْبَيْتَ مِنْ مُؤَخَّرِهِ فَدَخَلَهُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ رَاحَ ابْنُهُ بِإِبِلِهِ . فَلَمَّا أَرَاها غَضِبَ
 الشَّيْخُ ، وَقَالَ لِابْنِهِ : هَلَّا عَشَيْتَها سَاعَةَ مِنَ اللَّيْلِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ : إِنَّها أَبَتُ الْعَشَاءِ . فَقَالَ :
 الْعَاشِيَةَ تَهِيحُ الْآبِيَةَ² ، فَأَرْسَلَهَا مِثْلًا . ثُمَّ غَضِبَ الشَّيْخُ ، وَنَفَضَ ثُوبَهُ فِي وَجْهِها ، فَرَجَعَتْ
 إِلَى مَرَاتِعِها وَمَعِها الشَّيْخُ حَتَّى مَالَتْ بِأَدْنَى رَوْضَةٍ ، فَتَرَعَتْ ، وَجَلَسَ الشَّيْخُ عِنْدَها لِتَتَعَشَّى ،
 وَغَطَّى وَجْهَهُ بِثُوبِهِ مِنَ الْبَرْدِ ، وَتَبِعَهُ سُلَيْكٌ .

فلَمَّا وَجَدَ الشَّيْخُ مَغْتَرّاً خَتَلَهُ مِنْ وَرَائِهِ ، فَضْرِبَهُ فَأَطَارَ رَأْسَهُ ، وَصَاحَ بِالْإِبِلِ فَطَرَدَها ، فَلَمْ
 يَشْعُرْ صَاحِبَها ، وَقَدْ سَاءَ ظَنُّهُمَا وَتَخَوَّفَا عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا هُمَا بِالسُّلَيْكِ يَطْرُدُها فَطَرَدَها مَعَهُ ،
 وَقَالَ سُلَيْكٌ فِي ذَلِكَ³ :

وَعَاشِيَةٌ رَاحَتْ بِطَاناً ذَعَرْتُها بسُوطٍ قَتِيلٍ وَسَطَها يُتَسَيَّفُ⁴
 كَأَنَّ عَلَيْهِ لَوْنُ بُرْدٍ مَحْبَرٍ إِذَا مَا أَتَاهُ صَارِخٌ يَتَلَهَّفُ⁵
 فَبَاتَ لَهَا أَهْلُ خَلَاءٍ فَنَاوَهُم وَمَرَّتْ بِهِمْ طَيْرٌ فَلَمْ يَتَعَيَّفُوا⁶

- 1 الرِّيحُ : الغَلِيَّةُ وَالْفُوزُ .
- 2 المِثْلُ «العَاشِيَةَ تَهِيحُ الْآبِيَةَ» فِي مَجْمَعِ الْمِيدَانِي 2 : 9 وَجَمْهَرَةُ الْعَسْكَرِيِّ 2 : 57 وَمُسْتَقْصَى الزَّمْخَشَرِيِّ 1 :
- 331 وَفَصْلُ الْمَقَالِ : 516 وَأَمْثَالُ الْعَرَبِ : 63 . وَالْعَاشِيَةُ الَّتِي تَرعى لَيْلاً .
- 3 شِعْرُهُ : 59-60 .
- 4 الْمِيدَانِي : بِصَوْتِ قَتِيلٍ .
- 5 الْمِبْرَدُ الْمَحْبَرُ : الْمَوْشَى . وَهنا مَحْبَرٌ بِالْدمِ .
- 6 فَبَاتَ لَهَا فِي ل : فَقَلَّتْ لَهَا .

وباتوا يظنونَ الظنونَ وصُحبتِي
 وما نلُّتها حتى تصعلكتُ حِقْبَةَ
 وإذا ما علَّوا نَشراً أهْلُوا وأوجفوا
 وكِدْتُ لأَسبابِ المنيَّةِ أعْرِفُ¹
 وإذا قمتُ تغشاني ظلالُ فأسدِفُ²
 وحتى رأيتُ الجوعَ بالصيفِ ضَرَّني

[حيلة للغارة]

وقال الأثرم في روايته عن أبي عبيدة : خرج سُلَيْك في الشهر الحرام حتى أتى عُكَاظ ، فلما اجتمع الناس ألقى ثيابه ، ثم خرج متفضلاً مترجلاً ، فجعل يطوف الناس ويقول : مَنْ يصف لي منازل قومه ، وأصيف له منازل قومي ؟ فلقية قيسُ بنُ مكشوح المرادي ، فقال : أنا أصيف لك منازل قومي ، وصيف لي منازل قومك . فتواقفا وتعاهدا ألا يتكاذبا .

فقال قيسُ بن المكشوح : خذ بين مَهَبِّ الجنوب والصبَّا ، ثم سيرٌ حتى لا تدري أين ظلَّ الشجرة ؟ فإذا انقطعت المياه فسير أربعاً حتى تبدو لك رملةٌ وقف³ بينها الطريق ، فإنك ترد على قومي مراد وختعم .

فقال السُّليكَ : خذ بين مطلع سهيل ويدِ الجوزاء اليسرى العاقد لها من أفق السماء ، فتمَّ منازل قومي بني سعد بن زيدِ مناة .

فانطلق قيسٌ إلى قومه فأخبرهم الخبر ، فقال أبوه المكشوح : ثكلتُك أمُّك . هل تدري مَنْ لقيت ؟ قال : لقيتُ رجلاً فضلاً⁴ كأنما خرج من أهله ، فقال : هو والله سُلَيْك بن سعد .

فاستعلق واستعوى السُّليكَ قومه فخرج أحماس⁵ من بني سعد وبني عبد شمس ، وكان في الربيع يعبد إلى بيض النعام فيملؤه من الماء ويدفنه في طريق اليمن في المقاوز . قال : فإذا غزا في الصيف مرَّ به فاستثاره . فمرَّ بأصحابه حتى إذا انقطعت عنهم المياه قالوا : يا سُلَيْك أهلكتنا ويحك ! قال : قد بلغتم الماء ، ما أقربكم منه ! حتى إذا انتهى إلى قريب من المكان الذي خبأ الماء فيه طلبه فلم يجده ، وجعل يتردد في طلبه . فقال بعض أصحابه لبعض : أين يقودكم هذا العبد ؟ قد والله هلكتكم ، وسمع ذلك ثم أصاب الماء بعد ما ساء ظنهم ، فهمَّ السُّليكَ بقتل بعضهم ، ثم أمسك .

فانصرفت عنه بنو عبد شمس في طوائف من بني سعد . قال : ومضى السُّليكَ في بني

1 أعرف : أصبر .

2 يسدِف : تظلم عيناه من الجوع .

3 القف : المرتفع من الأرض .

4 فضل : رجل في ثوب واحد .

5 أحماس : شجعان .

مقاعس ومعه رجل من بني حرام يقال له : صُرْد . فلَمَّا رأى أصحابه قد انصرفوا بكى ومضى به السُّلَيْك ، حتى إذا دنوا من بلاد خثعم ضلَّت ناقةُ صُرْد في جوف الليل ، فخرج في طلبها ، فأصابه أناس حين أصبح ، فإذا هم مراد وخثعم ، فأسروه ، ولحقه السُّلَيْك فاقتتلوا قتالاً شديداً .

وكان أولَ مَنْ لقيه قيسُ بن مكشوح ، فأسره السُّلَيْك بعد أن ضربه ضربةً أشرفت على نفسه ، وأصاب من نعمهم ما عجز عنه هو وأصحابه ، وأصاب أمَّ الحارث بنتَ عوف بن يربوع الخثعمية يومئذ ، واستنقذ صُرْد من أيدي خثعم ، ثم انصرف مسرعاً ، فلحق بأصحابه الذين انصرفوا عنه قبل أن يصلوا إلى الحيِّ ، وهم أكثر من الذين شهدوا معه ، فقسمها بينهم على سهام الذين شهدوا . وقال السُّلَيْك في ذلك¹ : [من الطويل]

بكى صُرْدٌ لَمَّا رَأَى الْحَيَّ أَعْرَضَتْ	مهامه رملٍ دونهم وسهوبُ
وخوفه ريبَ الزَّمانِ وفقره	بلادُ عدو حاضر وجَدوبُ
ونأيٌ بعيدٌ عن بلادِ مقاعس	وأن مخاريقَ الأمورِ تريبُ
فقلتُ له لا تُبكِ عينك إنَّها	قضيةٌ ما يُقضى لها فتوبُ ²
سيكفيك فقدَ الحيِّ لحمٌ مغرَضُ	وماءُ قُدورٍ في الجِفانِ مشوبُ ³
ألم ترَ أنَّ الدهرَ لوانٍ لونه	وطوران : بشرٌ مرَّةً وكذوبُ ⁴
فما خيرَ مَنْ لا يرتجي خيراً أوبة	ويُخشى عليه مريَّة وحروبُ ⁵
رددتُ عليه نفسه فكأنَّما	تلاقى عليه منسِرٌ وسرُوبُ ⁶
فما ذرَّ قرنَ الشمسِ حتى أريته	قُصارِ المنايا والغبارِ يثوبُ ⁷
وضاربتُ عنه القومَ حتى كأنَّما	يصعدُ في آثارهم ويصوبُ ⁸

1 شعره : 44-46 .

2 شعره : لنا فنووب .

3 فقد الحي : شراب الحي . ومغرض : طري .

4 طوران في ل : وثاران .

5 مريَّة في ل : سرية ، وهي جماعة الخيل .

6 المنسر : مقدمة الجيش . والسرُوب : جماعات الخيل .

7 ل : حتى رأيتُه مصاد المنايا . ومصاد وقصار : الغاية .

8 يصوب : ينحدر .

وَقَلْتُ لَهُ خَذْ هَجْمَةَ حِمِيرِيَّةٍ وَأَهْلًا وَلَا يَبْعُدُ عَلَيْكَ شَرُوبٌ¹
 وَلَيْلَةَ جَابَانَ كَرَّرْتُ عَلَيْهِمْ عَلَى سَاعَةٍ فِيهَا الْإِيَابُ حَيْبٌ²
 عَشِيَّةً كَرَّرْتُ بِالْحَرَامِيِّ نَاقَةَ بَحِيٍّ هَلَا تُدْعَى بِهِ فَتُجِيبُ³
 فَضَارِبَتْ أَوْلَى النَخِيلِ حَتَّى كَانَتْمَا أَمِيلٌ عَلَيْهَا أَيَدَعٌ وَصَيْبٌ

الأيدع : دم الأخوين ، والصبيب : الحناء .

[ينذر قومه فيكذبونه]

قال أبو عبيدة⁴ : وبلغني أنَّ السُّلَيْكَ بنَ السُّلْكََة رَأَتْهُ طَلَانِعُ جَيْشِ لَبَكْرِ بْنِ وائِلٍ ، وَكَانُوا جَازُوا مَنْحَدَرَيْنِ لِيُغَيِّرُوا عَلَى بَنِي تَمِيمٍ وَلَا يَعْلَمُ بِهِمْ أَحَدٌ ، فَقَالُوا : إِنْ عَلِمَ السُّلَيْكُ بِنَا أَنْذَرَ قَوْمَهُ ، فَبِعَثُوا إِلَيْهِ فَارْسِينَ عَلَى جَوَادِينَ ، فَلَمَّا هَاجَاهُ خَرَجَ يَمَحْصُ كَأَنَّهُ ظَبْيٌ ، وَطَارِدَاهُ سَحَابَةٌ يَوْمَهُ ، ثُمَّ قَالَا : إِذَا كَانَ اللَّيْلُ أَعْيَا ، ثُمَّ سَقَطَ أَوْ قَصَرَ عَنِ الْعَدُوِّ ، فَنَأْخُذْهُ .

فَلَمَّا أَصْبَحَا وَجَدَا أَثْرَهُ قَدْ عَثَرَ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ فَنَزَعَهَا⁵ ، فَندرت قوسه فانخطمت ، فوجدنا قِصْدَةً⁶ مِنْهَا قَدْ ارْتَزَتْ⁷ بِالْأَرْضِ ، فَقَالَا : مَا لَهُ ، أَخْزَاهُ اللَّهُ ؟ مَا أَشَدَّهُ ! وَهَمَّا بِالرَّجُوعِ ، ثُمَّ قَالَا : لَعَلَّ هَذَا كَانَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ثُمَّ فُتِرَ ، فَتَبِعَاهُ ، فَإِذَا أَثْرُهُ مَتَفَاجٌ⁸ قَدْ بَالَ فَرَاغًا فِي الْأَرْضِ وَخَدَّهَا ؛ فَقَالَا : مَا لَهُ قَاتَلَهُ اللَّهُ ؟ مَا أَشَدَّ مَتَنَهُ ! وَاللَّهِ لَا تَتَّبِعُهُ أَبَدًا ، فَانصرفا . ونمى⁹ إلى قومه وَأَنْذَرَهُمْ ، فَكَذَّبُوهُ لِبَعْدِ الْغَايَةِ ، فَانْشَأَ يَقُولُ¹⁰ :

يَكْذِبُنِي الْعَمْرَانُ عَمْرُو بْنُ جَنْدَبٍ وَعَمْرُو بْنُ سَعْدٍ وَالْمَكْدُوبُ أَكْذَبُ
 لِعَمْرُكَ مَا سَاعَيْتُ مَنْ سَعَى عَاجِزٌ وَلَا أَنَا بِالْوَانِي فَفِيمَ أَكْذَبُ¹¹

1 المهجمة : مجموعة من الإبل . وشروب : شراب .

2 جابان : مخالف باليمن .

3 كرت في ل : كدت .

4 انظر التذكرة الحمدونية 7 : 345 والكامل : 738-739 والدرة الفاحرة 1 : 305 .

5 ل : فنزا عنها .

6 قصده : قطعة .

7 ارتزت : ثبتت .

8 متفاج : متباعد ما بين رجله .

9 ل : وتم .

10 شعره : 47-48 .

11 رواية الشعر :

سعت لعمرى سعى غير معجز ولا نأسىء لىو أنسى لا أكذب

ثكلتكما إن لم أكن قد رأيتها كراديس يهديها إلى الحي موكب¹
 كراديس فيها الحوفزان وقومه فوارس همّام متى يدعُ يركبوا
 يعني الحوفزان بن شريك الشيباني .
 تفاقدمُ هل أنكرن مغيرة مع الصبح يهديهن أشقر مغرب²
 تفاقدم : يدعو عليهم بالتفاقد .

[يقتل زوجته]

قال ، وجاء الجيش فأغاروا على جمعهم . قال : وكان يقال للسُّليكَ : سُلَيْكِ المقاب ،
 وقد قال في ذلك فرار الأسدي ، وكان قد وجد قومًا يتحدثون إلى امرأته من بني عمّها فعقرها
 بالسيف ، فطلبه بنو عمّها فهرب ولم يقدروا عليه ، فقال في ذلك² : [من الطويل]

لَزُوار ليلي منكم آل برثن على الهول أمضى من سُلَيْكِ المقاب
 يزورونها ولا أزورُ نساءهم ألهفى لأولادِ الإماء الحواطبِ

[غارة على بني عوار]

وقال أبو عبيدة : أغار السُّليكَ على بني عوار بطن من بني مالك بن ضبيعة ، فلم يظفر
 منهم بفائدة ، وأرادوا مساورته .

فقال شيخ منهم : إنّه إذا عدا لم يُتعلّق به ، فدعوه حتى يرد الماء ، فإذا شرب وثقل لم
 يستطع العدو ، وظفرتم به . فأمهلوه حتى ورد الماء وشرب ، ثم بادروه ، فلما علم أنّه
 مأخوذ خاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم حتى ولجّ على امرأة منهم يقال لها : فُكَيْهة ، فاستجار
 بها ، فمنعته ، وجعلته تحت درعها ، واخترطت السيف ، وقامت دونه ، فكأثرها فكشفت
 خمارها عن شعرها ، وصاحت بإخوتها فجاءوها ، ودفعوا عنه حتى نجا من القتل ، فقال
 السُّليكَ في ذلك³ : [من الوافر]

لعمرُ أبيكِ والأنباءِ تنمى لنعم الجار أخت بني عوارا
 من الخفِرات لم تفضحُ أباهَا ولم ترفعُ لإخوتها شنارَا
 كأن مجامعِ الأردافِ منها نَقاً درجت عليه الريحُ هارَا

1 الكراديس : القطع العظيمة من الخيل .

2 لم يرد البيتان في مجموع شعره .

3 شعره : 55-56

يَعَافُ وَصَالُ ذَاتِ الْبَدَلِ قَلْبِي وَيَتَّبِعُ الْمَمْنَعَةَ النَّوَارَا
وَمَا عَجَزَتْ فُكَيْهَةٌ يَوْمَ قَامَتْ بِنَصْلِ السَّيْفِ وَاسْتَلَبُوا الْخِمَارَا

[أطلق أسيره فأثيب]

أخبرني الأَخْفَشُ عَنِ السُّكْرِيِّ عَنِ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَنَّ السُّلَيْكَ أَخَذَ رَجُلًا مِنْ بَنِي كِنَانَةَ بْنِ تَيْمٍ بْنِ أُسَامَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ غَنَمِ بْنِ تَغْلَبَ يُقَالُ لَهُ : النَّعْمَانُ بْنُ عُقْفَانَ ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ وَقَالَ ١ :

سَمِعْتُ بَجْمَعَهُمْ فَرَضْتُ فِيهِمْ بِنُعْمَانَ بْنِ عُقْفَانَ بْنِ عَمْرُو
فَإِنْ تَكْفَرُ فَإِنِّي لَا أُبَالِي وَإِنْ تَشْكُرُ فَإِنِّي لَسْتُ أُدْرِي
قَالَ : ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى بَنِي كِنَانَةَ وَهُوَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَهُمْ بِمَاءِ لَهْمٍ يُقَالُ لَهُ : قُبَاقِبٌ ، خَلَفَ الْبِشْرَ ، فَأَتَاهُ نَعْمَانُ بِابْنَيْ الْحَكَمِ وَعَثْمَانَ ، وَهُمَا سَيِّدَا بَنِي كِنَانَةَ ، وَنَائِلَةُ ابْنَتُهُ ، فَقَالَ : هَذَانُ وَهَذِهِ لَكَ ، وَمَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمْ ؟ فَقَالُوا : صَدَقَ ؛ فَقَالَ : قَدْ شَكَرْتُ لَكَ وَقَدْ رَدَدْتُهُمْ عَلَيْكَ .

[يسبق في شيخوخته الشباب]

فَجَمَعَتْ لَهُ بَنُو كِنَانَةَ إِبِلًا عَظِيمَةً فَدَفَعُوهَا إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ : إِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَرِينَا بَعْضَ مَا بَقِيَ مِنْ إِحْضَارِكَ . قَالَ : نَعَمْ ، وَأَبْعُونِي أَرْبَعِينَ شَابًّا ، وَأَبْعُونِي دِرْعًا ثَقِيلَةً ، فَأَتَوْهُ بِذَلِكَ ، فَلَبَسَ الدَّرْعَ ، وَقَالَ لِلشَّبَّانِ : الْحَقْوَا بِي إِنْ شِئْتُمْ . وَعَدَا ، فَلَاثَ الْعَدُوِّ لَوْثًا ، وَعَدُوا جَنْبَتَهُ فَلَمْ يَلْحَقُوهُ إِلَّا قَلِيلًا ، ثُمَّ غَابَ عَنْهُمْ وَكَرَّرَ حَتَّى عَادَ إِلَى الْحَيِّ هُوَ وَحَدَهُ يُحْضِرُ وَالِدْرِعَ فِي عُنُقِهِ تَضْرِبُ كَأَنَّهَا خِرْفَةٌ مِنْ شِدَّةِ إِحْضَارِهِ .

أَخْبَرَنِي بِهِ هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدِ الْخَزَاعِيِّ عَنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ ، عَنْ عَمِّهِ فَذَكَرَ فِيهِ نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ .

[مقتله]

وَقَالَ السُّكْرِيُّ فِي خَبَرِ مَقْتَلِهِ : إِنَّهُ لَقِيَ رَجُلًا مِنْ خَثْعَمٍ فِي أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : فُحَّةٌ ، بَيْنَ أَرْضِ عُقَيْلٍ وَسَعْدِ تَمِيمٍ ، وَكَانَ يُقَالُ لِلرَّجُلِ : مَالِكُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ أَبِي ذِرَاعِ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَوْفٍ ، فَأَخَذَهُ وَمَعَهُ امْرَأَةٌ لَهُ مِنْ خَفَاجَةَ يُقَالُ لَهَا : النَّوَارُ ، فَقَالَ لَهُ الْخَثْعَمِيُّ : أَنَا أَفْدي نَفْسِي مِنْكَ ، فَقَالَ لَهُ : السُّلَيْكَ : ذَلِكَ لَكَ ، عَلَى الْأَخْيَاسِ بِي ، وَلَا تَطَّلِعْ عَلَيَّ أَحَدًا مِنْ خَثْعَمٍ . فَحَالَفَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ ، وَخَلَّفَ امْرَأَتَهُ رَهِينَةً مَعَهُ ، فَنَكَحَهَا السُّلَيْكَ ،

وجعلت تقول : احذر خثعم ؛ فإنني أخافهم عليك ، فأنشأ يقول¹ :
 تحذرنني كسي أحذر العام خثعماً وقد علمت أنني امرؤ غير مسلم
 وما خثعم إلا لكأم أدلة إلى الذل والإسحاق تنمي وتنمي²

قال : وبلغ ذلك شبيل بن قلادة بن عمر بن سعد ، وأنس بن مدرك الخثعميين ، فخالفا
 إلى السُّليك ، فلم يشعر إلا وقد طرقاه في الخيل ، فأنشأ يقول³ :

[من الرجز]
 من مبلغ جذمي بأنني مقتول
 يا ربَّ نهب قد حويت عُثكول⁴
 وربَّ قرن قد تركتُ مجدول
 وربَّ زوج قد نكحتُ عُطبول⁵
 وربَّ عانٍ قد فككتُ مكبول
 وربَّ وادٍ قد قطعتُ مسبول

قال أنس للشبيل : إن شئت كفيتك القوم واكفني الرجل ، وإن شئت اكفني القوم أكفك
 الرجل . قال : بل أكفك القوم ، فشدَّ أنس على السُّليك فقتله ، وقتل شبيل وأصحابه من كان
 معه .

وكاد الشر يتفاقم بين أنس وبين عبد الملك ، لأنه كان أجاره حتى وداه أنس لما خاف أن
 يخرج الأمر من يده ، وقال :

[من البسيط]
 كم من أخ لي كريمٍ قد فُجعتُ به
 لا أستكينُ على ريبِ الزمانِ ولا
 مِرْدَى حُرُوبِ أدير الأمرِ حابله
 قد أطعنُ الطعنةَ النجلاءُ أتبعها
 ويومَ حمضةٍ مطلوبٍ ذلفتُ له
 ثم بقيتُ كأنني بعده حَجْرُ
 أغضي على الأمرِ يأتي دونه القدرُ
 إذ بعضهم لأُمورٍ تعترني جَزْرُ
 طرُفاً شديداً إذا ما يشخصُ البصرُ
 بذاتٍ ودَقينٍ لما يُعفها المطرُ

وذكر باقي الأبيات التي تتلو هذه :

1 شعره : 67 .

2 الإسحاق : الأبعاد . ويقال سحقاً لهم .

3 شعره : 63-64 .

4 العثكول : العذق .

5 العطبول : الفتية الجميلة الطويلة العنق .

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكاً ثُمَّ أَعَقَلَهُ

كَمَا ذَكَرَهُ مَنْ رَوَيْنَا عَنْهُ ذَلِكَ .

أَخْبَرَنِي هَاشِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَخِي الْأَصْمَعِيِّ عَنْ عَمِّهِ فَذَكَرَ مَا تَقَدَّمَ .

[يجعل لعبد الملك ابن مويك إتاوة ليجيره]

قال أبو عبيدة وحدثني المنتجع بن نبهان قال : كان السُّليكَ يعطي عبد الملك بن مويك الخثعمي إتاوة من غنائمه على أن يجيره فيتجاوز بلاد خثعم إلى من وراءهم من أهل اليمن ، فيغير عليهم . فمر قافلاً من غزوة فإذا بيت من خثعم أهله خلوف¹ وفيه امرأة شابة بضعة ، فسألها عن الحي فأخبرته ، فتسنمها ، أي علاها ، ثم جلس حجرة² ، ثم التقم المحجة³ . فبادرت إلى الماء فأخبرت القوم ، فركب أنس بن مذكري الخثعمي في طلبه فلحقه ، فقتله . فقال عبد الملك : والله لأقتلن قاتله أو ليدينه ، فقال أنس : والله لا أديه ولا كرامة ، ولو طلب في ديتة عقلاً لما أعطيته . وقال في ذلك :

[من البسيط]

كالثور يضرب لما عافت البقر ⁴	إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكاً ثُمَّ أَعَقَلَهُ
وَإِذَا يُشَدُّ عَلَى وَجَعَائِهَا النَّفْر ⁵	غَضِبْتُ لِلْمَرْءِ إِذْ نِيكَتْ حَلِيلَتُهُ
لَا يَزِدْهِنِي سِوَاؤُ اللَّيْلِ وَالْقَمْرِ	إِنِّي لِتَارِكُ هَامَاتٍ بِمَجْزَرَةٍ
تَغْشَى الْبَنَانَ وَسِيفِي صَارِمٌ ذَكَرُ	أَغْشَى الْحُرُوبَ وَسِرْيَالِي مِضَاعِفَةً

[غناء بشعره نبه فتاة إلى وضعها]

أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي الْأَزْهَرِ عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ فُلَيْحِ بْنِ أَبِي الْعَوْرَاءِ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقٌ بِمَكَّةَ ، وَكُنَّا لَا نَفْتَرِقُ وَلَا يَكْتُمُ أَحَدٌ صَاحِبَهُ سِرًّا ، فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ : يَا فُلَيْحُ ، إِنِّي أَهْوَى ابْنَةَ عَمِّ لِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَيْهَا قَطُّ ، وَقَدْ زَارْتَنِي الْيَوْمَ فَأَحَبُّ أَنْ تَسْرِنِي بِنَفْسِكَ ، فَإِنِّي لَا أُحْتَشِمُكَ . فَقُلْتُ : أَفْعَلُ ، وَصَرْتُ إِلَيْهِمَا ، وَأَحْضَرَ الطَّعَامَ فَأَكَلْنَا ، وَوَضَعَ النَّبِيدَ فَشَرَبْنَا أَقْدَاحًا ، فَسَأَلْتَنِي أَنْ أُغْنِيَهُمَا ، فَكَأَنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنْسَانِي الْغِنَاءَ كُلَّهُ إِلَّا هَذَا الصَّوْتُ :

[من الوافر]

1 خلوف : غياب الرجال وبقاء النساء في الحي .

2 حجرة : ناحية .

3 التقم المحجة : استقبلها .

4 المثل « كالثور يضرب لما عافت البقر » في مجمع الميداني 2 : 142 وجمهرة العسكري 1 : 288 ومستقصى

الزمخشري 2 : 204 وفصل المقال : 387 .

5 الوجعاء : الدبر . والنفر : السير في مؤخر السرج .

من الخفريات لم تفضح أبها ولم تلحق بإخوتها شنارا
فلما سمعته الجارية قالت أحسنت يا أخي ، أعد ، فأعدته . فوثبت وقالت : أنا إلى الله
تائبة ، والله ما كنت لأفضح أبي ولا أرفع لإخوتي شناراً . فجهد الفتى في رجوعها فأبت
وخرجت ، فقال لي : ويحك ما حملك على ما صنعت ؟ فقلت : والله ما هو شيء اعتمدته ،
ولكنه ألقى على لساني لأمر أريد بك وبها . هكذا في الخبر المذكور .

وقد رواه غير من ذكرته عن فليح بن أبي العوراء ، فأخبرني الزبيدي عن عمه عبيد الله قال :
كان إبراهيم بن سعدان يؤدب ولد علي بن هشام ، وكان يغني بالعود تأدباً ولعباً . قال : فوجه
إلي يوماً علي بن هشام يدعوني ، فدخلت فإذا بين يديه امرأة مكشوفة الرأس تلاعبه بالنرد ،
فرجعت عجباً ، فصاح بي : ادخل ، فدخلت ، فإذا بين أيديهما نبيذ يشربان منه ، فقال : خذ
عوداً وغن لنا ، ففعلت ، ثم غنيت في وسط غنائي :
[من الوافر]

من الخفريات لم تفضح أبها ولم ترفع لإخوتها شنارا
فوثبت من بين يديه ، وغطت رأسها ، وقالت : إني أشهد الله ، أنني تائبة إليه ، ولا أفضح
أبي ولا أرفع لإخوتي شناراً . ففتر علي بن هشام ولم ينطق وخرجت من حضرته ، فقال لي :
ويلك ، من أين صبك الله علي ؟ هذه مغنية بغداد ، وأنا في طلبها منذ سنة لم أقدر عليها إلا
اليوم ، فجننتي بهذا الصوت حتى هربت . فقلت : والله ما اعتمدت مساءتك ، ولكنه شيء
خطر على غير تعمّد .

صوت

[من الطويل]

أمسلم إنني يا ابن كل خليفة ويا جبل الدنيا ويا ملك الأرض
شكرتك إن الشكر حظ من التقى وما كل من أوليته نعمة يقضي
الشعر لأبي نخيلة الحماني ، والغناء لابن سريج ، ثقيل بالوسطى عن يحيى المكي .

[439] - أخبار أبي نخيلة ونسبه¹

[كنيته اسمه]

أبو نخيلة اسمه لا كنيته ، ويكنى أبا الجنيد ، ذكر الأصمعي ذلك وأبو عمرو الشيباني وابن حبيب ، لا يعرف له اسم² غيره ، وله كنيتان : أبو الجنيد وأبو العرماس ، وهو ابن حزن بن زائدة بن لقيط بن هرْم بن يَثْرِي ، وقيل : بن أثري بن ظالم بن مجاسر بن حماد بن عبد العزى بن كعب بن لؤي بن سعد بن زيد مناة بن تميم .

[عقوقه أباه]

وكان عاقاً بأبيه ، فنفاه أبوه عن نفسه ، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه ، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه ، مطعوناً عليه . وكان الأغلب عليه الرجز ، وله قصيد ليس بالكثير .

[اتصاله بمسلمة]

ولما خرج إلى الشام اتصل بمسلمة بن عبد الملك ، فاصطنعه وأحسن إليه وأوصله إلى الخلفاء واحداً بعد واحد ، واستماحهم له فأغنوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم . انقطع إلى بني هاشم ، ولقّب نفسه شاعر بني هاشم ، فمدح الخلفاء من بني العباس ، وهجا بني أمية فأكثر .

[يغري المنصور بخلع عيسى بن موسى]

وكان طامعاً نطفياً ، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى ويعقد العهد لابنه محمد المهدي ، فوصله المنصور بألفي درهم ، وأمره أن يُشدها بحضرة عيسى بن موسى ففعل . فطلبه عيسى فهرب منه ، وبعث في طلبه مولى له ، فأدركه في طريق خراسان ، فذبحه وسلخ جلده³ .

[يهجو عند المثل ويمدح عند الإجابة]

أخبرني هاشم الخزاعي عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال : رأى أبو نخيلة على شبيب حلة فأعجبته ، فسأله إياها ، فوعده ومطله ، فقال فيه : [من الرجز]

1 ترجمة أبي نخيلة الحماني الراجز في الشعر والشعراء : 501 والمؤتلف والمختلف : 296-297 وخزانة البغدادي 1 : 163-165 والسبط : 135 والموشح : 343-344 وطبقات ابن سعد : 63-64 وانظر أمالي الزبيدي : 198 وأمالي المرتضى 1 : 580 ، 582 وأعلام الزركلي ومواضع متفرقة من التذكرة الحمدونية .

2 في الشعر والشعراء : يعمر ؛ وفي المؤتلف : يعمر بن حزن .

3 ل : وجهه .

يا قوم لا تُسودوا شيباً الملذان الخائن الكذوباً¹

هل تلدُ الذبيّةُ إلّا الذبياً

قال : فبلغه ذلك ، فبعث إليه بها فقال : [من الرجز]

إذا غدت سعدٌ على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبت من كثرتها وطيبها

[بخشى لسان خالد بن صفوان]

حدثني حبيب بن نصر المهلبى عن عمر بن شبة ، قال : حدثني الرّعل بن الخطاب قال : بنى أبو نخيلة داره ، فمرّ به خالد بن صفوان وكان بينهما مداعبة قديمة ، ومودة وكيدة ، فوقف عليه فقال أبو نخيلة : يا ابن صفوان ، كيف ترى دارى ؟ قال : رأيتك سألت فيها إلحافاً ، وأنفقت ما جمعت إسرافاً . جعلت إحدى يديك سَطْحاً ، وملاّت الأخرى سَلْحاً ، فقلت : من وضع في سَطْحِي وإلّا ملاّته بسَلْحِي ، ثم ولّى وتركه .

فقيل له : ألا تهجوه ؟ فقال : إذن والله يركب بغلته ، ويطوف في مجالس البصرة ، ويصف أبنتي بما يعيبها . وما عسى أن يضرّ الإنسان صفةً أبنته بما يعيبها سنةً ثم لا يعيد فيها كلمة .

[تأدّب في البادية]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفاف عن ابن مَهْرُويّه عن أبي مسلم المستملي عن الحرّمازي عن يحيى بن نجيم قال : لما انتفى أبو نخيلة من أبيه خرج يطلب الرزق لنفسه ، فتأدّب بالبادية حتى شعر وقال رجزاً كثيراً وقصييداً صالحاً وشهر بهما ، وسار شعره في البدو والحضر ، ورواه الناس . ثم وفد إلى مسلمة بن عبد الملك فرفع منه ، وأعطاه ، وشفع له ، وأوصله إلى الوليد بن عبد الملك ، فمدحه ، ولم يزل به حتى أغناه . قال يحيى بن نجيم : فحدثني أبو نخيلة قال : وردت على مسلمة بن عبد الملك فمدحته ، وقلت له : [من الطويل]

أُمسَلِمَ إني يا ابن كلّ خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض

شكرتُك إن الشكرَ جبلٌ من التقي وما كلُّ من أوليته نعمة يقضي

وألقيت لما أن أتيتك زائراً عليّ لحافاً سابغ الطول والعرض

وأحييت لي ذكري وما كان خاملاً ولكنّ بعض الذكر أئبه من بعض

[يشد أرجوزة لرؤبة]

قال : فقال لي مسلمة : ممن أنت ؟ فقلت : من بني سعد . فقال : ما لكم يا بني سعد والقصيد وإنما حظكم في الرجز ؟ قال : فقلت له : أنا والله أرجز العرب ، قال : فأنشدني من

رجزك ، فكأنني والله لما قال ذلك لم أقل رجزاً قط ، أنسانيه الله كله ، فما ذكرتُ منه ولا من غيره شيئاً إلا أرجوزة لرؤية كان قالها في تلك السنة ، فظننتُ أنها لم تبلغ مسلمة ، فأنشده إياها ، فنكس رأسه وتتعنت ، فرفع رأسه إلي وقال : لا تتعب نفسك ، فأنا أروى لها منك . قال : فانصرفتُ وأنا أكذب الناس عنده وأخزاهم عند نفسي حتى تلطفت بعد ذلك ومدحته برجز كثير ، فعرفني وقربني . وما رأيتُ ذلك أثر فيه ، يرحمه الله ولا قرعني به حتى افترقنا .

[مزيد من مدحه لمسلمة]

وحدثني أبو نخيلة قال : لما انصرف مسلمة من حرب يزيد بن المهلب تلقيته ، فلما عاينته صحت به :

[من الرجز]

مَسْلَمُ يَا مَسْلَمَةَ الْحُرُوبِ أَنْتِ الْمَصْفَى مِنْ أذى الْعُيُوبِ
مُصَاصَةٌ مِنْ كَرَمٍ وَطِيبٍ لَوْلَا ثِقَافٌ لَيْسَ بِالتَّدْرِيبِ
تَفَرِّي بِهِ عَنْ حُجُبِ الْقُلُوبِ لِأَمَسَتِ الْأُمَّةُ شَاءَ الذَّيْبِ
فَضْحُكٌ وَضَمْنِي إِلَيْهِ ، وَأَجْرُلُ صَلَاتِي .

[رجل من عشيرته يوصله إلى هشام]

حدثني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعي عن عمه ، وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني علي بن محمد النوفلي عن أبيه ، وقد جمعت روايتهما وأكثر اللفظ للأصمعي ، قال : قال أبو نخيلة : وفدت على هشام بن عبد الملك فصادفت مسلمة قد مات ، وكنت بأخلاق هشام غراً وأنا غريب ، فسألت عن أخص الناس به ، فذكر لي رجلان : أحدهما من قيس ، والآخر من اليمن ، فعدلتُ إلى القيسي بالزارية فقلت : هو أقربهما إلي ، وأجدرهما بما أحب ؛ فجلست إليه ، ثم وضعت يدي على ذراعه وقلت له : إني مستثيبك لتمسني رحيمك .

أنا رجلٌ غريبٌ شاعرٌ من عشيرتك ، وأنا غيرُ عارفٍ بأخلاقِ هذا الخليفة ، وأحببتُ أن ترشدني إلى ما أعملُ فينفعني عنده ، وعلى أن تشفعَ لي وتوصلني إليه . فقال : ذلك كله لك علي . وفي الرجل شدة ، ليس كمن عهدت من أهله ، وإذا سئل وخُلط مدحه بطلب حرم الطالب ، فأخلص له المدح ، فإنه أجدر أن ينفَعَكَ ، واغد إليه غداً فإني منتظرٌ بالباب حتى أوصلك ، والله يعينك . فصرتُ من غد إلى باب هشام ، فإذا بالرجل منتظر لي ، فأدخلني معه ، وإذا بأبي النجم قد سبقني فبدأ فأنشده قوله² :

[من الرجز]

1 الثقاف : آلة تسوى بها الرماح .

2 ديوان أبي النجم (صادر) : 275-276 .

إلى هشام وإلى مروان
 كفأكَ بالجوْدِ تباريان
 بيتان ما مثلهما بيتان
 كال تبارى فرسا رهان
 مأل علي حَدَثُ الزَّمانِ
 وبيعَ ما يغلو من الغلمان¹
 بالثمنِ الوَكْسِ من الأثمانِ
 والمهر بعد المهر والحصان²

قال : فأطال فيها وأكثر المسألة حتى ضجر هشام ، وتبيّنت الكراهة في وجهه ، ثم استأذنت فأذن لي : فأنشدته :

[من الرجز]

لما أتني نغية كالشَّهيدِ
 يا برِّدها مُشْتَفِي بِالْبَرِّدِ
 والعسلِ الممزوجِ بعد الرِّقْدِ³
 رفعت من أطمارِ مستعدِّ
 وقلتُ لِلْعَيْسِ اعْتَلِي وَجِدِّي
 فَهَيَّي تَخْدِي أَبْرَحَ التَّخْدِي⁴
 كم قد تعسَّفتُ بها من نجدِ
 ومُجْرَهْدٍ بعد مُجْرَهْدِ⁵
 قد أدرَعَنَ في مَسِيرِ سَمْدِ
 ليلاً كلَّونِ الطيلسانِ الجَرْدِ⁶
 إلى أميرِ المؤمنينِ المُجْدِي
 رَبِّ مَعَدِّ وسوى معدِّ
 مِمَّنْ دَعَا مِنْ أَصِيدِ وَعَبْدِ
 ذي المجدِ والتشريفِ بعد المجدِ
 في وجهه بدرٌ بدا بالسَّعْدِ
 أنت الهُمامُ القَرْمُ عند الجَدِّ
 طوَّقْتَهَا مجتمِعِ الأشدِّ
 فانهلَّ لما قمتَ صوبَ الرعدِ

قال : حتى أتيت عليها وهممت أن أسأله ، ثم عزفت نفسي وقلت : قد استنصحتُ رجلاً ، وأخشى أن أخالفه فأخطيء ؛ وحانت مني التفاتة فرأيت وجه هشام منطلقاً . فلما فرغت أقبل على جلسائه فقال : الغلامُ السَّعْدِيُّ أشعر من الشيخِ العِجْلِيِّ ، وخرجت . فلما كان بعد أيام أتني جائزته ، ثم دخلتُ عليه بعد ذلك ، وقد مدحته بقصيدة فأنشدته إياها فألقى عليَّ جِبَّةَ خَزٍّ من جِبابه مبطنَةٌ بِسَمُورٍ ، ثم دخلتُ عليه يوماً آخر ، فكساني دُوَاجِجاً⁷ كان عليه من خَزٍّ أحمرٍ مبطنٍ بِسَمُورٍ ، ثم دخلتُ عليه يوماً ثالثاً فلم يَأْمُرْ لي بشيء ، فحملتني

1 الديوان : حذب الزمان ، أي شدته ومشقته .

2 الوكس : البخس .

3 نغية : نغمة ، وفي رواية : لما سمعت . والرقد : الرقاد .

4 تخدي : تسرع . وفي الخزانة : أحسن التخدي .

5 مجرهد : مكان لا نبات فيه .

6 سمء : مستمر . والجرد : الخلق .

7 الدواج : الثوب الواسع .

نفسى على أن قلت له :
كسوتنيها فهي كالتجفاف¹ من خزك المصونة الكثاف¹
كأتني فيها وفي اللحاف من عبد شمس أو بني مناف
والخز مشتاق إلى الأفواف²

قال ، فضحك ، وكانت عليه جبة أفواف ، وأدخل يده فيها ونزعها ورمى بها إلي ،
وقال : خذها ، فلا بارك الله لك فيها .

[يغير أرجوزته ليجعلها في السفاح]

قال محمد بن هشام في خبره خاصة : فلما أفضت الخلافة إلى السفاح نقلها إليه وغيرها
وجعلها فيه ، يعني الأرجوزة الدالية ، فهي الآن تنسب في شعره إلى السفاح .
[الفرزدق يفضل السجن على شفاعته]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أحمد بن الهيثم بن فراس قال : حدثني أبو
عمر الخصاف عن العتبي قال : لما حبس عمر بن هبيرة الفرزدق وهو أمير العراق أبي أن يشفع
فيه أحداً ، فدخل عليه أبو نخيلة في يوم فطر ، فوقف بين يديه وأنشأ يقول : [من الرجز]

أطلقت بالأمس أسير بكر فهل ، فذاك نفرني ووفري
من سبب أو حجة أو عذر يُنجي التميمي القليل الشكر
من حلق القيّد الثقيل السمر ما زال مجنوناً على است الدهر
ذا حسب ينمو وعقل يحري هبه لأخوالك يوم الفطر³

قال : فأمر بإطلاقه ، وكان قد أطلق قبله رجلاً من عجل جيء به من عين التمر⁴ قد أفسد ،
فشفعت فيه بكر بن وائل فأطلقه . وإياه عنى أبو نخيلة . فلما أخرج الفرزدق سأل عمّن شفع له
فأخبر ، فرجع إلى الحبس وقال : لا أريمه ولو مت . انطلق قبلي بكري وأخرجت بشفاعه دعي ،
والله لا أخرج هكذا ولو من النار . فأخبر ابن هبيرة بذلك فضحك ودعا به فأطلقه ، وقال :
وهبتك لنفسك . وكان هجاه فحسبه لذلك ، فلما عزّل ابن هبيرة وحبس مدحه الفرزدق ،
فقال : ما رأيت أكرم منه ، هجاني أميراً ومدحني أسيراً .

[كانت الشفاعة في غير الفرزدق]

وجدت هذا الخبر بخط القاسم بن يوسف ، فذكر أن أبا القاسم الحضرمي حدثه أن هذه

1 التجفاف : آلة للحرب تلبسها الفرس والإنسان للوقاية .

2 الأفواف : البرود اليمانية والثياب الرقيقة .

3 يحري : ينقص .

4 عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار .

القصّة كانت لأبي نُخَيْلَةَ مع يزيد بن عُمر بن هُبَيْرَة ، وأنته أتى بأسيرين من الشُّرَاة أخذوا بعين التمر : أحدهما أبو القاسم بن بِسْطَام بن ضِرَار بن القَعْقَاع بن مَعْبَد بن زُرَّارَة ، والآخر رجل من بكر بن وائل . فتكلّم في البكريّ قومُه فأطلقه ، ولم يتكلّم في التميميِّ أحدٌ ، فدخل عليه أبو نُخَيْلَةَ فقال :

[من الرجز]

الحمدُ لله وليّ الأُمُرِ هو الذي أخرج كلَّ غَمْرٍ¹
وكلَّ عُوَارٍ وكلَّ وَغْرٍ من كلِّ ذي قلب نقيّ الصدرِ²
لما أتت من نحو عين التمرِ سيّثُ أثاف ، لا أثافي القدرِ
فظلّت القضبانُ فيهم تجري هَبْرًا هو الهبر وفوق الهبرِ
إنّي لمهديّ للإمامِ الغمْرِ شعريّ ونصحَ الحبِّ بعد الشعرِ³

ثم ذكر باقي الأبيات كما ذكرت في الخبر المتقدم .

[هجاء الضيف]

أخبرني أبو الحسن الأُسديُّ أحمدُ بنُ محمد قال : حدّثني محمد بن صالح بن النّطّاح قال : ذكر عن العتبيّ أنّ أبا نُخَيْلَةَ حجّ ومعه جريب من سويق قد حلاه بقند⁴ ، فنزل منزلاً في طريقه ، فأتاه أعرابيٌّ من بني تميم وهو يقبل ذلك السويق ، واستحيا منه فعرض عليه ، فتناول ما أعطاه فأتى عليه ، ثم قال : زدني يا ابن أخ ، فقال أبو نُخَيْلَةَ :

[من الرجز]

لَمَّا نزلنا منزلاً ممقوتاً نريدُ أن نرحلَ أو نبيتا
جئتَ ولم ندرِ من أين جيتا إذا سقيتَ المُرْبِدَ السّحتيتا
قلتُ ألا زدني وقد رويتا

فقام الأعرابيُّ وهو يسبه .

وحدّثني بهذا الخبر هاشمُ بنُ محمد أبو دُلف الخُزاعيّ قال : حدّثنا أبو غَسَّان دماذ عن أبي عبّيدة قال : كان أبو نُخَيْلَةَ إذا نزلَ به ضيف هجاه . فنزل به يوماً رجلاً من عشيرته ، فسقاه سويقاً قد حلاه ، فقال له : زدني ، فزاده . فلمّا رحل هجاه وذكر الأبيات بعينها ، وقال في الخبر قال أبو عبّيدة : السّحتيت : السويق الدُّقاق .

1 الغمر : الحقد .

2 العوار : يعني هنا الفساد والشر . والوغر : الضغينة .

3 الغمر هنا : الكريم الخلق .

4 القند : عسل قصب السكر الجامد .

[اعتذاره من مدح الأمويين]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال : حدثني ابن عائشة قال : دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح فسلم ، واستأذن في الإنشاد ، فقال له أبو العباس : لا حاجة لنا في شعرك ، إنما تنشدنا فضلات بني مروان ، فقال : يا أمير المؤمنين : [من الرجز]

كنا أناساً نهربُ الأملاك
إذ ركبوا الأعناق والأوراكا
قد ارتجينا زمناً أباك
ثم ارتجينا بعده أخاك
ثم ارتجينا بعده إياك
وكان ما قلتُ لِمَن سواك

زوراً فقد كفر هذا ذاك

فضحك أبو العباس ، وأجازه جائزة سنية ، وقال : أجل ، إن التوبة لتكفر ما قبلها ، وقد كفر هذا ذاك .

وأخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شراعة قال : حدثني أبي عن عبد الصمد بن المعدل عن أبيه قال : دخل أبو نخيلة على أبي العباس ، قال وكان لا يجترىء عليه مع ما يعرفه به من اصطناع مسلمة إياه ، وكثرة مدحجه لبني مروان حتى علم أنه قد عفا عمّن هو أكبر محلاً من القوم وأعظم جرماً منه . فلماً وقف بين يديه سلم عليه ، ودعا له وأثنى ، ثم استأذنه في الإنشاد ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : عبدك يا أمير المؤمنين أبو نخيلة الحماني . فقال : لا حيّك الله ، ولا قرّب دارك يا نضو السوء . ألسن القائل في مسلمة بن عبد الملك بالأمس : [من الطويل]

أمسلم يا من ساد كل خليفة
ويا فارس الهيجا ويا قمر الأرض ؟

والله لولا أنني قد أمنت نظراءك لما ارتد إليك طرفك حتى أخضيتك بدمك . فقال أبو نخيلة :

كنا أناساً نهربُ الأملاك

وذكر الأبيات المتقدمة كلّها مثل ما مضى من ذكرها . فتبسّم أبو العباس ، ثم قال له : أنت شاعر وطالب خير ؛ وما زال الناس يمدحون الملوك في دولهم ، والتوبة تكفر الخطيئة ، والظفر يزيل الحقد . وقد عفونا عنك ، واستأنفنا الصنعة لك . وأنت الآن شاعرنا فأتسم بذلك فيزول عنك ميسم بني مروان ، فقد كفر هذا ذاك ، كما قلت . ثم التفت إلى أبي الخصب فقال : يا مرزوق ، أدخله دار الرقيق فخيرّه جارية يأخذها لنفسه . ففعل واختار جاريةً وطفاءً¹ كثيرة اللحم فلم يحمدها ، فلماً كان من غد دخل على أبي العباس وعلى رأسه وصيفة حسناء تذبّ عنه ، فقال له : قد عرفتُ خبر الجارية التي أخذتها بالأمس وهي

1 الوطفاء : الكثيرة شعر الحاجين .

كذناكونه فاحتفظ بها ، فأنشأ يقول :
 [من الرجز]
 إنني وجدت الكذنادنوكا غير منيك فابغني منيكا
 حتى إذا حركته تحركا
 فضحك أبو العباس ، وقال : أخذ هذه الوصيفة ، فإنك إذا خلوت بها تحرك من غير أن
 تحركه .
 [هرب من دين باليمامة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : اذان أبو
 نخيلة من يقال له يقال له : ماعز الكلابي باليمامة ، وكان يأخذ منه أولاً أولاً ، حتى كثر ما
 عليه وثقل ، فطالبه ماعز فمطله ، ثم بلغه أنه قد استعدى عليه عامل اليمامة ، فارتحل يريد
 الموصل ، وخرج عن اليمامة ليلاً ، فلم يعلم به ماعز إلا بعد ثلاث . وقد نجا أبو نخيلة وقال
 في ذلك :

يا ماعز الكراث قد خزيتا لقد خدعت ولقد هجيتا
 كدت تخصينا فقد خصيتا وكنت ذا حظ فقد مُحيتا
 ويحك لم تعلم بمن صلينا ولا بأي حجر رُميتا
 إذا رأيت المزبد الهبوتا يركب شداً شداً هربتا¹
 طر بجناحيك فقد أتينا حران حران فهيتا هيتا
 والموصل الموصل أو تكريتا حيث تبع الببط البيوتا²
 ويأكلون العدس المریتا³

وقال أيضاً لماعز هذا :
 [من الرجز]
 يا ماعز القمل وييت الذل
 وبات شيطان القوافي يُملي
 لا خير في علمي ولا في جهلي
 ما زال يقليني وعمي يغلي
 بتنا وبات البغل في الإصطبل
 على امرئ فحل وغير فحل
 لو كان أودى ماعز بنخلي
 حتى إذا العيم رمى بالجفل⁴

1 الهبوت : القاهر . الشدقم : الواسع وكذلك الهريت .

2 حران وهيت وتكرت : أسماء مدن .

3 المریت : المجروش .

4 العيم : شدة العطش وشهوة اللبن . وفي بيروت : وعمّ يقلي . والجفل : الجرف والقشر . ومعناه أن الغضب
 جعله يقلي ويرمي بالقبيح .

طبقت تطبيق الجراز النصل¹

[يمدح الربيع وسائسه]

نسخت من كتاب اليوسفي . حدَّثني المنقُّ بن جماع عن أبيه قال : كان أبو نخيلة ندلاً يرضيه القليل ، ويسخطه ، وكان الربيع يُنزله عنده ، ويأمر سائساً يتفقد فرسه ، فمدح الربيع بأرجوزة ، ومدح فيها معه سائسه فقال :

لولا أبو الفضل ولولا فضله ما أسطيع باب لا يُسنَى قفله
ومن صلاح راشد إصطبله نعم الفتى وخيرُ فعل فعله
يَسْمَنُ منه طرفه وبغله

فضحك الربيع ، وقال : يا أبا نخيلة أترضى أن تقرن بي السائس في مديح ؟ كأنك لو لم تمدحه معي كان يضيع فرسك .

[يمدح الخباز]

قال : ونزل أبو نخيلة بسليمان بن صعصعة ، فأمر غلامه بتعهده ، وكان يغاديه ويرأوحوه في كل يوم بالخبز واللحم ، فقال أبو نخيلة يمدح خباز سليمان بن صعصعة : [من الرجز]

بارك ربِّي فيكَ من خبازٍ ما زلت إذ كنتَ على أوفازٍ²
تنصبُّ باللحم انصباب البازِ

[شعره وقد رأى اجتهاد العمال في أرض له]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيُّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال : حدَّثنا أحمد بن المعدل عن علي بن أبي نخيلة الحماني قال : دخلتُ مع أبي إلى أرض له وقد قديم من مكة ، فرأها وقد أضرب بها جفاء القيم عليها وتهاونه بها ، وكلما رآه الذين يسقونها زادوا في العمل والعمارة حتى سمعتُ نقيضَ الليف ، فقلت : الساعة يقول في هذا شعراً ، فلم ألبث أن التفت إلي وقال :

شاهد مالاً ربُّ مالٍ فسأسه سياسة شهم حازم وابن حازم
أقام بها العصرين حيناً ولم يكن كمن ضنَّ عن عُمرانها بالدرهم
كأن نقيضَ الليف عن سعفاته نقيضُ رحال الميسر فوق العياهم³

1 الجراز : السيف القاطع .

2 على أوفاز : معجل . والوفز : المكان المرتفع .

3 نقيض الرحال : صوتها ، والميسر : التبخر . العياهم : جمع عيهم ، وهو الناقة الشديدة السرعة .

وأضحتُ تغالى بالنباتِ كأنّها على متنِ شيخٍ من شيوخ الأعمام¹
وما الأصل ما روّيتَ مضربَ عِرْقِهِ من الماءِ عن إصلاحِ فرعِ بنائِمِ
أخبرني بهذا الخبر محمد بنُ مزيد عن أبي الأزهر البوشنجي قال : حدّثنا حمادُ بنُ
إسحاق الموصلي عن النضر بن حديد عن أبي محضة عن الأزرق بن الخميس² بن أرطاة ،
وهو ابنُ أختِ أبي نُخَيْلة ، فذكر قريباً ممّا ذكر في الخبر الذي قبله .
[يهجو ويمدح]

وأخبرني عيسى بن الحسن الورّاق المروزيُّ قال : حدّثنا عليُّ بنُ محمد النوفليُّ قال : حدّثني
أبي قال³ : ابتاع أبو نُخَيْلة داراً في بني حِمّان ليصحّح بها نسبه ، وسأل في بنائها ، فأعطاه النَّاسُ
اتِّقاءً للسانه وشرّه ، فسأل شبيب بن شبة فلم يعطه شيئاً واعتذر إليه ، فقال : [من الرجز]
يا قوم لا تسودوا شبيباً المَلْدانَ الخائنَ الكذوبا

هل تلد الذبيبة إلا الذيبا

فقال شبيبُ : ما كنت لأعطيه على هذا القول شيئاً ، فإنّه قد جعل إحدى يديه سطحاً ،
وملأ الأخرى سلحاً ، وقال : مَنْ وضع شيئاً في سطحي وإلا ملأته بسلحي ، من أجل دار
يريد أن يصحّح نسبه بها ، فسفر بينهما مشايخ الحيّ حتى يعطيه ، فأبى شبيبُ أن يعطيه
شيئاً ، وحلف أبو نُخَيْلة ألا يكفّ عن عرضه أو يأخذ منه شيئاً يستعين به . فلما رأى شبيب
ذلك خافه ، فبعث إليه بما سأل . وغدا أبو نُخَيْلة عليه وهو جالس في مجلسه مع قومه ،
فوقف عليهم ، ثم أنشأ يقول :

إذا غدت سعدٌ على شبيها على فتاها وعلى خطيها
من مطلع الشمس إلى مغيبها عجبٌ من كثرتها وطيبها

[حكاية انتحاله أرجوزة مرّة أخرى]

أخبرني محمد بنُ الحسن بن دُرَيْد قال : حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبَيْدة قال : دخلَ أبو
نُخَيْلة على عُمر بنِ هبيرة ، وعنده رؤية قد قام من مجلسه فاضطجع خلف ستر ، فأنشد أبو
نُخَيْلة مديحه له ، ثم قال ابن هبيرة : يا أبا نُخَيْلة ، أيّ شيء أحدثتَ بعدنا ؟ فاندفع يُنشدّه
أرجوزة لرؤية ، فلما توسّطها كشف رؤية الستر ، وأخرج رأسه من تحته ، فقال له : كيف
أنت يا أبا نُخَيْلة ؟ فقطع إنشاده وقال : بخير أبا العجاج ، فمعدرة إليك ما علمتُ بمكانك .

1 تغالى : ترفع إلى أقصى الغاية كما يغالى بالسهم .

2 ل : مخيس .

3 تقدّم خبر هجائه ومدحه شبيباً لمناسبة غير هذه .

فقال له رؤبة: ألم نهك أن تعرض لشعري إذا كنت حاضراً، فإذا ما غبت فشانك به! فضحك أبو نخيلة، وقال: هل أنا إلا حسنة من حسناتك، وتابع لك، وحامل عنك. فعاد رؤبة إلى موضعه فاضطجع، ولم يراجعه حرفاً. والله أعلم.

[يريد صلة على المدح وأخرى على الشبه]

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا دماذ عن أبي عبيدة: أن أبا نخيلة قديم على المهاجر بن عبد الله الكلابي، وكان أبو نخيلة أشبه خلق الله به وجهاً وجسماً وقامة، لا يكاد الناظر إلى أحدهما أن يفرق بينه وبين الآخر، فدخل عليه فأنشده قوله فيه: [من الرجز]

يا دار أم مالك ألا اسلمي
على التناهي من مقام وانعمي
كيف أنا إن أنت لم تكلمي
بالوحي أو كيف بأن تجمجمي
تقول لي بنتي ملام اللوم
يا أبتا إنك يوماً مؤتمني
فقلت كلاً فاعلمي ثم اعلمي
أنني ليميقات كتاب محكم
لو كنت في ظلمة شعب مظلم
أو في السماء أرتقي بسلم
لأنصب مقداري إلى مجرثمي¹
إني ورب الراقصات الرسم¹
ورب حوض زمزم وزمزم
لأستين الخير عند مقدمي²
وعند ترحالي عن مخيمي
فإنني بالعلم ذو ترسم
حتى تبينت قضايا الغشم
فإنني بالعلم ذو ترسم
أنت إذا انتجعت خير مغنم
ولتسيم منك خير مقسم
قد علم الشام وكل موسم
إذا التقوا شتى معاً كالهمم
أنك تحلو لي كحلو المعجم
طوراً وطوراً أنت مثل العلقم

قال، فأمر له المهاجر بناقة، فتركها ومضى مغضباً، وقال يهجوهُ: [من الرجز]

إن الكلابي اللثيم الأثرما
أعطى على المدحة نابا عزماً³
ما جبر العظم ولكن تمما

1 مجرثمي: مستقري، واجرثتم: سقط من علو إلى أسفل.

2 لأستين في ل: لآتين الخير.

3 الناب العزم: التي هزها الكبير. وعلى المدحة في ل: على مدحيه.

فبلغ ذلك المهاجرُ ، فبعث فترضاه ، وقام في أمره بما يحب ، ووصله ، فقال له أبو نخيلة :
 هذه صلة المديح ، فأين صلة الشبه ؟ فإن التشابه في الناس نسب . فوصله حتى أرضاه ، فلم
 يزل يمدحه بعد ذلك حتى مات ، ورثاه بعد وفاته فقال : [من الطويل]

خليلي مالي باليمامة مقعدٌ ولا قرةً للعين بعد المهاجرِ
 مضى ما مضى من صالح العيش فاربعا على ابن سبيل مززع البين عابرِ
 فإن تك في ملحودة يا ابن وائل فقد كنت زين الوفد زين المنابرِ
 وقد كنت لولا سلك السيف لم ينم مقيم ولم تأمن سبيل المسافرِ
 لعز على الحيين قيسٍ وخندفٍ تبكي علي والوليد وجابرِ
 هوى قمرٍ من بينهم فكأنما هوى البدر من بين النجوم الزواهرِ
 [خاصته أخته فهجاها]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : تزوجت أخت أبي
 نخيلة برجل يقال له ميار ، وكان أبو نخيلة يقوم بمالها مع ماله ، ويرعى سوامها مع سوامه ،
 ويستبد عليها بأكثر منافعها ، فخاصته يوماً من وراء خدرها في ذلك . فأنشأ يقول : [من الرجز]

أظللُ أرعى وتراهرينا مللمما ترى له غضونا¹
 ذا ابن مقوماً عثونا يطعن طعناً يقضب الوتينا²
 ويهتك الأعفاج والرئينا يذهب ميار وتقعدينا³
 وتفسدين أو تُبدرينا وتمنحين استك آخرينا
 أير الحمار في است هذا دينا

[ولدت امرأته بنتاً فطلقها ثم راجعها]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال : تزوج أبو
 نخيلة امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتاً ، فغم ذلك ، فطلقها تطليقة ثم ندم ، وعاتبه
 قومه فراجعها . فبينما هو في بيته يوماً إذ سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها ، فحركه ذلك
 ورق لها ، فقام إليها فأخذها ، وجعل يزيها ويقول : [من الرجز]

يا بنت من لم يك يهوى بنتا ما كنت إلا خمسة أو سبتا

1 مللمم : مجتمع مدور .

2 ابن : عقد كالثي في العود . والوتين : عرق في القلب .

3 والرئينا في ل : الرئينا .

حتى حللت في الحشى وحتى
لأنت خير من غلام أنتى
فتت قلبي من جوى فانفتا¹
يُصبح مخموراً ويمسي سبتا²

[أحب النساء]

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدّثنا أبو هيفان قال : حدّثني أصحابنا الأهتميون قالوا : دخل عقال بن شبة المجاشعي على المهديّ فقال له : يا أبا الشّيظم ، ما بقى من حبك بنات آدم ؟ وما يعجبك منهن ؟ التي عُصيت عُصَب الجان³ ، وجُدلت جدل العنان ، واهترت اهتراز البان ، أم التي بدنت فعظمت وكملت فتمّت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين أحبهما إليّ التي وصفها أبو نخيلة ، فإنّه كانت له جارية صغيرة وهبها له عمك أبو العباس السفاح ، فكان إذا غشيها صغرت عنه ، وقلّت تحته ، فقال :

[من الرجز]

إني وجدت الكذناذنونكا
غير منيك فابغني منيكا

شيئاً إذا حرّكته تحرّكا

قال ، فوهب له المهديّ جارية كاملة فائقة متأدبة بديعة ، فلما أصبح عقال غدا على المهديّ متشكراً ، فخرج المهديّ وفي يده مُشط يُسرح به لحيته وهو يضحك . فدعا له عقال وقال له : يا أمير المؤمنين ممّ تضحك ؟ أدام الله سرورك . قال : يا أبا الشّيظم ، إنني اغتسلت أنفاً من شيء إذا حرّكته تحرّك ، وذكرت قولك الآن لما رأيتك ، فضحكت .

[رثاء الجنيد المريّ]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المبرّد قال : حدّثني أحمد بن القاسم العجليّ البرتيّ قال : حدّثني أبو هيفان قال : حدّثتني رقية بنت حمل عن أبيها قالت : كان أبو نخيلة مداحاً للجنيد بن عبد الرحمن المريّ ، وكان الجنيد له محباً ، يكثر رفاه ويقرب مجلسه ، ويحسن إليه . فلما مات الجنيد قال أبو نخيلة يرثيه :

[من الطويل]

لعمري لئن ركب الجنيد تحملوا
لقد غادرَ الركبُ الشّامونَ خلفهم
إلى الشام من مرّ وراحت ركائبه⁴
فتى غطفانيّاً يُعلل جانبُه

1 ل : فتت في القلب جوى فانفتا .

2 أنتى : تأخر . السبت : النوام .

3 الجان : ضرب من الحيات .

4 ركائبه في ل : كتابه .

نشى كان يسري للعدو كأنما سُروب القطا في كلِّ يوم كئائبه¹
 وكان كأن البدرَ تحت لوائه إذا راحَ في جيشٍ وراحتْ عصائبه
 [حبه لابنه علي]

أخبرنا محمد بن جعفر قال : حدَّثني أحمد بن القاسم قال : حدَّثني أبو هيفان عن عبد الله بن داود عن علي بن أبي نُخَيْلة ، قال : كان أبي شديد الرقة عليَّ معجباً بي ، فكان إذا أكل خصني بأطيب الطعام ، وإذا نام أضجعني إلى جنبه ، فعاظ ذلك امرأته أم حماد الحنفية ، فجعلت تعذله وتوتبه ، وتقول : قد أقمتَ في منزلك ، وعكفتَ على هذا الصبي ، وتركتَ الطلب لولدك وعيالك . فقال أبي في ذلك :

ولولا شهوتي شفتي عليَّ رَبعْتُ على الصحابة والركابِ
 ولكنَّ الوسائلَ من عليَّ خلصنَ إلى الفؤادِ من الحجابِ
 قال ، فازدادت غضباً ، فقال لها :
 وليس كأمِّ حماد خليلٌ إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
 منعمة أرى فتقرَّ عيني وتكفيني خلائقها عتابي
 فرضيت وأمسكت عناً .

[لولا أبان هلكت نيري]

حدَّثني عمي قال : حدَّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدَّثني سهل بن زكريا قال : حدَّثني عبد الله بن أحمد الباهلي قال : قال أبان بن عبد الله النميري يوماً لجلسائه ، وفيهم أبو نُخَيْلة : والله لوددتُ أنه قيل في ما قيل في جرير بن عبد الله : [من الرجز]

لولا جريرٌ هلكتُ بجيله نعمَ الفتى وبعتت القبيلة
 وأنني أثبت على ذلك مالي كله ، فقال له أبو نُخَيْلة : هلمَّ الثواب ، فقد حضرني من ذلك ما تريد ، فأمر له بدراهم : فقال : اسمع يا طالب ما يخزيه : [من الرجز]

لولا أبانٌ هلكتُ نُميرُ نعم الفتى وليس فيهم خيرُ

[لا يؤذن له علي أبي جعفر]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال : حدَّثنا الحسن بن عُليل العززي قال : حدَّثنا سَلمة بن خالد المازني عن أبي عبدة قال : وقف أبو نُخَيْلة على باب أبي جعفر واستأذن ، فلم يصل ، وجعلت الخراسانية تدخل وتخرج ، فتَهزأُ به ، فيرون شيخاً أعرابياً جلفاً فيعبثون به ، فقال له رجل عرفه : كيف أنت أبا نُخَيْلة ؟ فأنشأ يقول : [من الرجز]

1 سُروب في ل : عجاج القطا .

أصبحتُ لا يملكُ بعضي بعضاً أشكو العروق الآبضات أبضاً¹
 كما تشكَّى الأرحبيُّ الغرضاً كأنما كان شبابي قرصاً²

فقال له الرجل : وكيف ترى ما أنت فيه في هذه الدولة ؟ فقال : [من الرجز]

أكثرُ خلق الله من لا يُدرى من أيِّ خلق الله حين يُلقى
 وحلّةٌ تُنشرُ ثم تُطوى وطيلسانٌ يُشترى فيُغلى
 لعبدٍ عبدٍ أو لمولى مولى يا ويح بيت المالِ ماذا يلقى

[هبات أبان بن الوليد]

وبهذا الإسناد عن أبي عبيدة أنَّ أبا نخيلة قدم على أبان بن الوليد فامتدحه ، فكساه
 ووهب له جارية جميلة ، فخرج يوماً من عنده ، فلقيه رجل من قومه ، فقيل له : كيف
 وجدت أبان بن الوليد يا أبا نخيلة ؟ فقال : [من الرجز]

أكثرَ والله أبانٌ ميري ومن أبانٍ الخيرِ كلُّ خيري
 ثوبٌ لجلدي وجرٌّ لأيري

[العسل والماء البارد دواء النخمة]

نسخت من كتاب اليوسفيّ حدّثني خالد بن حميد عن أبي عمرو الشيبانيّ قال : أقحمت
 السنة أبا نخيلة فأتى القعقاع بن ضيرار ، وهو يومئذٍ على شرطة الكوفة ، فمدحه ، وأنزله
 القعقاع بن ضيرار وابنيه وعبديه وركابهم في دار ، وأقام لهم الأنزال ، ولركابهم العلوقة .
 وكان طباخ القعقاع يجيئهم في كلِّ يوم بأربع قصاع ، فيها ألوان مطبوخة من لحوم الغنم ،
 ويأتيهم بتمر وزيد . فقال له يوماً القعقاع : كيف منزلك أبا نخيلة ، فقال : [من الرجز]

ما زال عاّ قَصَعاتُ أربعُ شهرين ذاباً ذود ورجعُ
 عبداي وابنائي وشيخُ يرفعُ كما يقومُ الجملُ المطعُ³

قال : وكان أبو نخيلة يكثر الأكل فأصابته نخمة ، فدخل على القعقاع فسأله : كيف
 أصبحت أبا نخيلة ؟ فقال : أصبحت والله بشماً ، أمرت خبازك فأتاني بهذا الرقاق الذي كأنه
 الثياب المبلولة ، قد غمسه في الشحم غمساً ، وأتبعه بزبد كرأس النعجة الخرسية ، وتمر
 كأنه عنز رابضة ، إذا أخذتُ التمرة من موضعها تبعها من الرّبِّ كالسلوك الممدودة ؛

1 الأبضات : المتقضة .

2 الأرحبي : النجيب ، نسبة إلى قبيلة أرحب . الغرض : حزام الرجل .

3 الجمل المطع : المتقل بالحمل .

فأمعنتني ذلك ، وأعجبني حتى بشمتُ ، فهل من أقداح جياذ ؟ وبين يدي القعقاع حجّام
واقف وسفرة موضوعة فيها المواسي ، فإذا أتيتُ بشراب النبيذ حلق رؤوسهم ولحاهم . فقال له
القعقاع : أتطلب مني النبيذ وأنت ترى ما أصنع بشرابه ؟ عليك بال غسل والماء البارد ، فوثب
ثم قال :

قد علمَ المظلل والمبيتُ أني من القعقاع فيما شيتُ
إذا أتت مائدةً أتيتُ بيدع لست بها غديتُ
وليتُ فاستشفعتُ واستعديتُ كأنني كنت الذي وليتُ
ولو تمنيتُ الذي أعطيتُ ما ازددتُ شيئاً فوق ما لقيتُ
أيا ابن بيتٍ دونه البيوتُ أقصرُ فقد فوق القرى قرئتُ
ما بين شرابي عسلٌ منعوتُ ولا فُرات صرد بيوت¹
لكنني في النوم قد أريتُ رطلَ نبيذٍ مخفسٍ سقيت²
صلياً إذا جاذبته رويتُ

فغمزه على إسماعيل ابن أخيه ، وأوماً إلى إسماعيل ، فأخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فسقاه
حتى صلح .

[يمدح السفاح ويفض الجالسين]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخزاعيُّ قال : حدثنا قعنبُ بن الحرز وأبو عمرو الباهليُّ قالا :
حدثنا الأصمعيُّ قال : دخل أبو نخيلة على أبي العباس السفاح ، وعنده أبو صفوان
إسحاق بن مسلم العُقيليُّ ، فأنشده قوله :

[من الرجز]

صادتك يومَ الرملتين شعفرُ وقد يصيدُ القانصَ المزعفرُ³
يا صورةً حسنّها المصورُ للريم منها جيدها والمحجرُ
يقول فيها في مدح أبي العباس :

حتى إذا ما الأوصياءُ عسكروا وقام من تير النبيّ الجوهرُ
ومن بني العباس نبعٌ أصفرُ ينميه فرعٌ طيبٌ وعنصرُ

1 الصرد : الخالص . والبيوت : البارد .

2 مخفس : سريع المفعول .

3 شعفر : اسم امرأة .

أقبل بالناس الهوى المستبهر
أنا الذي لو قيل إني أشعر
لما مضت لي أشهر وأشهر
لا يستخفنك ركب يصدر
وحالفي الأنبار فهي المحشر
مني فإنني كل جنح أحضر
والغيث يرجى والديار تنضر
حتى زهاها مسجد ومنبر
لا غائب ولا أناس حُضِر
وأمت الأنبار داراً تعمّر
حِمصٌ وبابُ التبن والموقر
وواسط لم يبق إلا القرقر
وصاح في الليل نهار أنور
جلّى الضباب الرجز المخبر¹
قلت لنفس تزدهى فتصير
لا مُجد يمضي ولا مُعور
أو يسمع الخليفة المطهر
وإن بالأنبار غيثاً يهمر
ما كان إلا أن أتاها العسكر
لم يبق من مروان عين تنظر
هيهات أودى المنعم المعقر
وخربت من الشام أدور
ودمرت بعد امتناع تدمر
منها وإلا الديران الأخضر²

(ومنها) :

أين أبو الورد وأين الكوثر

أبو الورد هذيل بن زفر ، وكوثر بن الأسود صاحب شرطة مروان .

وأين مروان وأين الأشقر
وأين عاديتكم المُجمهر
وأين فلّ لم يفت محير
وعامر وعامر وأعصر

قال : يعني عامر بن صعصعة ، وعامر بن ربيعة ، وأعصر باهلة وغني ، قال : فغضب إسحاق بن مسلم ، وقال : هؤلاء كلهم في حِر أمك أبا نخيلة . فأنكر الخليفة عليه ذلك ، فقال : إني والله يا أمير المؤمنين قد سمعت منه فيكم شرّاً من هذا في مجالس بني مروان . وما له عهد ، وما هو بوني ولا كريم . فبان ذلك في وجه أبي العباس ، وقال له قولاً ضعيفاً : إن التوبة تغسل الحوبة ، والحسنات يذهبن السيئات ، وهذا شاعر بني هاشم . وقام فدخل ، وانصرف الناس ، ولم يعط أبا نخيلة شيئاً .

1 المخبر في ل : المخبر .

2 القرقر : النواحي الظاهرة من البلد . والديران : دير أبان من قرى غوطة دمشق وواسط : لعله يقصد بلدة بالجزيرة ، فجميع البلدان التي ذكرها في بلاد الشام .

[شعره في تولية المهدي]

وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار الثقفي حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال :
 حدثني أبي عن عبد الله بن أبي سليم مولى عبد الله بن الحارث قال : بينا أنا أسير مع أبي
 الفضل يعني ، سليمان بن عبد الله ، وحدي بين الحيرة والكوفة ، وهو يريد المنصور ، وقد
 هم بتولية المهدي العهد وخلع عيسى بن موسى ، وهو يروض ذلك ، إذا هو بأبي نخيلة
 الشاعر ، ومعه ابنان له وعبد ، وهم يحملون متاعه . فقال له : يا أبا نخيلة ، ما هذا الذي
 أرى ؟ قال : كنت نازلاً على القعقاع بن معبد أحد ولد معبد بن زرارة ، فقلت شعراً فيما
 عزم عليه أمير المؤمنين من تولية المهدي العهد ونزع عيسى بن موسى ، فسألني التحول عنه ،
 لئلا يناله مكروه من عيسى إذ كان صنيعته . فقال سليمان : يا عبد الله ، اذهب بأبي نخيلة
 فأنزله منزلاً وأحسن نزله وبره ، ففعلت . ودخل سليمان إلى المنصور فأخبره الخبر ، فلما كان
 يوم البيعة جاء بأبي نخيلة فأدخله على المنصور ، فقام فأنشد الشعر على رؤوس الناس ، وهي
 قصيدته التي يقول فيها :

بل يا أمينَ الواحدِ الموحدِ إنَّ الذي ولاك ربَّ المسجدِ
 ليس وليَّ عهدنا بالأسعدِ عيسى فزحلفها إلى محمدِ
 من عند عيسى معهداً عن معهد حتى تُودَى من يدٍ إلى يدِ

قال : فأعطاه المنصور عشرة آلاف درهم ، قال : وباع لمحمد بالعهد ، فأنصرف
 عيسى بن موسى إلى منزله . قال : فحدثني داود بن عيسى بن موسى قال : جمعنا أبي
 فقال : يا بني ، قد رأيتم ما جرى ، فأيما أحب إليكم : أن يقال لكم : يا بني المخلوع ،
 أو يقال لكم : يا بني المفقود ؟ فقلنا : لا ، بل يا بني المخلوع . فقال : وقفتم بني . وأول
 هذه الأرجوزة التي هذه الأبيات منها :

لم يُنسني يا ابنة آل معبدِ ذكراكِ تكرارُ الليالي العودِ
 ولا ذواتُ العصبِ المورِدِ ولو طلبنَ الودَّ بالتوددِ¹
 ورُحنَ في الدرِّ وفي الزبرجدِ هيهاتَ منهنَّ وإن لم تعهدي
 نجديةً ذاتُ معانٍ منجدِ كأنَّ رياتها بُعيدَ المرقِدِ²

1 العصب : نوع من البرود .

2 معان : منزل .

رِيَا الخَزَامِي فِي تَرَّى جَعْدِي نَدِي كَيْفَ التَّصَابِي فِعْلَ مَنْ لَمْ يَهْتَدِ
وَقَدْ عَلَّنِي ذُرَاةَ بَادِي بَدِي وَرَثِيَّةً تَنْهَضُ فِي تَشَدِّدِي¹
بَعْدَ انْتِهَاضِي فِي الشَّبَابِ الْأَمَلِدِ

[من الرجز]

يقول فيها :

إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَاعْمِدْ إِلَى الَّذِي يُنْدِي وَلَا يَنْدَى نَدِي
سِيرِي إِلَى بَحْرِ الْبَحَارِ الْمَزِيدِ إِلَى الَّذِي إِنْ نَفِدَتْ لَمْ يَنْفَدِ
أَوْ تَمَدَّتْ أَشْرَاعُهَا لَمْ يَتَمَدِّ²

ويقول في ذكر البيعة لمحمد بعد الأبيات التي مضت في صدر الخبر :

فَقَدْ رَضِينَا بِالْغُلَامِ الْأَمْرِدِ وَقَدْ فَرَعْنَا غَيْرَ أَنْ لَمْ نَشْهَدِ
وَعَبْرٌ أَنْ الْعَقْدَ لَمْ يُوَكِّدِ فَلَوْ سَمِعْنَا قَوْلَكَ أَمْدُ أَمْدِ
كَانَتْ لَنَا كَرْعَقَةُ الْوَرْدِ الصَّدِي فَإِدِ لِلْبَيْعَةِ جَمْعًا نَحْشُدِ³
فِي يَوْمِنَا الْحَاضِرِ هَذَا أَوْ غَدِ وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ وَرُدَّ يُرَدِّ
وَرَدَّهُ مِنْكَ رِدَاءٌ يَرْتَدِ فَهُوَ رِدَاءُ السَّابِقِ الْمَقْلَدِ
وَكَانَ يَرُوي أَنَّهُا كَأَنَّ قَدْ عَادَتْ وَلَوْ قَدْ تَقَلَّتْ لَمْ تُرَدِّ
أَقُولُ فِي ذِكْرِي أَحَادِيثَ الْغَدِ لِلَّهِ ذَرِيٌّ مِنْ أَخِي وَمَنْشَدِ
لَوْ نَلْتُ حِظَّ الْحَبَشِيِّ الْأَسْوَدِ

يعني أبا دُلَامَةَ .

[خبر آخر عن أرجوزة العهد للمهدي]

فَأَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الرَّازِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ : حَدَّثَنَا الْمَدَائِنِيُّ ، أَنَّ
أَبَا نُخَيْلَةَ أَظْهَرَ هَذِهِ الْقِصِيدَةَ الَّتِي رَوَاهَا الْخَدْمُ وَالْخَاصَّةُ ، وَتَنَاشَدَتْهَا الْعَامَّةُ . فَبَلَغَتْ الْمَنْصُورَ
فَدَعَا بِهِ ، وَعَيْسَى بْنُ مُوسَى عِنْدَهُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِهِ ، فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا ، وَأَنْصَتَ لَهُ حَتَّى سَمِعَهَا
إِلَى آخِرِهَا . قَالَ أَبُو نُخَيْلَةَ : فَجَعَلْتُ أَرَى فِيهِ السَّرُورَ ، ثُمَّ قَالَ لِعَيْسَى بْنِ مُوسَى : وَلَعَنَ كَانِ
هَذَا عَنْ رَأْيِكَ لَقَدْ سَرَرْتَ عَمَّكَ ، وَبَلَغْتَ مِنْ مَرْضَاتِهِ أَقْصَى مَا يَلْبِغُهُ الْوَلَدُ الْبَارِ السَّارَّ . فَقَالَ

1 الذرأة : الشيب في ابتدائه .

2 تمتد أشراعها : نرفت مواردها .

3 كرعقة في ل : كدعكة . والورد : القوم يردون الماء .

عيسى : لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين . قال : أبو نخيلة : فلما خرجتُ لحِقْنِي عِقَالُ بنُ شَبَّةٍ فقال : أمّا أنت فقد سررتَ أميرَ المؤمنين ، ولكن تمَّ الأمرُ فلعمري لتصينَّ خيراً ، ولكن لم يتم فابتغِ نَفَقاً في الأرض ، أو سُلماً في السماء . فقلت له :

عَلِقْتُ معالِقَهَا وصَرَ الجندُب¹

[خبر ثالث عن هذه الأرجوزة]

قال المدائني : وحدثني بعض موالي المنصور قال : لما أراد المنصور أن يعبد للمهديّ أحبّ أن تقول الشعراء في ذلك ، فحدثني عبدُ الجبّار بنُ عُبيد الله الحِمانيُّ قال : حدثني أبو نخيلة قال : قدمتُ على أبي جعفر ، فأقمتُ ببابه شهراً لا أصلُ إليه ، فقال لي عبدُ الله بنُ الربيع الحارثي : يا أبا نُخَيْلَةَ ، إنَّ أميرَ المؤمنين يريد أن يقدمَ المهديّ بين يدي عيسى بنِ موسى ، فلو قلتَ شيئاً تحته على ما يريد . فقلت :

ماذا على شَحَطِ النَّوَى عناكا أم ما مَرَى دمعَكَ من ذكراكا ؟

وقد تبكّيتَ فما أبكاكا

وذكر أرجوزة طويلة يقول فيها :

خليفةَ اللهِ وَأنتَ ذاكَا أسنِدُ إلى محمدٍ عصاكا

فأحفظُ النَّاسَ لها أدناكا وابنك ما استكفيتَه كفاكا

وكلنا منتظر لذاكا لو قلتَ هاتوا قيل هاك هاكا

[مقتله وسلخ وجهه]

قال : فأنشدته إياها ، فوصلني بألفي درهم ، وقال لي : احذر عيسى بنَ موسى ، فإنني أخافه عليك أن يغتالك . قال المدائني : وخلع أبو جعفر عيسى بنَ موسى ، فبعث عيسى في طلب أبي نُخَيْلَةَ ، فهرب منه ، وخرج يريد خراسان ، فبلغ عيسى خبره ، فجرد خلفه مولى له يقال له قَطْرِيّ ، معه عِدَّةٌ من مواليه ، وقال له : نَفْسَكَ نفسك أن يفوتك أبو نُخَيْلَةَ . فخرج في طلبه مُغَدّاً للسير ، فلحقه في طريقه إلى خراسان ، فقتله وسلخ وجهه .

ونسختُ من كتاب القاسم بنِ يوسفَ عن خالد بنِ حَمَلٍ أنَّ عليَّ بنَ أبي نُخَيْلَةَ حدّثه أنَّ المنصور أمر أبا نُخَيْلَةَ أن يهْرُبَ إلى خراسان ، فأخذه قطريّ وكفّه فأضجعه ، فلما وضع السكين على أوداجه قال : إيه يا ابن اللخناء ، ألسنت القاتل :

1 المثل «علقت معالِقها وصَرَ الجندُب» في مجمع الميداني 2 : 15 وجمهرة العسكري 2 : 32 ومستقصى

الزمخشري 2 : 167 وأمثال العرب : 167 ، ومعناه : قد وجب الأمر ونشب فجرع الضعيف من القوم .

عَلِقَتْ مَعَالِقَهَا وَصَرَ الْجَنْدَبُ

الآن صَرَ جَنْدَبُكَ . فقال : لعن الله ذاك جَنْدَبًا ، ما كان أشأم ذكره ! ثم ذبحه ، قَطَّرِي ،
وسَلَخَ وجهه ، وألقى جسمه إلى النَّسُور ، وأقسم لا يريم مكانه حتى تمزق السباع والطيور
لحمه ، فأقام حتى لم يبقَ منه إلا عظامه ، ثم انصرف .

[شماتة أبي الأبرش]

أخبرنا جعفرُ بنُ قُدَّامَةَ قال : حدَّثنا أبو حاتم السجستانيُّ قال : حدَّثني الأصمعيُّ عن
سعيد بنِ سَلَمٍ عن أبيه قال : قلتُ لأبي الأبرش : مات أبو نُخَيْلَةَ ، قال : حتفَ أنفه ؟ قلتُ :
لا ، بل اغتيلَ فقتلَ . فقال : الحمدُ لله الذي قطع قلبه ، وقبض روحه ، وسفكَ دمه ، وأراحني
منه ، وأحياني بعده . وكان أبو نُخَيْلَةَ يهاجي الأبرش ، فغلبه أبو نُخَيْلَةَ .

صوت

[من مجزوء الكامل]

ولقد دخلتُ على الفتا	وَ الخِدْرِ فِي اليَوْمِ المَطِيرِ
فدفعْتُهَا فتدافعتُ	مَشِيَّ القِطَاةِ عَلَى الغَدِيرِ
فلثمْتُهَا فتنفَّستُ	كَتَنَفَسِ الظُّلِيِّ البَهِيرِ

الشعر للمنخلَ اليشكريِّ ، والغناء لإبراهيم ، ثاني ثقل بالوسطى عن عمرو وأحمد
المكيِّ .

* * * *

الفهرس

- [413] - أخبار التيمي ونسبه 5
- [414] - أخبار أبي نواس وجنان خاصة إذ كانت أخباره قد أفردت خاصة 17
- [415] - نسب ابن أبي عُيَينة وأخباره 27
- [416] - أخبار دِعبِل بن علي ونسبه 59
- [417] - أخبار جعيفران ونسبه 109
- [418] - أخبار السري ونسبه 116
- [419] - أخبار مسكين ونسبه 121
- [420] - أخبار أبي محمد ونسبه 129
- [421] - محمد بن أبي محمد 146
- [422] - أخبار إبراهيم 154
- [423] - أبو جعفر أحمد بن محمد 160
- [424] - أخبار المخبل القيسي ونسبه 165
- [425] - أخبار خالد الكاتب 172
- [426] - أخبار المسدود 183
- [427] - أخبار سلمة بن عيَاش 186
- [428] - أخبار لأم جعفر 191
- [429] - أخبار أيمن بن خُرَيم 194
- [430] - أخبار حجية بن المضرب 200
- [431] - خبر إسحاق مع غلامه زياد 203
- [432] - خبر لحبابة مع ابن عائشة 207
- [433] - أخبار أبي الهندي ونسبه 209
- [434] - أخبار سعيد بن وهب 214
- [435] - أخبار رؤية ونسبه 220
- [436] - أخبار عمرو بن أبي الكنات 228
- [437] - أسماء بن خارجة وابنته هند 232
- [438] - أخبار السُّليكَ بن السُّلُكَة ونسبه 240
- [439] - أخبار أبي نخيلة ونسبه 251